

رواية الشعر العربي

من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع

تأليف
الدكتور مصطفى حسين
كلية البنات بجامعة عين شمس

١٩٧٨

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الحالى دوت - القاهرة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ
لِصَاحِبِهِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّزَّاقِ
١٩ كَلِمَةً الْأَوَّلَى مِنَ الْجَنَّةِ
تَمْلِكُونَ ٩٨-٩٣

امداد

إلى روح استاذي :

الأستاذ الدكتور عبد الحكيم بليغ

في أكرم مثوى ..

مصطفى حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا بحث في رواية الشعر العربي ، وهو خطوة موصولة بخطا سبقت ، وخطا تلحق : فقد أعددت قبله بحثاً آخر في رواية الآثار الشعرية أيضاً ، منذ العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثالث الهجري .

ثم يأتي بحثنا هذا ليستكمل درس الرواية الشعرية ، منذ بداية القرن الرابع الهجري ، حتى نهاية القرن السابع وما يزال هناك بحثان آخران : أحدهما يمتد برواية الشعر العربي ، حتى نهاية القرن العاشر الهجري ، وربما يتجاوز القرن العاشر .

وأما البحث الآخر ، فإنه يتفرد برواية النثر العربي : أمثالا ، وقصصا ، ومقامات ، وأخباراً ، بل ويتعدى الظاهرة إلى رواية الكتاب العربي وطرائق حفظه وموثوقته .

ولا أدعى - فيما كتبت - فضل السبق والريادة ، فالحديث عن الرواية ، تستفيض به أبحاث في القديم والحديث ، ولكن لا أحسب دارساً قد تصدى لدراسة ظاهرة الرواية الشعرية في بحث مستقل ، أو حاول في دراسة موسعة متأنية أن يلم بالظاهرة في جانبيين : جانب التاريخ والتطور ، وجانب التقاليد والمبادئ .

كما أن محاولة الاهتمام برواية النثر - تعد أيضاً محاولة غير مسبوقة .

(و)

والهدف من هذا التصدى لدراسة الرواية الأدبية هو استجلاء ظاهرة حضارية لها مكانتها في الفكر الإسلامى ، والكشف عن الوسائل والمناهج التى تدرج بها أسلافنا للحفاظ على التراث وتوثيقه ، ثم أبطل وهم تمرب إلى أذهان البعض : حين زعموا أن الدراسات العربية مدينة المستشرقين فى منهج تحقيق وتحرير النصوص القديمة ، فقد كان التحدى ، والتحقيق ، والاستيثاق ، وساطع هامة . لم يتخل أسلافنا عنها .

كما أن هذه المحاولة لدراسة الرواية الأدبية - وهى تنسب إلى مدرسة التراث ، وتعزز بهذه النسبة تشكل دعوة عملية لمواصلة الجهد من أجل تراثنا ، بحثا فى ظواهره ، وفيرا لذخائره ، وعرضا له فى رؤيا جديدة مستنيرة .

إن الاعتماد على التراث - بدهوى التحرر - يمسد فى حياتنا الفكرية المعاصرة أزمة وجدان وفكر ، ويصم سلوكنا الفكرى والحضارى بفقدان التوازن ، لأن تحقيق هذا التوازن بين القديم والتأخر ، والطريقتين المستحدث أمر لا بد منه .

وقد صنعت الأمة العربية ذلك مرتين ، مرة فى العصر العباسى ، حين مزجت تراثها بثقافات اليونان والهند وفارس ، ومرة فى العصر الحديث ، حين مزجت تراثها بثقافات أوروبية واحدة . وكان لها فى الموقفين انتفاضة ، وبمس .

صفا صرعة

وبعد

فلا يغوتني أن أسطر بالوفا. والولاء ، إشادة ^{حبيبتنا} ~~بمحمود~~ الزواد
الكبار في حقل التراث : أمثال أحمد تيمور ، والشنقيطي ، وأحمد
زكي شيخ العروبة ، وأحمد شاعر .

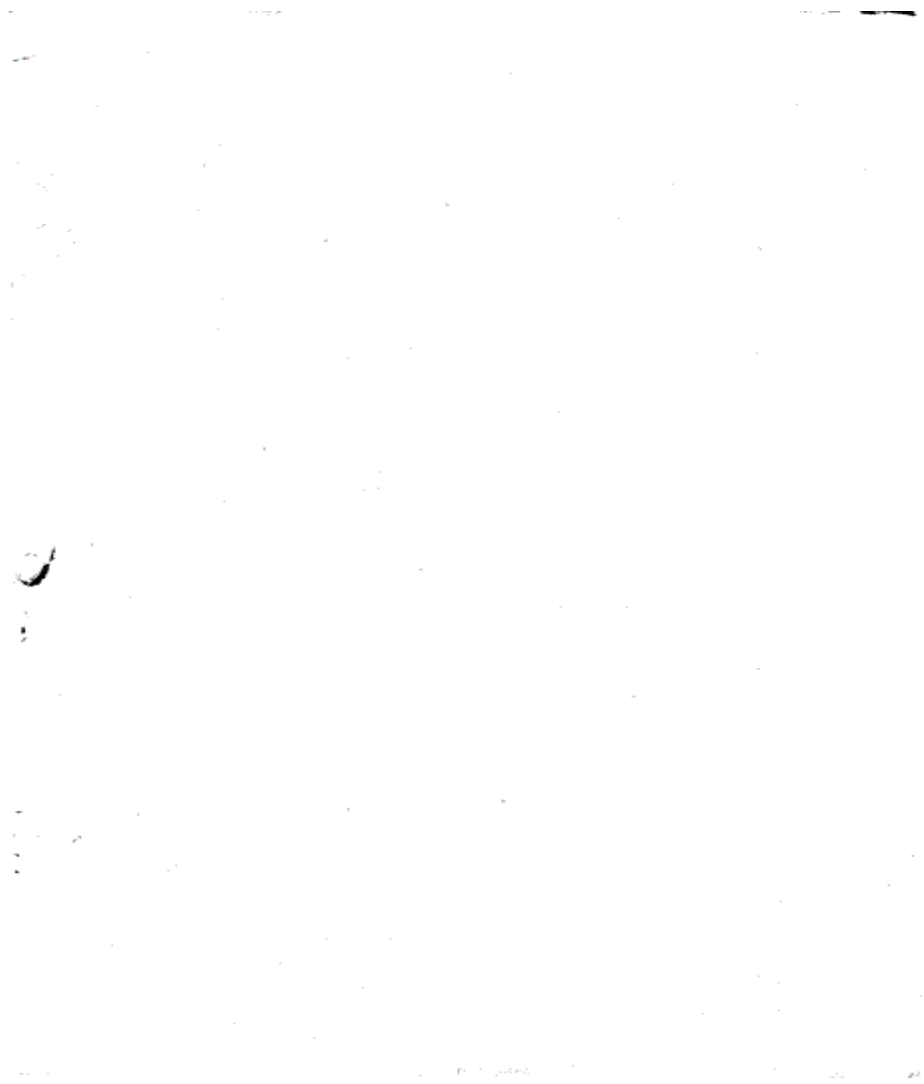
كما أذكر بالإكبار والتقدير علامة الهند الكبير : عبد العزيز الميمنى
الراجكوتى ، والعلامة محمود شاعر والمنتسبين إلى مدرسته الكبيرة في
التراث .

وأذكر بالتنويه والتقدير الدكتور ناصر الدين الأسد وكتابه « مصادر
الشعر الجاهل وقيمتها التاريخية » ، بما فتح أمامى من المغاليق .

والله الموفق .

مصطفى حسين

المعادى في ٢ من ذى القعدة ١٣٩٧
١٦ من أكتوبر ١٩٧٧



تمهيد

عرض معجمي :

عرضت المعاجم العربية في مادة (روى) (١٠) للمعاني اللغوية لهذا اللفظ : - الرواية .

وقد أسهب ابن منظور وأطال كعادته - في عرض الدلالات المختلفة للفظ (الرواية) . فالرواية عنده :

(١) تطلق على المزايدة يحمل فيها الماء ، وهي القرية .

(٢) وتطلق أيضا على ما يحمل تلك المزايدة ، مثل البعير ، أو البغل ، أو الحمار .

(٣) ويطلق هذا اللفظ أيضا على الرجل الذي يحمل الماء ويستقيه .

فإذا كانت حرفته الاستقاء بالرواية قيل له : - الرّواء .

(٤) كما يطلق على السحاب : روايا البلاد ، كما ورد في حديث شريف .

(٥) ويطلق أيضا على سيد القبيلة ، الذي يحمل عنها دفع الديار ومنه قول الراعي النميري :

إذا ندبت روايا الثقل يوما

كفينا المضلعات لمن يلننا

أراد بروايا الثقل : حوامل الدّيات

والمضلعات : التي تُثقل من حملها ، والمعنى :

إذا ندب للديات المضلعة حقالوها ، كنا نحن المجيبين لحملها عمن يلينا من دوننا .

(١) لسان العرب (ط بيروت) مادة روى ١٤٦/١٥٠ وما بعدها .

الرواية

— ٤ —

وهكذا نلاحظ من العرض السابق أن لفظ (رواية) فى أصله اللغوى يفيد معنى الحمل ، سواء كان هذا الحمل ماديا ، للماء وشبهه ، أو معنويا لديات القتلى .
ومن هذا يكون إطلاق (الرواية) على حامل الأثر ورواية .
هو إطلاق له من اللغة سمده ، وأن (الرواية) بمعنى (حامل الأثر) قد انحدر من أصل مادى حسى ، ثم انتشعب الى دلالات أخرى معنوية .

هذا بالنسبة للفظ (رواية) .

فإذا استعرضنا الدلالات المختلفة للفعل (روى) وجدناها

تتصرف الى :

- ١ - روى ، بمعنى استقى الماء
 - ٢ - روى الحبل ، أى قتله ومن هنا كان (الرواء) بمعنى الحبل .
 - ٣ - وروى على الرجل ، أى شدّه بالرواء ، الذى هو الحبل ، لئلا يسقط عن البعير من النوم .
 - ٤ - وروى الحديث والشعر يرويه وترّاه . ويقال : روى فلان فلانا شعرا ، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه .
وقد أفادنا ابن منظور - بمزيد إيضاح - حين نقل عن الجوهري - فى صحاحه - قوله :
(رويت الحديث والشعر روايةً ، فأنا راء : فى الماء والشعر) .
- والفائدة التى نطفر بها من عرض الجوهري هى فى كونه جعل الرواية فى الماء وفى الشعر ، فأشار بذلك الى الاشتراك بين الدالتين : إحداهما مادية ، وهى لحمل الماء ، والأخرى معنوية ، وهى لحفظ الآثار ونقلها .
- ولا أنه لا تفوتنا الإشارة الى دلالات أخرى للفظ (روى)

وهو القتل والإحكام ، حتى أُطْلِقَ على الحبل ذاته لفظُ الرواء .
فالرواية هي (قتل الحبل وإحكامه) وكذلك (شئ الشيء
وربطه بالحبل) منعاً لثقله أو سقوطه . وكلاهما تعني
(التقوية والإحكام والمحافظة) وتلك جميعاً دلالات عبّرت
عنها الرواية بمفهومها الاصطلاحي ، حين اضطلعت بدور
المحافظة على التراث وإحكام أمره ، حتى لا يسلمه عامل
الزمن ، أو عامل البؤس والزيغ أو عامل السهو والنسيان إلى
عوارض البدد والفناء .

وهكذا حين نستعرض مادة (روى) في سائر المعاجم
الأخرى نجدها توافقنا بشروح مفيدة لدلالات (الرواية) :
أصلية واصطلاحية كما يفصح لنا هذا العرض المعجمي عن
وشائج القربى بين اللفظ لغة واللفظ اصطلاحاً .

وحيث عرض المعجميون الدلالة الاصطلاحية للرواية
حملوا الرواية على الاستظهار والحفظ ، وقد نقل ذلك ابن
منظور عن الجوهري فقال (وتقول أنشد القصيدة يا هذا ،
ولا تقل أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها) (١)
وينقل عن الصحاح شارح القاموس المحيط العبارة
ذاتها . (١)

وهذه الدلالة الاصطلاحية للرواية عند اللغويين هي التي
شاعت بين فريق من الباحثين المعاصرين كما أسلفنا القول .
فلم تعد الرواية إلا مجرد الاستظهار والاستعانة بالذاكرة .
والواقع أن الرواية قد مرت بمرحلتين :

المرحلة الأولى : وهي تلقائية بسيطة تقتصر في الأعم
الأغلب على معنى الاستظهار للأثار الشعرية .

(١) لسان العرب مادة روى

(٢) الزبيدي : تاج العروس (المطبعة البهية) مادة روى .

بغية المحافظة عليها من جهة • واكتساب الدرية على قول الشعر من جهة أخرى •

وهذه المرحلة قد امتدت ما بين العصر الجاهلي ، وأواخر القرن الثاني الهجري ، ولم تكن ثمة تقاليد علمية في تلك الفترة وإنما كان هناك تهيئة للتقاليد العلمية الراسخة والمحددة ومحاولات لبنائها •

المرحلة الثانية : وهي مرحلة النضج العلمي ، وقد بدأت مع حركة التدوين العلمي المنظم المصاحب لحركة التأليف والتصنيف ، وأواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث •

وفي هذه المرحلة استحكمت (التقاليد العلمية) وتأكدت ، وتطورت الرواية لتغدو بذورها مع مراحل النماء والازدهار ظاهرة علمية متكاملة الجوانب ، يتجنى الشئيات والملاحم •

وتتميز مرحلة النضج العلمي لرواية الأدب بظواهر هامة نوجزها فيما يلي : -

١ - الاتساع في التدوين ، مع اصطباغ التدوين بصيغة علمية ، فقد وجدت مصنفات تضم الآثار الأدبية القابلة للتداول والانتشار ولم يعد الأمر - كما كان - مجرد مدونات خاصة بالأديب أو العالم ، أو نقوش ومدونات أثرية كتلك التي عثر حماد الراوية على قدر منها • (ت) (د) (٢) (٣)

وقد كان من أهم ما ظهر من تلك (المدونات العلمية) اختيارات الضبي ، والأصمعي ، وحماسة أبي تمام ، هذا إلى ما ضمته كتب الدراسات بين تضاعيفها من الآثار ككتب (د) (٤)

النقد البلاغة التي ظهرت على يد ابن سلام صاحب الطبقات ، وابن قتيبة مصنف الشعر والشعراء والجاحظ مؤلف البيان والتبيين ، ولقد مضى ذلك كله مفصلاً في بحثنا للماجستير (١) • (٥) (٦)

(١) مخطوط بمكتبة دار العلوم من ١٤٥ وما بعدها •

(٢٤٥)

بـ

٢ - ظهور الدواوين الشعرية ، حيث انصرفت عناية الرواة إلى صنع هذه الدواوين ، وكانت تلك العناية شاهداً على نضج الوعي بأهمية تجميع هذه الآثار في دواوين تغدو بين أيدي الدارسين مصادر موثقة .

٣ - كان أيضاً من سمات مرحلة النضج العلمي ظهور أئمة الرواة الذين تأكدت بفضل جهودهم ملامح الرواية الأدبية وارتدت ثوبا من الجلال جعلها في عداد الظواهر العلمية العامة في تاريخ الفكر الاسلامي .

ونعني - هنا بأئمة الرواة ، أولئك الرواة الأوائل ممن اضطلعوا بعبء الريادة لخطا اللاحقين بهم .

ومن هؤلاء الأئمة : المفضل الضبي ، والأصمعي وأبو عبيدة وغيرهم ، أولئك الذين جمعوا ووثقوا ووضعوا التقاليد ورسموا الدروب .

٤ - في هذه المرحلة ، ظهرت - بصورة علمية - تقاليد الرواية من سماع وتدوين وحفظ وإسناد ، كما ظهر مبدأ التحقيق العلمي الذي صاحب مرحلة الجمع والتوثيق ، وكان لابد منه لنفي الزائف ، وإثبات الصحيح .

٥ - كذلك - برزت قضية الانتقال مصاحبةً لنشاط الرواة جمعاً للتراث وتوثيقاً لمآثره ، واقترن ظهورها بجمع الشعر الجاهلي ، حيث وجهت تهم إلى فريق من الرواة على رأسهم حماد وخلف الأحمر بتزييفهم وتزيدهم في أشعار أهل الجاهلية .

على أن الاتصال لم يكن منقطعاً بين الرواية في مرحلة النشأة والتلقائية وبينها في مرحلة النضج .

٦ - فإن المرحلة الأولى كانت تمهيداً وبداية الطريق بالمرحلة للمرحلة الثانية .

وقد عرفت الرواية - سلوكا أدبيا - خلال العصر الجاهلي والقرن الأول الهجري ، والتأني إلى أواخره عرفت في الشعر أول ما عرفت حين كان الشاعر يتخذ له رواية مصاحبين له ، يختصون بإذاعة شعره ونشره ، ثم يتلقاه سائر الرواة فيخرجون به ، ويكتسبون بحفظه واستظهاره كربة على قول الشعر وصقل ملكاتهم الإبداعية .

كما كان حرص العربي - منذ الجاهلية - على استظهار الآثار الأدبية من جهة ، ونقلها وتداولها من جهة أخرى ، أساسا هاما ، قدّموه للأجيال بعدهم ثم غدا هذا الأساس بين أيدي الرواة العلماء ليقيموا عليه صرح الرواية وينزعوا في طرائق النقل والأخذ ، ويدعموا الحفظ بالتدوين ، ثم يتخذوا من التدوين الموثق مصدرا للتأليف .

لكن . ما العلاقة بين رواية الأدب ورواية الحديث ؟

والجواب في أوجز عبارة : أنها علاقة أخذ وإعطاء . فرواة الأدب قد قدموا لرواة الحديث تقاليد بسيطة ساذجة كالحفظ ومحاولات التدوين ، ثم انتفع حملة الحديث ونقلته بتلك التقاليد البسيطة ، فكان دورهم التفاضل تلك التقاليد الساذجة وتطويعها وتحويلها إلى ظاهرة علمية تنعم بتقاليد مؤكدة واضحة .

فرواة الأدب قد طرحوا في أحقل الفكر بذورا ، تمهّدا لرواة الحديث ، ثم عاد رواة الأدب فانتفعوا بغرس أهل الحديث وجناهم .

ولم تقف الرواية الأدبية عند اعتاب الجاهلية وصدر الإسلام بل ظلت كائنا فكريا حيا في وجوده وامتداده الزمني ومقدرته على التفاعل ، تأثرا بالظواهر الحضارية وتأثيرا فيها ، وظل هذا الكائن الفكري طوال أكثر من سبعة قرون يحافظ على التراث تدوينا وتوثيقا وتحقيقا ، ثم ضعف عن

أداء تلك المهمة ، لكنه مع ضعفه ظل تأثيره قائماً ممتداً في ميادين أخرى ، غير ميدان الحفاظ على التراث ، ومنها ميدان التعليم .

ثمة سؤال آخر يطرح نفسه ، وهو :

هل اقتضت الرواية على العرب ، دون غيرهم من الأمم الأخرى ؟

والجواب أن الرواية على النحو العلمي الدقيق في تركيبه كما عرفها الفكر الإنساني عند المسلمين ، كانت ظاهرة مقصورة على المسلمين دون غيرهم من الأمم الأخرى . والفضل في ذلك كما تكررت الإشارة ، يرجع إلى أهل الحديث الذين منحوا الرواية شكاًها العلمي المتكامل ، وجوهرها الفكري الأصيل ودافعهم إلى ذلك ديني بحت وهو المحافظة على الأثر النبوي من الضياع وعبث (أو اضيع) وأهل العقلة .

الرواية - إذن - نشأت عند العرب ، واكتملت في حجر الفكر الإسلامي ، ووجدان التدين .

وبالنسبة للأثار الأدبية ، فقد كان الدافع إلى روايتها وجمعها في بداية الأمر دافعاً دينياً هدفه الحفاظ على اللغة وتوثيقها لفهم كتاب الله وحديث نبيه .

وقد حفزهم هذا تقدم على جمع الأشعار جاهليها وإسلاميها ثم صار سلوكهم العلمي نهجاً مرغوباً من سائر الأجيال التي جاءت بعد ذلك .

ومن الحق أن نقرر بأن ثمة ظواهر مشتركة بين العرب والأمم في أسلوب حفظ الآثار ، وتأخذ اليونان نموذجاً نتجه إليه بالمقارنة .

فقد عرف اليونان (الرواية الشفوية) أي استخدام الذاكرة في حفظ الآثار ونقلها ، وليس لدينا تفاصيل تاريخية

الروائيين

دقيقة حول هذا الموضوع أكن الشتات القليل مما نعثر عليه
فى تضاعيف المراجع ، قد يعطينا ولو جزءا من الحقيقة •

فقد عرف اليونان — منذ أقدم العصور — ظاهرة الشعراء
الـجـوّالين: أولئك الذين كانوا ينتقلون من بلد إلى آخر ،
وبشأنهم يقول سارتون : (ومن الممكن أن نفترض أن أكثر
الشعراء المتجولين لم يختلفوا عن الموسيقيين الحاليين ،
الذين ينتقلون فى العصر الحاضر من مكان إلى آخر ، يؤدون
مقطوعات حفظوها ، وإن أضافوا إليها شيئا ، فهو قليل) (١) •
وقد اعتمد فى أولئك الشعراء المتجولين على الذاكرة
الحافظة والأداء الجيد (٢) •

إلا أن بعض هؤلاء — وهم قلة — قد حاولوا أن يتصرفوا
فى مروياتهم من الآثار الشعرية ، فيضيفون ويحورون
ويبتكرون قصائد جديدة يضمونها إلى ما روه من القصائد •

وهنا نشير إلى ملاحظتين :

الملاحظة الأولى :

أن الرواية الشفوية — عند اليونان — قد أعانت على إيجاد
(مواهب ابتكارية) •

تماما كما صنعت الرواية الشفوية للأشعار عند العرب (٦)
حيث ظلوا يعتبرونها الوسيلة لضقل المواهب والعون على
الابتكار والابتداع •

الملاحظة الثانية :

أن أهل الغناء عند أمة اليونان قد أشبهوا أهل الغناء عند

(١) سارتون : تاريخ العلم (ط دار المعارف) ترجمة محمد خليف الله
أحمد وآخرين ٢٨٩/١ •
(٢) نفس المرجع والصفحة •

العرب من التصريف فيما وعته ذواكرهم من الأشعار، وكذلك كان صنيع المغنى العربى أحيانا، إذ سمح لنفسه بقدر من التصرف فى مرويياته الشعرية التى لحنها وأداها غناء، فأدخل آثار شاعر فى قصيدة شاعر آخر إرضاء لحاسته الفنية . وكان أبو الفرج الأصفهاني من أوائل من نبهوا إلى تلك الظاهرة (١).

ولقد كان الشاعر هو ميروس صاحب الإلياذة الشهير من أولئك الشعراء المغنين الذين احترفوا الغناء المتجول، وأعانتهم الرواية الشفوية لآثار الشاعر على الابتكار، وليست ملحمة - التى ذاعت شهرتها فى الآداب العالمية - إلا صورة للابتكار المستمد من الرواية والحفظ (٢). وفى هذا الصدد يقول سارتون : (والشاعر الذى اصطلاحنا على تسميته هو ميروس، كان أكثر هؤلاء الشعراء المتجولين نجاحا . ومع أنه من المحال أن نعرف مقدار مبتكراته ولكن يمكن أن نفترض - ونحن مطمئنون - أنه مهما كانت كمية هذه المبتكرات، فإنه ورث أكثر منها عن أسلافه، وأنه أعان على تخليد أحسن ما ألف السالفون .

ومن المحتمل أنه كان ناشرا عبقريا، جمع أفضل ما وصل إليه من قصائد، وصقلها بماله من مقدرة فنية، فجعل منها وحدة واحدة . وهذا الفرض يساعدنا على شرح وحدة الإلياذة، كما يعلل أيضا سقطاتها التى تطالعا بين حين وآخر من أمثال التكرار، الذى لا تدعو إليه ضرورة، وأمثال الانتقال بطريقة غير سليمة (٣).

وكما كان هو ميروس نموذجا للرواية الحافظ، والرواية المبتكر فى الوقت ذاته، فإن من خلفه من الرواة قد لعبوا دورا

(١) انظر - مثلا - الاغانى ١٢.٧٥/٩، ٢٢٥/١٦، ١٤٩/١٦ .

(٢) تاريخ العلم لسارتون ٢٩٠/١ .

(٣) تاريخ العلم لسارتون ٢٩٠/١ .

كبيراً في حفظ ورواية آثار ذلك الشاعر العظيم ، الذي نقلت اليها الآداب العالمية آثاره وأخباره عن طريق المصادر المختلفة .

٦ إن هؤلاء الرواة الذين خلّفوا هوميروس (كانوا بكل ما في هذه الكلمة من معنى - حفظة الروايات التي يتناقلها الناس عن هوميروس واتسع انتشار النص المسمى لأشعار هوميروس بين الناس ورُسخت (١) شهرة هوميروس بين أبناء جلدته في القرن الخامس) قبل الميلاد

وكما كان العرب يروون الأشعار لاكتساب الفضائل من شجاعة وكرم وعفة ومروءة (٢) فكذلك شاع بين اليونان - وبخاصة في القرن الخامس قبل الميلاد - حبّ الأبناء أبناءهم على حفظ آثار هوميروس حتى ينتموا إلى أهل الفضل (٣)

وكما شاع الجدل بين جمهور الباحثين حول قضية (التدوين الأدبي) لدى الجاهليين فقد طرح الموضوع ذاته ضمن مباحث المتخصصين في الدراسات الإغريقية القديمة (بل تكاد تكون الصورة متطابقة بين الفريق الأول والفريق الثاني . (ت ٤٦٣)

فهو الباحثين العرب من أيّد قيام (تدوين أدبي) في الجاهلية ، من هؤلاء قديماً ابن رشيق (٤) ، وحديثاً الدكتور ناصر الدين الأسد (٥) . (د ٤٥٥)

ومنهم من رفض هذه الفكرة ، كالجاحظ في القديم (٦) ،

(١) ذاته ٢٩٦/١ .

(٢) من ذلك ما ورد من قول عائشة (ترووا شعر حبيب بن المصعب

فانه يعين على البر) لسان العرب (مادة روى) .

(٣) تاريخ العلم لسارتون : ٢٩٦/١ .

(٤) العمدة (ط هندية) ٢٦١/١ .

(٥) مصادر الشعر الجاهلي ١١٦، ١١٥ .

(٦) الحيوان (بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٣٨) ١٠٥ .

والدكتور شوقي ضيف في الحديث (١) .

فأما في ميدان الدراسات اليونانية القديمة فيقول سارتون : (الحضارة الإلجية عرفت الكتابة . . . لكن استخدامها اقتصر على النفوش والمدونات القلمونية أو السحرية والقوائم الحسابية ، وغيرها من المتون الفنية القصيرة ، دون أن يدور بخلد شاعر متجول أن يستعملها في الأغراض الأدبية) (٢) .

وتفيدنا ملاحظات سارتون فائدة جمة فيما احتوته من الحقائق الهامة المتعلقة بدراسة السلوك الحضارى لدى الإنسان بصفة عامة وذلك حين يقرر بأن تأخر استخدام الكتابة على نطاق واسع بعد اكتشافها هو (حقيقة لا تقتصر على بلاد اليونان فحسب ، بل هي حقيقة هامة أجمع عليها باحثون في علم الإنسان ، وفي علم لغة المقارن) (٣) .

(والمواقع أن مرحلة من الزمان تمتد أحيانا الى عدة قرون تكون بين اختراع الكتابة ، وبين انتشار استخدامها) (٤) .

كما يفيدنا ما يقرره أيضا من أن هوميروس لم يعن بتدوين آثاره الأدبية ، بل لم يكن يدور بخلده ذلك والسبب هو عدم (اختراع أدوات الكتابة لم تكن أوراق البردى ميسورة في بلاد اليونان حتى بداية الأسرة السادسة والعشرين المصرية أسرة صبا الحجر) (٥) أي أثناء حكم بسماطيك الأول (٦) .

ومن الملاحظات الهامة التي تمدنا بها ملاحظات سارتون ما أبداه بخصوص ظاهرة (الرواية الشفوية) إذ يقول :

(١) تاريخ العلم ٢٩٢/١

(٢) تاريخ العلم ٢٩٣/١

(٣) تاريخ العلم ٢٩٢/١

(٤) تاريخ العلم ٢٩٣/١

(٥) تاريخ العلم لسارتون ٢٩٢/١

(٦) تاريخ الأدب العربى (ط دار المعارف) ١٥٨/١

(من الصعب علينا إلى حد ما أن نفهم الرواية الشفوية
تمام الفهم ، لأنها مقدرة على استذكار قصائد طويلة . وهي
ملكّة كاد الإنسان يفقدناها في العصر الحديث فقدانا تاما غير
أن هذه الملكة توافرت لبعض الأفراد في العصور القديمة إلى
درجة تكاد لا تصدق لو لم تكن لدينا أدلة كثيرة عليها (١) .

وهذه الملاحظة تهدنا في موقفنا إزاء ما تقرره الأخبار من
سعة مرويات الرواة الأوائل ، تلك السعة التي اتخذها
بعض الباحثين (٢) دليل إدانة ضد صحة الآثار الجاهلية ،
فاعتبرها سببا من أسباب الانتحال للأشعار الجاهلية وشاعدا
عليها .

تلك لمحات مرجزة عن (رواية الأدب عند اليونان) - من
خلال باحث مؤرخ في الفكر العالمي ، ويتبين من بحثه
وتاريخه أن قدرا مشتركا من القضايا المتعلقة بالرواية قد
قام في الأدبين العربي واليوناني وأثارة الدارسون للأدبين ،
وأبرز هذه القضايا المتارة : الرواية الشفوية والتدوين الأدبي
قبل انتشار الكتابة وتقدم وسائلها ، والحفظ ودوره في تنمية
الملكات الأدبية ، وظهور الابتكار الأدبي ، ودور الحفظ أيضا
في غرس الفضائل النفسية وتهذيب السلوك الخلقى .

ونحن نتوقع أن تكون مثل هذه القضايا بمثابة الطواهر
المشتركة لا بين الأدب العربي واليوناني فحسب ، بل بين
الأدب العربي وسائر الآداب العالمية ، فهي إذن نسوع من
السلوك الفكري المفروض ، والبديهي ، ما وجد أدب لأمة ،
وتراث فكري لها .

(١) نفس المرجع .

(٢) طه حسين : في الأدب الجاهلي (ط دار المعارف) ص ٧١ ، ٧٢ .
انظر أيضا :
مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب (ط التجارية) ١٧٩

ولكن هناك حقيقة جديرة بالتسجيل : وهى أن قيام هذه الظواهر ، لا يعنى بلوغها مبلغ (الظاهرة العلمية الدقيقة المعقدة) التى بلغتها الرواية عند المسلمين ، حتى تحولت التقاليد البسيطة إلى منهج علمي متكامل ، وأسلوب فكري راسخ .

إذا كان ثمة ما يجب إضافته من الحقائق هنا : فهو ضرورة اتجاه الدارسين فى التراث العربى إلى مجالين :
أولا : دراسة أساليب وطرائق الأمم - قديما - فى حفظ تراثها الأدبى على نحو أكثر اتساعا وعمقا .

وتقاليدها

الثانى : دراسة أساليب وطرائق الجماعات البسيطة فى حفظ ونقل الآثار الشعبية ، وبخاصة تلك الجماعات المستقرة فى القرى والبادى فإن ذلك جدير بأن يضعنا أمام واقع الرواية فى نشأتها البسيطة وتقليدها الساذجة وأن يوقفنا على الكثير من ظواهرها ، كالحفظ والتدوين ، ودور الرواية فى تنشيط (الملكات الابتكارية) .

ولقد أتيت لكاتب هذا البحث أن يمدش أطرافها من تجربة انتقال التراث الشعبى وروايته فى بعض بوايدى ليبيا ، وعلى وجه التحديد فى بادية سرت (١) ، ولست بنفسى مدى ما يتمتع به الإنسان البدوى من صفاء الذاكرة والمقدرة الفذة على حفظ الآثار الشعرية لغيره ولنفسه أيضا ، ثم كيف أعانه هذا الحفظ على الارتجال لما يبتكره من القصائد بديهة دون سابق إعداد أو تنقيح .

وقد لمس كاتب هذا البحث ظاهرة (الرواة المصاحبين)

(١) وتقع سرت على الساحل الليبى مطلة على خليج سرت بين بنغازى شرقا وطرابلس الغرب من جهة الغرب ومن بوايدى بادية (أبو هادى) التى تبعد عن الساحل إلى الجنوب لمسافة ٢٢ كم وبادية النوفلية شرق سرت بمسافة ١٤٠ كم تقريبا بعيدة عن الطريق الساحلى لمسافة ١٢ كم تقريبا .
وأهلها عرب خلص

للشاعر ، وهم في الغالب أقاربهم وذوورجهم ، وكيف أن هؤلاء الرواة المصاحبين له يتخرجون بالرواية ويستعينون بها على تقويم ملكاتهم .

وإذا كان (تاريخ الدراسات اليونانية) يوقفنا على دور الغناء في رواية الأشعار وإذاعة الآثار فيما عرفناه عند الشعراء المغنين والتروبادور ، ومما عرفناه لدى هوميروس بالذات ، فإن اقتران الغناء بالرواية ، ودور المغنين في رواية وإذاعة الآثار كان أمرا قائما بالنسبة للآثار الشعبية الشعرية في بعض بوادي ليبيا ، فإن الغناء يلعب دورا هاما في رواية ، وأن الكثير مما يبتكره كان ملحنا منغما بقصد التلغنى به في حفلات العرس وغير العرس من المناسبات .

وفي هذا البحث نبدأ مع بداية القرن الرابع الهجري الذي اتصلت أسانيده بالقرن الثالث وما قبله ، وورث عنه مصادره وتقاليد الرواية ناضجة ، وكان شيوخ الرواية في القرن الرابع تلاميذ رواة القرن الثالث .

لكن رواية الأدب في القرن الرابع قد تجاوزت مرحلة النضج إلى مرحلة الازدهار ، يتمثل هذا الازدهار فيما يلي :

١ - اتساع حركة التأليف وازدهارها ، وهي حركة قامت فيما قامت - على الرواية .

٢ - تأكيد الالتزام بأسلوب الوثائق المتعارف عليه لدى جمهور الرواة ، وهو الإسناد ، ذلك التأكيد الذي تمثل في شدة العناية بالإسناد باعتباره تقليدا هاما لتوثيق الآثار .

٣ - ظهور مصادرات اتسمت بالاتساع والشمول ، وجمع ما تفرق من الآثار على مدى القرون السابقة قبل القرن الرابع وإثناؤه ، وكان كتاب الأغاني أوضح مثل ذلك .

٤ - التوسع والتخصص في مقاومة التحريف الذي دب

لذكر

إلى الآثار ، وتمثل ذلك في ظهور مجموعة من الكتب توافرت على شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، بعد أن كان رواة ما قبل القرن الرابع يكتفون بإشارات ، يضمنونها كتبهم ، أو يتداولونها في مجالسهم ، وقد ظهر في ذلك كتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) لأبي أحمد العسكري ، وكتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) لحمزة الأصفهاني ، وكتاب (التنبيهات على أغاليل الرواة) لعلي بن حمزة البصري.

٥ - كان من مظاهر ازدهار الرواية خلال القرن الرابع أيضا ما نلاحظه من الاهتمام بآثار الشعراء المحدثين ، لجعلهم محاولة من الرواة المتحمسين لهذه الآثار ، بإقناع الذوق العام بقبولها وسوغها ، بما احتوته من صيغ جديدة ، ومعالجة جديدة ، .

وفي القرن الخامس نهض الثعالبي بعبء الرواية لآثار المحدثين ، ممن عاشوا عصره: كتابا وشعراء ، وصنف الثعالبي أول مصدر موسّع في هذا المجال ، وهو كتاب (يتيمة الدهر) وقد في تبويبه ، وجمع مواده ، وتحرير عبارته منحي خاصا ، أحله مكانا خاصا ، وجعله - فيما بعد - قدوة أهل التصانيف والرواية بعده ، كالباخرزي والعماد الأصبهاني ، وسجل أنارا مشرقية ، وأخرى أندلسية ، واعتمد الرواية - مصدرا من أهم مصادره ، وأثار في تضاعيف كتابه قضية الانتحال المتعلقة بالسري الرفاء ، وكشاجم ، والخالديين حيث عمد السري الرفاء إلى دس أشعار الخالديين في ديوان كشاجم ، كما سرق الخالديان من السري أشعارا ، ولم يكتف الثعالبي بعرض القضية ، بل قطع فيها برأى ، وأدلى بحجة .

وقد أثرت أن نسمى هذه الحقبة التي ظهر فيها مصنف الثعالبي (عصر اليتيمة) ، والحقنا بها القرن السادس ، لظهور (٢ - الشعر)

طائفة من المؤلفات ، حدث حذو الثعالبى ، وانتسبت الى طريقته فى الرواية والتصنيف .

فإذا اتجهنا صوب القرن السابع : لاحظنا كثرة التألف فى التثنية والتراجم ، معتمدة على الرواية ، زاهرة بالآثار الأدبية على تفاوت فى أبعاد العناية بين أصحاب تلك السير ، من قضاة ، وأدباء ومؤرخين واندلسيين .

ولهذا كان من المناسب أن نطلق على القرن السابع (عصر التراجم) ونخصه مع سائر القرون بكتاب مستقل .
أما القرن الثامن ، فهو الذى شهد بدايات الضعف فى رواية الأدب ، وقد أثبتنا ذلك بجمل من النصوص قامت من دعوانا مقام الشاهد والدليل يراها القارئ فى كتابنا المتقدم .

وخلال القرنين التاسع والعاشر ، تحولت الرواية الأدبية تحولاً ملحوظاً نحو (التعليم) ، ولا يعنى ذلك أن الرواية قد انفصلت عن التعليم فى أى عصر ، فقد اقترنت به دائماً ، ومنذ النشأة ، لكن لوحظ أن الرواية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، قد اقتصرت على التعليم ، وتحولت عن وظيفتها الأساسية ، وهى (حفظ ونقل وتوثيق التراث) .

وبذلك تكون رواية الأدب ، قد مرت بمراحل نجلها فيما يلى :

- ١ - مرحلة النشوء : وتمتد من العصر الجاهلى ، إلى أواخر القرن الثانى الهجرى .
- ٢ - مرحلة النضج : وتمتد ما بين أواخر القرن الثانى وأواخر الثالث .
- ٣ - مرحلة الازدهار : وتشمل القرن الرابع الهجرى على امتداده .
- ٤ - عصر التثنية : ويضم القرنين الخامس والسادس الهجريين .

٥ — عصر التراجع : وتقصد به القرن السابع ، وقد تميز بالتأليف العلمى فى سير العلماء والرواة ، واعتمد (الرواية) مصدرا أساسيا له (١) .

٦ — بدايات الضعف : حيث قلّت العناية بالرواية ، وبدأ الاتجاه بها نحو التعليم ، وذلك خلال القرن الثامن .

٧ — المرحلة التعليمية : وهى امتداد للمرحلة السابقة ، لكن بدأ التعليم فيها ، أكثر (ضوحاً فى الرواية) ، وتخلفت الرواية عن هدفها فى حفظ التراث .

وتعمد تلك المرحلة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

وتعد — من وجهة نظرنا — النهاية الحقيقية للرواية الأدبية :

على أن الرواية بالمفهوم الذى تبناه هذا البحث ، وتصدى لعرضه ، ليس ذلك المفهوم الضيق ، الذى شاع بين جمهور الباحثين ، وهو مجرد الاعتماد على الحفظ والاستظهار ، بل الرواية التى قصدناها هى (ذلك المنهج العلمى النشط الذى وجه جوانب النشاط العلمى عند المسلمين فى مجالات أربع) الأول : جمع التراث وحفظه .

الثانى : تناقله وإذاعته على امتداد الزمان والمكان .

الثالث : تحقيق التراث وتوثيقه .

الرابع : تعليمه وتحصيله من أجل الحفاظ على مواصلة الإنتاج الفكرى .

وبهذا المفهوم ، كانت الرواية منهج الفكر السائد فى شتى مجالات المعرفة الإنسانية لدى المسلمين ، سواء فى السنة الشريفة ، وهى فى الذروة من الاهتمام ، أو فى الأدب ،

(١) هذا العصر وما بعده ينشر فى كتاب مستقل بإذن الله .

تأليف
أ. م. م. م.

بل وفى غير الأدب من المعارف الفلسفية والطب والعلوم ،
بل إن إلقاء قواعد الرياضيات وإحقاقها ، وتنقلها كان
بطريق الرواية (١)

ولقد وجهت الرواية كل سلوك يستهدف المعرفة وطبعه
بطابع خاص وحاطته بسياج من التقاليد ، والذائع التى
تجعله يعمل وينشط داخل إطار محدد ، فوضعت للتعليم نهج
بل وللتنشئة نهج ، وللورقة نهجها ، كما قدمت للعلماء معايير
وموازن لضبط ما ينقلونه عن الآخرين ، ثم لحفظ ما ينتجونه
هم ، أو يقدمون من المعارف المختلفة .

ذلك فى تصورنا مفهوم الرواية ، الذى استهدفنا عرضه ،
وحشدنا - فى حدود اجتهدنا - شتى الظواهر والشواهد
التي توضح وترسم أبعاده وملامحه وعند الدخول فى
التفاصيل يتضح ما مهدنا به من إجمال والتفصيل .

يبقى بعد هذا أن نثبت هنا حقيقتين نلتقى بهما مع قارئ
هذا البحث :

الحقيقة الأولى : أن الرواية لا تتفك عن حدودها الضيقة ،
التي هى مجرد الحفظ والشفافة بل أنها ذلك المنهج العلمى
المتكامل القائم على تقاليد وأصول ، الذى يهدف إلى جمع
وحماية الآثار وتوثيقها عبر الأزمنة .

الحقيقة الثانية : أن الأدب الذى عنينا بدراسة روايته ،
هو الأدب بالمعنى الخاص ، أى الآثار الفنية شعرا ، ونثرا (٢)
ورأى كانت هذه الدراسة قد اتجهت صوب الآثار العلمية ،
فإن ذلك لم يكن إلا فى حدود ضيقة ، وبالقدر الذى يكشف
عن طبيعة العلاقة بين الآثار الفنية ، والآثار العلمية ، وهى

(١) انظر - مثلا - بغية الوعاة للسيوطى (تحقيق محمد أبى الفضل
ابراهيم) ٢ : ٢٩

علاقة لا مفر من تجلية أبعادها إذا وضعنا في اعتبارنا أن الرواية ظاهرة علمية عامة متداخلة الحدود ، متشابكة الأجزاء ، ومن هنا يفتن الفصل بين رواية الآثار العلمية ، من حديث وتاريخ ولغة وفقه ، ورواية الآثار الفنية من شعر ونثر فني .

إذن : كان لابد من الاختصار هنا على رواية الآثار الفنية ، مع التعرض - أحياناً - للآثار العلمية ، بالقدر الذي يهم دراستنا . والآن نحاول أن نمضي إلى المباحث الأساسية للكتاب ، التي يشكل التمهيد مدخلاً لها ، بادئين بدراسة للأصول وتقاليدها .

والتقاليد

الباب الأول

في الأصول والتقاليد

الفصل الأول الإسناد

· الإسناد سمة علمية هامة من سمات العلوم عند المسلمين وتقليد من تقاليد الرواية لديهم ، اختصوا به دون سائر الأمم ، حتى قال ابن كثير « ليس أمة من الأمم يمكنها أن تسند عن نبيها إسنادا متصلا غير هذه الأمة » (١) .

كما جاء في معرض حديث صاحب « الباعث الحثيث » عن الإسناد قوله : « حُصِّت الأمة الإسلامية بالأسانيد والمحافظة عليها حفظا للوارد من دينها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست هذه بالميزة عند أحد من الأمم السابقة » (٢) .

والإسناد - في السنة - أساس قوى لضمان توثيق آثارها المروية ، وحمايتها من التزييف ، ومن هنا كان قول الزمخشري (والأسانيد قوائم الحديث) (٣) .

ومعنى هذا أن الإسناد - وهو أصل من أصول الرواية - إنما هو وليد رواية الحديث ، اقتبس من المحدثين رواية الأدب كما اقتبس رواية العلوم الإسلامية الأخرى وبخاصة علماء القراءات .

وقد عرّف رواية الأدب هذا التقليد ، منذ بدأت حركة التدوين العلمى ، والتأليف فى آثار وعلوم الأدب خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين على يد :

(١) ابن كثير : اختصار علوم الحديث ص ١٥٩ (ط صبيح)
(٢) العلامة أحمد شاكر : (الباعث الحثيث) وهو شرح المرجع السابق ص ١٥٩

« أمثال أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي ، وإحماد ثم على يد أمثال أبي عبيدة والأصمعي وابن قتيبة وابن سلام والجاحظ » (١) .

وقد لوحظ أن رواية القرن الثالث الهجري قد تفادوت - فيما بينهم/درجة التزامهم بتقاليد الإسناد .

فالجاحظ وابن قتيبة كانا أقل التزاما للإسناد من ابن سلام/وهما أيضا ، ويضاف إليهما المبرّد ، في أواخر القرن الثالث الهجري ، كانوا أقل التزاما أيضا من ابن المعتز/وأواخر القرن الثالث الهجري أيضا وذلك في كتابه (طبقات الشعراء) (٢) .

أما القرن الرابع ، فإن التزام تقليد الإسناد بين رواة كان أوضح مما كان عليه فيما قبل القرن الرابع - والدليل بين أيدينا من المصادر الأدبية التي تركها رواية هذا القرن وعلماءه وبخاصة أمالي القائل ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وهما أكبر المصادر الأدبية في تلك الحقبة ، ثم في عديد من المصادر الأخرى كالموشح للمرزياني ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري . ولعل السر في هذا الاهتمام من جانب رواية القرن الرابع يكابله اهتمام أقل من رواية القرنين الثاني والثالث يرجع إلى أمرين :

الأمر الأول : أن رواية القرنين الثاني والثالث قد اعتمدوا على الثقة بهم ، واستفاضة هذه الثقة بين جمهور المتأديبين ، فمن هنا كان تجاوز الكثيرين منهم عن الإسناد بينما كان رواية القرن الرابع مقتصرين إلى ضرورة توثيق مروياتهم ، بحكم البعد الزمني الذي يفصلهم عن الرواة الأوائل ، ثم حاجتهم إلى الارتباط بهؤلاء الرواة الأوائل .

(١) فسانا ذلك في بحث الماجستير .

(٢) انظر ذلك مفصلا في موضعه من رسالتنا للماجستير ، مع حديث مفصل عن ابن سلام وعنايته الخاصة بالإسناد ودراسة دوافعه وتقاليد .

الامر الثاني : أن القرن الرابع هو العصر الذهبي الذي نضجت فيه علوم الحديث وبالتالي تأكدت تقاليد المحدثين ، ومن ألزمها الاسناد ، ومعنى هذا أن رواية الحديث قد تركزا وعيا بتقاليد الرواية انعكس أثره عند رواية الآثار الأدبية .
وأول ما يلاحظ على الأسانيد في القرن الرابع ، أنها تتصل بعمدة الرواة الذين يمثلون عنصر الوصل بين هذا القرن وما قبله ، مثل ابن دريد ، وابن الأنباري ، وأبي بكر الصولي .
ونقطويه والأخفش . (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)

ملاحظة أخرى : أن رواية القرن الرابع قد تحققت لأسانيدهم صفة الاتصال بالشعراء الإسلاميين ، وكان هذا الاتصال هو السمة الغالبة ، وكان الفضل في ذلك يرجع إلى اتصال أسانيدهم بمن تقدم ذكرهم ، ممن أطلقنا عليهم اصطلاحاً - (عمدة الرواة) ، ثم تجاوزهم إلى الجيل الأول من الرواة ، أمثال الفضل الضبي ، والأصمعي وأبي عبيدة .

ونتيجة للاهتمام بالاسناد ، والوعى بالتزام تقاليد الرواية في القرن الرابع ، بدأ العلماء يستخدمون في تقديم للنصوص ما يطلق عليه عند المعاصرين (النقد الخارجي) :

فيقبلون النص ، أو يرفضونه على ضوء ما عرف به الرواية له من عدالة ، أو ما رمى به من التجريح وهذا ما نلاحظه لدى أبي الفرج بالذات ، ونولييه مزيد تفصيل في موضعه (١) .

(١) انظر على سبيل المثال الأغانى : ٥ / ١٢٠٢٨٤ ، ٥ / ٢٣٦ / ١٥ ، وانظر أيضا أمالي القائل : ٢ / ٤٠ - ٤٩ ، ٥٠ - ٦٦ .

ومعنى هذا ان الإسناد صار عنصرا أساسيا فى رفض الأثر أو قبوله . وقد اكتسب الرواة الاربية على التحقيق والتمحيص من اشتغالهم بالحديث من جهة ، ثم لما أثارت المناقشات الحارة حول قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى ، وما تواتر الحديث عنه بشأن اتهام حماد وخلف الأحرار وتكذيبهما ، وهو جدل عرضت فى ساحاته مقاييس هامة ، ومعايير بالغة الخطورة صارت تراثا يصدر عنه أهل الرواية والتحقيق .

ويقيدنا الإسناد أيضا فى إلقاء الضوء على بعض رجاله ، من حيث صفاتهم أو طبيعته علاقتهم بالرواية ، أو عن مكان ، أو زمان الرواية مما يضيف حقائق هامة الى طبيعة الآثار الروية .

ولتوضيح ذلك نقول : إن الرواية أحيانا كان فى سياق سرده للأسانيد يصف من روى عنه الأثر ، كقول أبى بكر الصولى فى معرض بعض أسانيد : (وقد كان ابن مهورية هذا يسمع معنا من المغيرة بن محمد المهلبى وغيره بالبصرة ، ولم أسمع منه شيئا عن الحمدي) (١) - الرصوى)

أو قول الأصفهانى فى الأغاني أثناء روايته عن اسماعيل بن يونس (حدثنى اسماعيل بن يونس الشيعى) (٢) على أننا فى القرن الخامس الهجرى - وقد حافظ كثير من الرواة على أسانيد رواياتهم ، نلاحظ أن من الرواة من يصف لنا زمان ومكان أخذه كقول (القارى) فى بعض أسانيد كتابه : مصارع العشاق : (أخبرنا أبو بكر محمد محمد بن أحمد الأردستانى بقراءتى عليه بمكة فى المسجد الحرام بباب الندوة فى عام ٤٤٦ هـ (٣) أو قوله (٠٠ بمصر)

(١) الصولى : أخبار أبى تمام ٢٦٣/٢

(٢) ١٢٤/٦ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٠٤

(٣) مصارع العشاق ١ / ١٢

(١) (٠٠٠ بالشام ٠٠) (٢) أو (٠٠ بالكوفة ٠٠)
(٣) أو (ما بين نيماء ووادي القرى) أو (بالكوفة ٠٠)
صادرا من مكة) ، (فرأيت صخرة عظيمة ملساء ، فيها
ترييع بقدر ما يجلس عايتها النفر كالدكة ، فقال بعض من
كان معنا من العرب - وأظنه جهنيا - هذا مجلس جميل
وبئس غارفه (٤) .

وأهمية هذه الصفات والتحديدات تتمثل في كونها تطلعنا
على طبيعة المصادر التي نقل الراوية عنها وطبيعة الأصقاع
التي تنقل خلالها في رحلة روايته ، والتطور الزمني لنشاطه
العلمي مما ينبغي أن يوضع في الاعتبار عند أي محاولة
لدراسة آثاره الفكرية .

فراوية أبي الفرج - مثلاً - (اسماعيل بن يونس
الشيعة) تعطينا فكرة عن حرص الأصفهاني على توثيق
الشيعة ورواتهم ، لأنهم يمثلونه مذهباً ومشرباً ، إذ كان
شيعياً أموياً .

وأوصاف (القاري) لأماكن روايته توقفنا على الأماكن
التي انتقل خلالها ، والحرص على معاينة الأماكن ذات
الصلة بطبيعة مروياته كما لاحظنا في إسناده الأخير بشأن
المكان الذي كان يجلس فيه جميل وبثينة .

ولقد تأكد خلال القرن الخامس وما بعده ، حرص الرواة
على توثيق المرويات بالأسانيد حتى كان العالم إذا ما روى
أثراً من الآثار طالبه الآخذون عنه بسند ما روى لتوثيق تلك

(١) نفسه ٢٣ / ١

(٢) نفسه ١٠٣ / ١

(٣) نفسه ١٩٩ / ١ - ٢٠٠

(٤) نفسه ٢٠٧ / ١ القاري = هو جعفر بن أحمد المعروف بالسراج
القاري اللغوي ت ٥٠٢ - وانظر بغية الوعاة ٤٨٥ / ١

- أى تلاميذ المعري -

- ٣٠ -

المرويات . قالقسطي - مثلا - يخبرنا بأنه شاهد على ظهر نسخة من كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت يقرب أن يكون بخط المعريين (أن الخطيب التبريزي قرأه علي أبي العلاء المعري وطالبه بسنده متصلا . فقال له : إن أردت الدراية فخذ عني ولا تتعد ، وإن قصدت الرواية ، فعليك بما عند غيري) كما يذكر القفطي أيضا أن أبا الفرج البصري طلب من شيخه ابن بشران (ت ٤٦٢ هـ) إسناد كتاب (الحماسة) بعد أن رواه عنه (٢) .

وإزاء هذا التقليد الذي تأكد خلال القرنين الرابع والخامس وما بعدهما ، فقد كان ما يُرمى به الرواة عند تجريحهم ، وإلحاق الظنة بهم هو (تلفيقهم للأسانيد) ، فابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥ هـ) واحد رواة الأدب في القرن السادس الهجري ، اتهمه البعض بأنه عندما دخل مصر ورأى رغبة المصريين في الاشتغال بكتاب الصحاح للجوهري (ت ٣٥٠ هـ) ركب لهم إسنادا ورواه (٣) ، حتى قيل عنه : في معرض التشهير به (لهذا كان نقاد المصري ينسبونه إلى التساهل) (٤)

وحرصا من الرواة على الأسانيد ، نوثقا لمروياتهم ، اتجهوا إلى تصنيف فهرس تضم مروياتهم . كل على حده مدعمة بالأسند المتصل ، المذكور في أثنائه طرق الرواية ، مع الموازنة بين الطرق المختلفة قوة وضعفا ، فعل ذلك علماء

(١) انباء الرواة ٦٩/١ وانظر أيضا : ٢١٦٢ والمراد بالمعريين تلاميذ أبي العلاء من بينهم التبريزي أبو زكريا شارح القصائد العشر المتروكة عام ٥٠٢ وسبقه يرت حديث مفصل عن نشاطه العلمي

(٢) انباء الرواة ١ / ١٩٧

(٣) بنية الوعاء ٢ / ١٥٣

وأين القطاع الصقلي هو علي بن جعفر أحد علماء صقلية . نزل بمصر وأقرأ بها اللغة والأدب ولد ٤٢٣ هـ ومات بمصر عام ٥١٥ هـ .

(٤) نفسه

السُّنَّة ، ورواة الأدب ، والفلسفة ، وغيرهم من العلماء في مختلف العلوم والفنون .

فأبدن سيناؤه الفيلسوف وقد يصنع لنفسه هذا المعجم لروايته ومشايخه ، ومن صنع ذلك أبو طاهر الشَّكَّافِي (ت ٥٧٦ هـ) (١) في القرن السادس الهجري . كما قام تلميذه ابن بشكوال (ت ٥٧٧ هـ) بصنع فهرس يضم مرويات ذلك الشيخ الذي يعد من أهم الرواة الذين شهدهم القرن السادس الهجري .

النصائبي

ومن صنع القوارس لروايته شاعر الأندلس الملقب بالأعمى (ت ٦٥٩ هـ) ،

ولقد تميز رواة الأندلس على وجه الخصوص - بعناية ملحوظة بتقليد (الإسناد) ويظهر ذلك فيما يلي :

١ - التزامهم بالأسانيد في الأعم الأغلب من مروياتهم . ويتضح ذلك لمن ينظر في كتبهم ، وبخاصة تلك التي ظهرت خلال القرن السادس ، وما بعده .

٢ - أن بعض رواة الأندلس وشيوخه حرصوا منهم على الالتزام بالأسانيد مروياتهم ، يذكرهم في مقدمات كتبهم ، أسانيد مروياتهم ، حتى لا يضطروا إلى تكرارها في أثناء الكتاب ، وحتى لا يعتزوا القارئ بهذا التكرار .

فعل ذلك ابن العربي في كتابه (محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار) وابن الأثير في (الخُصلة السَّيراء) ، حيث يقول في مقدمة الخُصلة : (والذين استحضات بشعاعهم

(١) هو الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصفهاني ، أحد الحفاظ الزاخرة في القرن السادس الهجري ، رحل في طلب العلم ثم استقر بمدينة الإسكندرية . ومات بها عام ٥٧٦ هـ . وانظر وفیات الأعيان (١/٢٩) ، وشذرات الذهب ٢/٢٢٤ وانظر أيضا التكملة ٢٢/١

واستشهدوا من أوضاعهم . أتيت بالأسانيد إليهم بدءا ، ورأيت أن أضع من غناء تكرارها عبثا وكثير ممن أفاد القليل قد أحذفهم لئلا أطيل (١) .

٣ - عني شيوخ الأندلس أيضا بذكر أكثر من طريق في إسناد الأثر الواحد ، والمقارنة بين الطرق المختلفة ، كما فعل ابن الأثير في ذكره لأسانيد روايته لكتاب (أدب الكتاب) لابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ) (٢) .

وإذا كان الاهتمام بالأسانيد صفة ملحوظة لدى جمهور كبير من الرواة في القرن الرابع وما بعده ، فإن ذلك لم يمنع البعض من إهمالها ، لكنه ينبت على ستر إهماله لها ، وتركها لشأنها ، بما يشعرنا بأنه ملتفت إلى هذا التقليد ، وأنه يتوقع أن يواجه بنقد من العلماء بعد إذ سار ذلك دأبا لهم وعادة .

ويأتي هذا الحذف على صورتين :

الأولى : أن يقصد الراوية عدم الإثقال على قارئ كتابه ، ويغريه بذلك ويشجعه ، أن بعض رواة السنة كانوا ي حذفون الإسناد في رواياتهم للأحاديث النبوية الشريفة .
وممن فعل ذلك ابن عبد ربك في (العقد الفريد) وقد نبه إلى ذلك في مقدمة كتابه المذكور (٣) .

ثانيا : أن يكتفى بالإسناد إلى من نقل عنه ، دون سرد سلسلة السند اعتمادا على ما يتمتع به المنقول من ثقة وعدالة كما نجد عند راوية مثل (حمزة الأصفهاني) (٤) .

(١) ابن عري : محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار ١٢/١

(٢) التكملة لكتاب الصلاة : المقدمة .

(٣) العقد الفريد : ٤/١ .

(٤) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١٢١ .

بقى بعد هذا رأيان يعقب على كل منهما منفردا ، الاول للرافعى ، والثانى لجورجى زيدان : فأما الرافعى فيرى أنه بعد القرن الخامس الهجرى صار أمر الإسناد مقصورا على تلقى الكتب العلمية وروايتها بالسنن عن مؤلفيها ، لأن العلم كان قد نضج ، وكملت فنونه ، ثم كان لسان العرب قد أخل ، وكان أمرهم قد اختل ، فلم تعد الرواية عنهم تجدى شيئا ٠٠٠ وكان سماع الكتب وروايتها عن مؤلفيها معروفا من أول عهد التأليف . ولكن لم يكن يتباهى به إلا منذ بدأت الرواية تضعف فى القرن الرابع ، وحين كثرت الكتب (١)

وهذا رأى يشير إلى نقطتين :

الأولى : أن الإسناد بعد القرن الخامس قد اقتصر على الكتب وروايتها . الثانية : أن الرواية الأدبية بدأت تضعف فى القرن الرابع بسبب حركة التأليف العلمى . والنقطتان تتضمنان حكيمين يفتقران إلى دقة الاستقصاء لأمر الرواية الأدبية فى القرن الرابع ثم فيما بعد القرن الرابع .

فالإسناد بعد القرن الخامس لم يقتصر على رواية الكتب وإنما ظل ملتزما فى مجال الآثار الشعرية على وجه الخصوص موديلنا . فيما بين أيدينا من كتب المؤلفين قديما بعد القرن الخامس . إذ نرى هذه الكتب زاخرة بمرويات مستدة لأصحابها . من هذه الكتب (إنباه الرواة) للقفطى (ت ٨٤٨ هـ) (٢) والطالع السعيد للإدفعى المصرى (ت ٨٤٨ هـ) (٣) وإنباه الغمر بأنباه العمر (لابن حجر

(١) تاريخ اداب العرب ٢٠٨/١

(٢) ٢٥/٢ ، ١٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، ٢٩٠ - ٢٤٣ ٢٩٢

٢٨٥ - ٢٤٩

(٢) الطالع السعيد : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ومواضع أخرى * (٣ - الشعر)

٩٦٤

العسقلاني (٨٥٢ هـ) (١) وفي غير ما ذكرنا نجد أسانيد للمقرئ الجذ متصلة إلى ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) في (نفح الطيب) (٢) .
كما نجد ظاهرة الأسانيد في رواية الأشعار والأخبار في نهاية القرن التاسع ، وحتى نهاية القرن العاشر ، ففي نهاية القرن التاسع نعث على أسانيد تفوق الحصر في كتاب (الضوء اللامع) للسخاوي (ت ٩٠٢) (٣) . وأواخر العاشر تلتقى بأسانيد في طبقات الشعراء (ت ٩٨٢ هـ) (٤) .
كما نعث على آثار شعرية لرجال الصوفية ، يرويها عنهم المريدون بالسند المتصل إليهم ، مما سيجد نفعاً من التفصيل والمختار في موضعه : فالبدر الغرّي مثلاً (ت ٩٥٣ هـ) .
كان يروي قصيدة لحمد بن عراق أحد أئمة الصوفية في القرن العاشر الهجري ، وقد كان تلاميذ ذلك الشيخ يروون تلك القصيدة بالسند المتصل إلى قائلها بعد أن أدّن بهم الغرّي بروايتها (٥) .
هذا بالنسبة لرأي الرافعي فيما يتعلق . بالإسناد أما عن رأيه بشأن ضعف الرواية في القرن الرابع — فضلاً عما بعده من القرون — فموضعه عند الحديث عن أبعاد نشاط الرواية خلال القرن الرابع وما بعده . ففي رأينا أن الرواية الأدبية قد ظلت قائمة ، وإن عرضت لها أسباب الضعف في بلد دون بلد ، أو عصر دون عصر ، أو فن دون فن مما سوف نفضله عند التاريخ لظاهرة الرواية بصفة عامة في بحث مقبل إن شاء الله .

(١) ٣٢/١ — ٥٢ — ٩٢ ومواضع أخرى .
(٢) نفح الطيب : ١٧٨/٧ — ١٧٩ — ١٨٠ ومواضع أخرى .
(٣) ٢٦/١ — ٢٨ — ٣١ — ٣٨ — ٤٤ — ٥٢ — ١٠٨ — ١٢١ — ٧٢/٢ — ١٢٨ — ٥٠ أو مواضع أخرى .
(٤) شذرات الذهب ١٩٩/٨ وانظر ١٧١ ، ١٢١ .
(٥) شذرات الذهب : ١٢١/٨ .

وأما فيما يتعلق بجورجى زيدان ، فإنه قد اتهم رواة المسلمين بأنهم كانوا يقبلون رواية الأثر دون تمحيص له ما دام مسبقا بالإسناد .

ففى رأى جورجى زيدان أنهم كانوا (على الغالب يوردون روايات بإسنادها ولو كانت متناقضة ولا يبدون فيها رأيا ، وإنما يكتفون بإيرادها للقارىء على اختلاف رواياتها . . . تلك هى طريقة الطبرى فى تاريخه ، والبلاذرى فى فتوحه ، والأغانى فى رواياته) (١)

والواقع أن فى هذا الرأى حكما جائرا على مسلك رواة المسلمين ومؤرخيهم . وسوف يرد حديث مفصل بشأن (النقد العلمى) عند أبى الفرج الأصفهاني ، والمسيير العلمية النقدية التى يمكن استخلاصها من تتبع رواياته فى كتاب (الأغاني) بإعتباره أحد أئمة رواة الآثار الأدبية . فأما عن الطبرى - مثلا ، فقد كان يهدف إلى جمع شتات مفرق من الأخبار والآثار التاريخية . حتى يقيم للدارسين مصدرا عاقلا بالمادة التاريخية التى يوجهون إليها بالدراسة والاستقراء .

ولقد كان شأن الطبرى - وأمثاله - فى منهجه ، شأن رواة الحديث ، يروى الأثر الواحد من طرق مختلفة ، بإسناد متباينة ، حتى يعطى القارىء فرصة النقد والتمحيص والاختيار وحسبه ^{أى} أدنى الرواية كما وقعت له ، وأسندها إلى من تلقاها عنهم ، فأبى بذلك ذمته . يقول الطبرى فى مقدمته :

(وليعلم الناظر فى كتابنا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه - مما شرطت أنى راسمه فيه - إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ١٦١/٣

والى روايتها ، دون ما أدرك بحجج المعقول وأستنبط بفكر
النفس ، الا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بأخبار
الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادئين ، غير واصل إلى
من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم ، الا بأخبار المخبرين ونقل
الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر
النفس ، فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض
الماضين ، مما يستنكره قارئه ، أو يستشعنه سامعه ، من أجل
أنه لم يعرف له وجهها من الصحة ولا معنى فى الحقيقة ،
فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وإنما أتى فى ناقله
إلينا ، وأتانا إنما أدبنا ذلك على نحو ما أدب إلينا (١) (٢) (٣)

على أنه ينبغي ألا نغفل عن جهود أمثال ابن خلدون
والسخاوى من مؤرخى المسلمين ، ممن عذروا بوضع معايير
للنقد العلمى / أعادتهم على القبول أو الرفض للأثر ، وأعانت
سواهم من المشتغلين بالتحقيق - على التمهيص وعمق
النظر (٢)

وفى سبيل ذلك راج ابن خلدون يسدى التوجيه لمن
يتصدى للرواية بقوله (فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك)
وتأمل الأخبار ، وأعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك
تمحيصها بأحسن وجه (٣) .

(١) تاريخ الطبرى ٨٠٧/١ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم (ط)
المعارف
(٢) انظر فى مقدمة ابن خلدون ، فصل (فى فضل علم التاريخ
وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من
اسبابها)
والاعلان بالتوبيخ لمن ذم بتحقيق روزنار ضمن كتابه علم التاريخ عند
المسلمين ط بيروت ٢٨١/١
(٣) انظر المقدمة فصل (علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض
للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من اسبابها) .

الفصل الثاني

الحفظ

ظل الحفظ تقليدا هاما من تقاليد الرواية - سواء في الأدب أو الحديث ، حتى صار - في تصور بعض الباحثين - مرادفا للكلمة (رواية) (١) ، وصار التدوين مقابلا لها (٢) . وقد نشأ ذلك التقليد منذ دأب العرب في جاهليتهم على رواية آثارهم عن طريق الاستظهار لافتقارهم إلى من يكتبون بحكم انتشار الأمية ، وافتقارهم أيضا إلى وسائل التدوين ، ثم حاجتهم إلى الحفظ والرواية الشفوية ، تدريبا على النظم، وصقلا للمواهب .

ثم جاء الإسلام فأكد هذا التقليد عن طريق الحث على حفظ كتاب الله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ الآثار الأدبية ، أما تهذيبا للأخلاق ، أو صقلا للملكات ، أو الاستعانة بالأشعار في تفسير القرآن والغوص على معاني غرائبه (٣) .

وبالرغم من تقدم وسائل التدوين للآثار الدينية والأدبية ، وبزوغ فجر التأليف ، ثم استفاضة الكتب ، في أواخر القرن الثاني ، وأثناء القرن الثالث إلى منتهاه فقد ظل الحفظ تقليدا مؤكدا لم يضعف منه (حركة التدوين العلمي) بل ظل يقوم

(١) انظر ضمي الإسلام ٢٢٩/١ والعمدة لابن رشيقي .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : بحثنا للماجستير ٦ - ١٢ (مخطوطة بمكتبة كلية

دار العلوم) .

من الرواية مقام أحد جناحي الطائر ، ليس بمستطيع أن يحلق إلا بجناحين معا : فوجدنا أئمة الرواة من أمثال الأصمعي وأبي عبيدة - يحفظون ، بل ويستحثون على الحفظ (١) .

وانحدر إلى القرن الرابع ميراث السابقين ، ممثلاً في تقاليدهم ، تمثله في آثارهم ، وكان من هذه التقاليد المرعية تقليد (الحفظ) - وأوائل هذا القرن تطالعنا أخبار عالمين استفاضت شهرتهما في المقدرة الفذة على الحفظ والاستظهار

أحمد بن إدريس (ت ٢٢١ هـ) .

والثاني ابن الأنباري (ت ٢٢٣ هـ)

فأما ابن إدريس ، فكان - كما وصفه مترجموه - من أحفظ الناس ، وأوسعهم علماً وأقدرهم على الشعر - وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدهامهما في صدر خلف الأحمر وابن إدريس (٢) .

كما وصفه آخرون بأنه كان (واسع الحفظ جداً تُقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إكمالها ويحفظها) (٣) .

وأما ابن الأنباري ، فإنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشعر شاهداً في القرآن (٤) ولقد سُئل ابن الأنباري ذات مرة : قد أكثر الناس في حفظك ، فكيف تحفظ فقال : ثلاثة عشر صندوقاً (٥) .

(١) (مخطوط بمكتبة دار العلوم) بإشراف الاساتذ الدكتور / أحمد هيكل .

(٢) بغية الوعاة : ١ / ٢١٢

(٣) تاريخ بغداد : ٢ / ١٩٦ وانظر : مراتب الشهابين : ٨٣ .

(٤) بغية الوعاة : ١ / ٧٦ .

(٥) معجم الأدباء : ١٨ / ٣٠٧ .

ويمكن القول بأن هذين العالمين هما رأس مدرسة اعتمدت على الحفظ في أماليها للأخبار الأدبية ، وتصنيفها للكتب التي قامت على رواية تلك الآثار .

فابن الأديباري - مثلاً - كان يملئ كتبه المصنفة ومجائسه المشتعلة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار ، كل ذلك من حفظه ، وابن دريد أمدى كتابه (الجمهرة) في بلاد فارس والبصرة وبغداد من حفظه أيضاً (١) .

وأبو عبيد القحطاني (ت ٢٥٦ هـ) ، وهو تلميذ في المدرسة ، قد نهج نهجهما في مبدأ الاملاء من الذاكرة ، والاعتماد على (الاستظهار) في التأليف ومجالس الرواية والمباحثة العلمية : ومن تصانيفه التي أملاها من حفظه عن ظهر قلب أمانيه المشهورة والنوادر ، وكان القحطاني قد أملاهما بالأخمس في جامع الزهراء بقرطبة (٢) .

وقد ظل الحفظ سنة الرواة فيما بعد القرن الرابع ، إذ نجد أن ابن رشيقي (ت ٤٥٥ هـ) في كتابه (العمدة) يشير في ثنايا كتابه ، إلى ما يدل على اعتماده الحفظ والذاكرة مصدراً لمرويياته التي ساقها مساق الشواهد ، فيقول في أحد الأبواب : (وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي من أخذ حفظي وبلغته روايتي على شريطة الاختصار والتلخيص) (٣) . كما عرف أبو القاسم الخوارزمي (ت ٥٢١ هـ) في القرن السادس (٤) بقوة الذاكرة حتى لقبه الزمخشري بالجاحظ الثاني لحفظه وفصاحته .

(١) بغية الوعاة ٧٧/١ وانظر :
معجم الأدباء ١٨ / ١٢١ ، ١٢٢ .
(٢) انباء الرواة ١ / ٢٠٧ .
(٣) العمدة : ١ / ١٧٩ .
(٤) بغية الوعاة : ٢ / ٢٧٩ .

وفي القرن الخامس أيضا نعث على أسماء الكثيرين من الرواة ظلوا ملتزمين الحفظ ، معتمدين أياهم مصدرا لنشاطهم العلمي . ومن الملاحظ أن علماء المغرب والأندلس قد ظهر منهم خلال القرن الخامس علماء أفذاذ في قدرتهم على الاستظهار ، من بينهم ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) الذي ذكره الإمام الغزالي فقال (وجدت في أسماء الله كتابا لأبي محمد بن حزم ، يدل على حفظه وسيلان ذهنه) (١) . (ت ٨٠٤ هـ)

كما نلتقي بأمثال ابن سيده () ، عالم الأندلس اللغوي (ت ٤٨٥ هـ) الذي كان العلماء - في الأندلس يستدعون في مجالس العلم ليقرا من حفظه ما يريدون شرحه ودرسه من الكتب ، كالغريب المصنف لأبي عبيدة (٢) .

فلقد غدا الحفظ وسيلة أعانت العلماء على التأليف فلعبت الذاكرة - اذن - دورها في دفع حركة التأليف العلمي ، وتنشيطها ، وقد ذكرنا في القرن الرابع بعض الأمثلة ونضيف هنا نموذجا آخر هو الحميدى (ت ٤٨٨ هـ) . الذي ألف كتابه (جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس) ، من حفظه ، كما ذكر في مقدمته ، وكان ذلك أثناء وجوده بالعراق ، وأشار البعض عليه بأن يجمع لهم ما يحضره من أسماء رواة الحديث بالأندلس . وأهل الفقه والأدب وذوى التباهة أو الشعر (٣) .

ولقد أعان الحميدى على إنجاز مصنفه هذا أنه استعان بذاكرته فتغلب على عقبة ذكرها في مقدمته وهي بُعد عن

(١) الذهبي : العبر ٣ / ٢٢٩
(٢) ابن عريبي : محاضرات الأبرار ٢٤٣/٣ وانظر تفاصيل ذلك في انباه الرواة ٣ / ٢٢٧ ، رفيعات الأعيان ٤ / ٣٥١
(٣) مقدمة الجذوة : ص ٩

٤١

مراجعة مظانه في الأندلس (٧)

ويظل الحفظ سنة الرواة والعلماء إلى نهاية القرن العاشر سواء في المشرق (أو في المغرب ، ونستثنى من ذلك الأندلس المسلم الذي ظل الحفظ دأب رواته إلى حين زوال الوجود الإسلامي من شبه الجزيرة : أواخر القرن التاسع .

الآن يمر بمرحلتين :

المرحلة الأولى ، وتبدأ مع القرن الرابع وحتى أواخر القرن السابع : وتميزت هذه المرحلة بالإقبال على حفظ الآثار الأدبية ، وأمهات كتب اللغة ، والأدب . فكان الاتجاه أكثر إلى الآثار الأدبية واللغوية إذن .

أما المرحلة الثانية ، وهي تبدأ من القرن الثامن وحتى نهاية العاشر ، فكان الحفظ موجهاً في الأغلب إلى المتنون والشروح ، والمنظومات العلمية ، والمختصرات ، سواء في الفقه ، أم الحديث والنحو ، أم التصوف ، على حين قل حفظ الآثار الأدبية .

ومعنى هذا أن الحفظ قد تحول بصورة ظاهرة إلى الوجهة التعليمية ، وصار وسيلة لإعداد الفقهاء والمحدثين والنحاة ، واللغويين ، وأيضاً بهم .

وكان ذلك التحول في (الحفظ) مرده إلى التحول العام في الرواية جملتها لمحيث فترت الاهتمامات بالأدب - فنا وإبداعاً - واتجهت إلى الأدب - علماً ودراسة ، كما كان ذلك راجعاً أيضاً إلى طبيعة العصر : إذ أن الحركة الأدبية في المجال الإبداعي قد مالت بشكل ظاهر إلى الضعف والتهافت بحكم عوامل سياسية وفكرية تفضلها في موضعها ، وجنح العصر إلى (النشاط الموجّه للعلوم) والأدب بمعناه العام .

ودليلنا على ذلك نستقيه من الواقع العلمي ذاته :

١ - فعندما نستعرض كتب التراجم في هذه المرحلة نجد أن انصراف العلماء موجه غالبا إلى علوم الشريعة واللسان، وسيلتهم هو الحفظ لما كان بين ظهرائي الحققة من كتب، غلبت عليها صيغة العلم، واتخذت شكل المختصرات أو المنظومات حتى تعين أهل الأدب على استظهارها .

قابن تمية (ت ٧٢٨ هـ) مثلاً يصفه ابن العماد في معرض ترجمته بأنه (أمد الله بكثرة الكتب ، وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم . ويطء النسيان) (١) .

فقد قال غير واحد : (إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه) (٢) (وكان يورد في المجلس من حفظه نحو كراسين أو أكثر) كما وصف بأنه (برع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث معزواً إلى أصوله ومجابهته . .) (٤) ويأنه (كان يستوعب السنن والآثار حفظاً) (٥) وابن كثير المحدث والمفسر (ت ٧٧٤ هـ) ذاد (حفظ التنبيه وعرضه عام ٧١٨ هـ . وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم) (٦)

فاذا ما استعرضنا السنين - في كتب التراجم - وجدنا أننا حتى نهاية القرن العاشر نلتقي بمثل قولهم في معرض الترجمة للعالم :

(كان يحفظ الشواهد) (٧) .

(١) شذرات الذهب : ٥ / ٨١

(٢) نفسه

(٣) نفسه

(٤) نفسه

(٥) نفسه ٥ / ٨٢

(٦) شذرات الذهب : ٥ / ٢١٩ عام ٧٧١ هـ .

(٧) شذرات الذهب : ٦ / ١٢٩ عام ٧٧١ هـ .

المؤن

- (كان حافظا للمتون) (١)
- (له محفوظات في الفقه والأصول والعربية) (٢)
- (أكثر استحضارا للمؤن) (٣)
- (حفظ القرآن ، والتنبية والألفية ومختصر ابن الحاجب) (٤)
- (يروي ألفية الحديث والقاموس عن مؤلفيهما ، وتلخيص المفتاح) (٥)
- (كان المشافير من كبار التفاسير مركوزة في صحيفة خاطره) (٦)
- ٢ - دليل ثان يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الحفظ ظل ممتدا على مدى القرون إلى نهاية القرن العاشر ، وأنه بعد القرن السابع قد انصرف في الأعم الأغلب إلى المسود العلمية ، وبخاصة المختصرات ، والمتون ، وصار أسلوب تعليم وهذا الدليل نعث عليه لدى ابن خلدون علامة المغرب ، إذ يقول في مقدمته الشهيرة :
- (ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل عام يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ) (٧)

- (١) شذرات الذهب : ٦ / ٢٢٤ عام ٧٩٢ هـ
- (٢) شذرات الذهب : ٦ / ٢٢٦ عام ٧٩٢ هـ
- (٣) شذرات الذهب : ٧ / ٥٦ عام ٨٠٦ هـ
- (٤) شذرات الذهب : ٧ / ١٩٠ عام ٨٢٩ هـ
- (٥) شذرات الذهب : ٨ / ٢٧٢ عام ٩٧٢ هـ
- (٦) شذرات الذهب : ٨ / ٢٨٥ عام ٩٧٧ هـ
- وانظر مواضع أخرى من الجزء السادس إلى الجزء الثامن زاجرة بمثل الاشارات المتقدمة وانظر أيضا : الضوء اللامع للسخاوي ١/٧٧/٢١٧ - ١٢/٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ٢٥١ ومواضع أخرى
- (٧) مقدمة ابن خلدون (ط التجارية) ص ٥٢٢

كما يؤكد ابن خلدون ذلك فيقول (وربما عمداً إلى الكتب
الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان ، فاختصروها ،
تقريباً للحفظ ، كما فعله ابن الحاجب ، في الفقه وابن مالك
في العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم) (١) .

ويبدو علامة المغرب شكواه المريعة من سوء هذا المسلك
العلمي ، فيقول (وهو فساد في التعليم ، وفيه إخلال
بالتحصيل) (٢) .
كما يوضح في موضع آخر أثر هذا الأسلوب في عقم الملكات
العلمية وانصراف أهل الطلب عن التجديد والأصالة ، فيقول
في وصف الطالب على عصره (فنجد الطالب منهم ، بعد
ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية ، سكوتا
لا ينطقون ، ولا يفاوضون ، وعذايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة ،
فلا يحصلون على طائفة من ملكة التصرف في العلم
والتعليم) (٣) .

٣ - دليل ثالث على ما قدمنا ، نستقيه هذه المرة من
أواخر القرن العاشر ، يوافقنا به أحد علماء هذا القرن
وهو (العلوي) المتوفى عام ٩٨١ هـ اذ يطالعنا كتابه (٤)
بحديث ضاف عن (الحفظ) وأهميته ، ويبدل النصائح التي
تعين عليه ، ويحذر من النسيان ويوجه النظر إلى أسبابه
وعوامل وقوعه .

ومعنى ذلك أن الحفظ :

أولاً : ظل مسلكاً علمياً إلى القرن العاشر على الأقل .
ثانياً : أنه قد اتجه إلى العلوم - لا سيما المختصرات وما

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع ص ٤٣٢

(٤) المعيد في أدب المفيد والمستفيد (ط دمشق) ص ٢٨ وما بعدها .

في مستواها . وذلك في الأعم الأغلب ، وعلى اتجاه الحفظ إلى الآثار الأدبية ، وبخاصة تلك التي انتشرت قرائع أهل الأدب في عصور الازدهار الأدبي خلال القرون الأربعة الأولى .

ثالثا : أن الحفظ قد تحول من أسلوب للرواية إلى أسلوب للتعليم ، لكنه ظل برغم ذلك مخططا بتقاليد أهل الرواية ، الذين صيغوا (التعليم والتربية) بصيغة خاصة وحاطوها بمناهجهم كما سوف نورد ذلك مفصلا عند الحديث عن (التعليم والرواية) في بحث مستقل .

وفي سبيل رعاية تقليد الحفظ ، سواء في مرحلة الرواية الخالصة أو في مرحلة التحصيل . استفادت أبحاث الرواة والعلماء متوافرة على دراسة موضوع (التذكر والنسيان) : نجد ذلك عند القايسي (١) في القرن الرابع ، والبغدادى في القرن الخامس (٢) ، والزرنوجي أواخر القرن السادس (٣) أولئك الذين ألفوا في آداب الرواية وشراطينها . كما نجد ذلك عند الأدباء ، كأيى العللاء المعري (٤) ، وذلك فيما أورده على لسان الجنى ، وهو يباهى بنى آدم بمقدرته الفذة على الحفظ ويعد طبيعته عن السهو والنسيان .

وإذا كان ثمة فارق بين (رواية الأدب) ممن اتجهوا إلى حفظ الأشعار وفنون الأدب وبين (رواية العلم) الذين استهدفوا حفظ العلوم . فإن الفارق يحدده هدف كل فريق . فرواية الأدب كان هدفهم المحافظة على (التراث الأدبي) من جهة ، ثم تقويم الملكات الأدبية وصقلها . أما (رواية العلم)

(١) القايسي : الرسالة المفصلة ص ٢٨٣ وما بعدها (ط عيسى الحلبي القاهرة عام ١٩٥٥ م .
(٢) تقييد العلم ص ٧١ (ط دمشق) .
(٣) تعليم المتعلم طريق التعليم ص ٣٠ وما بعدها (ط مصطفى الداجي القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م) .
(٤) رسالة الغفران (ط دار المعارف ١٩٥٠ م) بتحقيق الدكتورة

في رسالة
الغفران

فكان هدفهم الحفاظ على التراث العلمى ، الى جانب تخريج العلماء فى ميادين شتى من المعارف : فى الحديث والفقه ، واللغة وسائر الدراسات الإسلامية والعربية . بخاصة . ومعنى هذا أن (رواة الأدب) قد ظلوا ملتزمين بالهدف ذاته والذى نشأ مع البداية الأولى للرواية الأدبية .

ولهذا عقد ابن رشيق فصلا (١) فيما يجب أن يأخذ به الشعراء والمناذبون أنفسهم بالحفظ جريا منهم على سنة المتقدمين إذ كان (الشاعر من المطبوعين المتقدمين يَفْضَل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار والتلمذة على قوم من الشعراء ، فيقولون : (فلان شاعر رواية) يريدون أنه إذا كان رواية عَرَفَ المقاصد وسَهَّلَ عليه مأخذ الكلام ، ولم يضيق به المذهب ، وإذا كان مطبوعا لا علم له ولا رواية ، ضل وأهتدى من حيث لا يعلم . وربما طلب المعنى ، فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه لضعف الله (٢) .

ولكن يبقى الحفظ تقليدا مرعى الجانب عند أهل الرواية فقد حاطوه بضمائم خاصة تتمثل فيما يلى :

- (١) التدوين .
- (٢) العرض على العلماء .
- (٣) اختبار الحفاظ .
- (٤) الأمانة عند النقل من الذاكرة .

١ - فأما التدوين ، فيكاد يكون تقليدا ملازما للحفظ

عائشة عبد الرحمن ٢ / ٢٨٤ . وانظر أيضا ابن عبد البر (جامع بيان العلم وفضله) ٢/١ وما بعدها (ط الرحمانية)
(١) العمدة : (ط هندية بمصر) ١ / ٧٨
(٢) العمدة : ١ / ٧٨

تمام الملازمة فمنذ غلبت (الرواية الشفوية) على الشعراء في الجاهلية (١) ، قام التوثيق ، وإن لم يتوافر له وسائل الاتساع والنضج ، ثم أخذ ينمو تدريجياً ، مع ازدياد تعلم القراءة والكتابة وانحاء الأمية ، وتقدم صناعة المواد المستخدمة في الكتابة كالورق ، والمداد ، والأقلام ، فكان أبو عمرو ابن العلاء في القرن الثاني يدون الشعر الجاهلي .

٢ - أما العرض على العلماء فكان مسلكاً يهدف إلى أمرين : الأول تصحيح المروي ، والثاني توثيقه فكانت عممية العرض هذه تسبق الحفظ ، أو تتبعه - في النسبة للحصنة الأولى ، كان الراوية يدفع إلى شيخه من المدونات - كتباً أو ما يقوم مقامها فيعتمده ، ويقره عليه ، ثم يسمح له بالحفظ بعد سماعه عليه (٢) .

وأما الحالة الثانية ، فكان الراوية يحفظ ما يراه أولاً ، ثم يعرض ما حفظ على الشيخ التماساً للتصحيح والتوثيق ، والإذن في روايته (٣) .

٣ - كذلك دأب علماء الأدب على اختيار الراوية فيما أنشئ حفظه من الرويات ، فإذا اجتاز الاختيار بنجاح ، حاز الثقة الواجبة وأطمأن الرواة عنه إلى عدالته : فابن سميئيل الوائلي البكري (ت ٧٧٠ هـ) ، كان يستحضر الكتب في شتى المعارف ، وقد عُود له مجالس يحضره أعيان العلماء في دمشق ، وامتحن فيما كان يحفظ من الكتب ، والتي من بينها : (القائق للزمخشري ، والصّحاح والجمهرة ، وغريب أبي عبيد ، والمنتهى في اللغة البرمكي ، وهو أكثر من ٣٠ جزءاً (٤) .

(١) انظر تفاصيل قيمة حوز هذا الموضوع في : مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد (ط دار المعارف) ص ١٠٩ وما بعدها .
(٢) ابن خير الأشبيلي (فهرست مروياته) ١ / ٢٠ (ط بيروت) .
(٣) شذرات الذهب : ٨ / ١٥ عام ٩٠٢ هـ ، ٥١ عام ٩١١ هـ .
(٤) شذرات الذهب : ٦ / ٢١٨ .

كما كان الراوية - في زمان أخذه - يتعرض لاختبارات مستمرة ، للاستيثاق من محفوظه ، أو تدريب ذاكرته على الاستظهار ، كما حدثنا ابن الأثير عن نفسه (ت ٦٥٨ هـ) إذ كان أبوه من العلماء الرواة ، فكان يستظهر عليه مرارا أيام أخذه على الشيوخ ، وكان أبوه (يمتحن بذلك حفظه) (١) ٤ - أما عن مبدأ الأمانة ، فالمراد به أن يشير الراوية عند روايته الأثر إلى ما قد يعرض له من النسيان ، أو روايته الأثر بالمعنى دون النص ، لقصوره عن الرواية باللفظ . وللرواة في سوق المرويات التي ضعفت ذاكرتهم عن الوفاء بروايتها على الوجه الدقيق . أقول : لهم في ذلك صيغ تفي - بحق - بمقتضيات الأمانة التي عرف بها رواة الآثار .

من هذه الصيغ :

(١) أو قال كلاما هذا معناه . فأنى كتبته من حفظي (٢) وابن رشيق في أحد فصول كتابه العمدة ، يعتذر عن عدم ثقته بحفظه ، فيقول : (قد كنت أردت ذكر هذا الفصل ، فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحن الذريعة له ، فلم أثق بحفظي فيه حتى صححته . فأنثته بمكانه من هذا الباب (٣) .

ومن الصيغ أيضا :

(فأجاب بجواب يقرب معذاه من هذا لم أحفظه) (٤)

(. . وبينهما بيت ثالث ذهب من حفظي) (٥)

(هذا معنى لفظ ياقوت ، فأنى كتبته من حفظي) (٦)

(١) الحلة السيرة : ١ / ١٤ ، وانظر أيضا الخبر ينصه في كتابه :

التكملة لكتاب الصلة : ٢ / ٨٨٨ .

(٢) انباه الرواة : ١ / ٢٤٤

(٣) انباه الرواة : ٢ / ٤١ ، وانظر صيغا مماثلة في الأغاني :

(٤) الحلة السيرة : ٢ / ٢٦٥

(٥) العمدة : ١ / ٥٧

(٦) العمدة : ٢ / ٩٢

(١١٣/٤ ، ١٢٨/٥ والتكملة لابن الأثير : ١ - ١٩٠ ، وبيضة الدهر :

١ / ١٢٨ ومواضع أخرى في الأمالي مثل ١ / ١٥١ وذيله ص ٦٥ .

الفصل الثالث لقاء العلماء

أولاً : الأخذ من أفواه الرجال

كان الأخذ من أفواه الرجال تقليداً حرص عليه رجال الحديث والآثار الأدبية على السواء . ودوافعهم إلى ذلك هو الاحتراز عن التصحيف والتحريف ، وبخاصة في الحفاظ والأسماء المشككة ، التي تتشابه في صور الخط ، كإسماء الشعراء والنبائل وأيام العرب ، وأسماء فرسانها وقائدها وأماكنها ، وما يعرض لأي علم الأنساب وغيرها من الأشكال . وقد ظل هذا التقليد ملتزماً مرءى الجانب عند رواية الحديث خاصة إلى القرن العاشر ، أما بالنسبة للآثار الأدبية ، فقد ضعف بعد القرن السابع بالذات على تفاوت في درجة الضعف في مختلف القرون .

فإن جانب رواية القرن الرابع أمثال أبي الفرج الأصفهاني والقالى والمرزبانى والآمدى ، فلاحظ وجود رواية آخرين قد وصلوا بالتزامهم إلى حد التشدد وإنكار كل محاولة للاكتفاء بالكتب دون السماع .

نسوق مثلاً لهؤلاء (الأزهرى) (١) ، إذ سجلت مقدمته نقداً قاسياً للخازننجى (٢) . لأنه فى مقدمة كتابه (التكملة

(١) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروى . ولد بهراة ٢٨٢ هـ ومات بها ٣٧٠ هـ وهو صاحب معجم (تهذيب اللغة) .
(٢) أحمد بن محمد البشتى الخازننجى ، وله كتاب التكملة لكتاب معين . توفى عام ٤٠٨ هـ .

لكتاب العين (قد دسرح باعتياده على الكتاب دون الأخذ
من أفواه الرجال (١)) .

وفي أخريات القرن الرابع أيضا يصرح التنوخي في
مقدمة كتابه (نشوار الحاضرة) بما يؤكد أخذه والتزامه
بمبدأ السماع ، دون الاعتماد على الصّحف . فيقول التنوخي
(هذه ألفاظ تلقّتها من أفواه الرجال ، وما دار بينهم في
المجالس) (٢) .

كما يصرح في موضع آخر من مقدمته بقوله (وأنا إنما
تلقّتها من الأفواه دون الأوراق) (٣) .

ولعل العبارة الثانية أصحّ في الدلالة على الأخذ من
الأفواه ، بل هي أدلّ على كون هذا المصدر ، هو المصدر
الأول وقد حدّد التنوخي فيمَا بعد القرن الرابع عالم آخر
هو ابن النجار ، وكتابه الذي نحا به منحى التنوخي هو
(نزهة الطرف في أخبار أهل الطرف) (٤) .

فإذا استعرضنا (يتيمة الدهر) للثعالبي ، وجدنا فيها
ما يشير إلى أخذه من أفواه الرجال ، كقوله :
(وإنما تطرّفته من أفواه الرجال . . .)

وعند عقده فصلا (في ملح أهل الشام ومصر والمغرب)
صوّره بقوله (هذا باب كثرته على غرر تلقّتها من أفواه
الرجال . . .) .

وفي القرن السادس ، يستلقت انتباهنا محاولة لأحد
علمائه حاول الاعتماد على الكتب دون الأخذ من الأفواه ،

التنوخي

(١) تهذيب اللغة ١ / ١٩ وما بعدها .
(٢) نشوار الحاضرة ١ / ١ (المقدمة) ط بغداد بتحقيق عبود
الشالجي .
(٣) نشوار الحاضرة : ١ / ١٢ .
(٤) فوات الوفيات : ٢ / ٥٢٢ وابن النجار هو محب الدين
محمد بن محمود البغدادي .

فتصدى له معاصروه من الرواة . هذا العالم هو ابن قائد الخطيب^(١) ، وتدعى السيوطي بهذا الموقف بعبارة . يقول السيوطي : (. وأكبر على علم النحو فبلغ منه الغاية . . ولم يكن أخذه عن إمام ، وإنما كان محل مشككه بنفسه ، وبراجع غرضه صادق حسه ، حتى جرى بينه وبين عمر بن الشحنة مناظرة ، فظهر موفق الدين هذا ، فلم يكن لابن الشحنة قرار إلا أن قال : إنه صحيح فليحق موفق الدين بمكي بن ديان ، فقرأ عليه أصول ابن السراج ، وكثيراً من كتاب سيويه^(٢) .

وبعد أن ينقل السيوطي هذا الخبر ، يعاق عليه بقوله : (ولم يفعل ذلك حاجة به إلى إفهام وإنما أراد أن يقتضى على عادتهم في ذلك إلى إمام)^(٣) .

فإذا كنا في القرن السابع الهجري رأينا كثرة من الرواة يعتمدون المصدر ذاته ، ويحافظون عليه . فياقتوى الخوى (ت ٦٢٦ هـ) يؤكد في مقدمتي كتابيه (معجم البلدان) ، و (معجم الأدباء) وكذلك ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) في مقدمة (وفیات الأعيان) ، وسوف تكشف بالدراسة المفصلة أبعاد ذلك لدى ياقوت وابن خلكان وسواهما حين نعرض لذلك في موضعه .

ولا تنوقف هذه العادة بعد القرن السابع وإنما تضعف نسبياً ، وإن اختلفت أبعاد ذلك الضعف بين قرن وآخر ، وبين

(١) محمد بن يوسف بن قائد الخطيب الخوى كان إماماً في التربية توفي عام

٥٨٥ هـ .

(٢) بغية الرعاة : ١ / ٢٨٦ هـ .

(٣) نفس المرجع .

المشرق والمغرب^(١).

ولقد انعكس أثر هذا التقليد بوضوح على المصادر المدونة . فاصتبر الأخذ منها ، أو النقل عنها رواية إذا سمعت هذه المصادر أو أذن في روايتها على نحو من الأنحاء : سواء بقراءة الشيخ ، أو بقراءة التلميذ على الشيخ أو بعرضها عليه ، أو مقابلتها بمثيلاتها من النسخ المعتمدة من أهل الرواية والسامع .

ولهذا يمكن القول بأن حركة التدوين والتأليف قد خفت - عند المسلمين - رواية معتمدة ، إذ التزموا بتقليد أهل الرواية ، وسوف نجلو هذا الأمر عند الحديث عن التدوين وعن رواية الكتب .

كما أن الرجال الذين كان الرواة يلقون من أفواههم مروياتهم ، كانوا على ضروب شتى ، أهمها :

١ - أن يكونوا أدياء منشئين للآثار الشعرية والنثرية ومهمة الراوية هنا هو التعرف على آثارهم وجمع النصيب الوافر منها بقصد الحفظ والشرح .

٢ - أن يكونوا نقلة مصاحين للأدياء ، أو أكابر لهم ، أو ممن يقوم بطريقة ما من اللقيا فصار هؤلاء النقلة مصدراً لأديب أو أكثر ، يلقاهم الرواة ويأخذون من أفواههم .

٣ - أو علماء محققين ، يحملون شتى الآثار ، وليسوا مجرد نقلة ، بل هم يوجهون مروياتهم وجهة التحقيق العلمي الدقيق ، فيناقشون مع فخرهم من العبير أو التلاميذ قضايا الرواية ، في النسبة واختلاف النص ، وتحقيق تواريخ الرجال ، ويختبرون من يلقونهم قبل الأخذ عنهم ، ويحتفظون لأنفسهم بمدونات تأخذ شكل الكتب أو شكل المذكرات الخاصة .

(١) سهرد ذلك مفصلاً في تاريخنا لطائفة الرواية بصفة عامة .

وفى حديثنا - فى مواضع مقبلة - ما يزيد الأمر وضوحا حين تفصله ، ونلتمس له الشاهد والدليل .

فأخيرا : المرحلة : ٢ و ١ ع

تمثل الرحلة تقليدا من تقاليد الرواية عند علماء المسلمين فهى مظهر للنشاط العلمى المتحرك الذى يؤمن بمبدأ المبادلة الفكرية ، وينقل النشاط العلمى نقلا يتيح له سعة انتشار ، فيكتسب من فواعى الخصوبة ، والتجديد الدائم ما ينتشله من وهدة العزلة ، فلا يبقى حبيسا محصورا .

وقد عرف علماء المسلمين الرحلة ، وكان لرجال الحديث الفضل فى تقريرها كما كان سائر أهل الرواية والعلم يوجبونها ، حتى قال : ابن خلدون (فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال) وكان مما يمدح الراوية به - فى معرض توثيقه - وصفه بصفات تدل على مبلغ الاهتمام بالرحلة من مثل قولهم : (الطويل الهجرة) (١) .

- (٢) سمع هذه الرحالة فأكثروا (٢)
- (٣) رحل إليه الناس من الأفاق (٣)
- (٤) معتنيا بلقاء الرجال (٤)
- (٥) وإليه كانت الرحلة (٥)
- (٦) الرحلة ٠٠ (٦)

ولقد عرف رواة الآثار الأدبية تقليد الرحلة قبل القرن

- (١) فتح الطيب : ٢ / ٢٦٦ .
- (٢) شذرات الذهب : ٧ / ٨٢ عام ٨١٦ هـ .
- (٣) شذرات الذهب : ٧ / ٨١ عام ٨١٥ هـ .
- (٤) التكملة لكتاب الصلة : ١ / ٤٠ .
- (٥) التكملة لكتاب الصلة : ١ / ٤٠ .
- (٦) التكملة لكتاب الصلة : ١ / ٤٠ .

الرابع وقد عرفوها إلى البادية ، كما عرفوها إلى الأمصار والأصقاع النائية . وأقدم من عرفناه ممن رحلوا إلى البادية هو : يونس بن حبيب (ت ١٨٠ هـ) والخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، وكان أبو زيد الأنصاري أكثر أهل هذه الطبقة أخذاً عن البادية وكانت له بذلك ميزة على صاحبيه الأصمعي ، وأبى عبيدة (١) واستمروا يرحلون إلى البادية إلى أواخر القرن الرابع ثم فسدت سلائق العرب . وبذلك انقطعت مادة الرواية عن أهل البادية ، ولكتفى الناس بكتار أسلافهم التي حوتها الكتب (٢) . وإنما كان العلماء بعد ذلك يسألون بعض الأعراب المتوسمين بشيء من جفاء البادية ممن لم تنسخ فيهم القطرة نسخاً ، وكانوا يستريحون إلى ذلك ، ولا يأخذون به وبقي هذا الأمر إلى منتصف القرن السادس ، ونقلوا عن الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) بعض كلمات مما سألهم فيه ، ولكن لم ينقل أن أحداً اعتد هذا وأمثاله من اللغة وأجراه مجرى الرواية (٣) . أما عن الرحلة إلى الأمصار ، فقد نشطت في مجال رواية الأدب قبل القرن الرابع الهجري : فيذكر لنا الزبيدي أن عباس بن ناصح الأندلسي (ت بعد عام ٢٣٠ هـ) رحل مع أبيه إلى مصر ، وتردد في الحجاز طالباً للغة العرب ، وأنه قد لقي الأصمعي وغيره بالعراق ، واجتمع بأبي نواس ، وأذن له بالفضل على نفسه ، ثم انصرف بعد هذه الرحلة إلى الأندلس (٤) .

(١) الرازي : تاريخ آداب الرفاعي : ١ / ٢٤٢

(٢) نفسه : ١ / ٣٤٥

(٣) نفسه : ١ / ٣٤٥ وانظر خبراً هاماً بشأن التعامل مع أهل البادية في ترجمة محمد بن أحمد الغندجاني في معجم الأدباء : ١٧ / ١٥٩ - ١٦٤ ، وبقية الوعاء : ١ / ٥٢ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين : ٢٨٤ ، ٢٨٦

كما عَرَفَ القرن الثالث أيضا أمثال : محمد بن عبد السلام الأندلسي (ت ٢٨٦ هـ) حيث رَحَّلَ إلى بغداد ، فسمع بها بعض العلماء ، وادخل الأندلس كثيرا من حديث الأئمة ، وكثيرا من كتب اللغة والشعر الجاهلي (١) .

كما رَحَّلَ من الأندلس أيضا (أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني الأندلسي) المتوفى عام ٢٩٨ هـ . وكان له أيضا سماع في بغداد وقد لقي الجاحظ والمبرد وثلعا وابن قتيبة ، ولقي من الشعراء أبا تمام ودعبل بن أبي الجهم .

وقد عَقَدَ المقرئ فصلين في (نفح الطيب) ، فيمن دخل الأندلس من المشاركة ، ومن رحل إلى المشرق من أهل الأندلس . وتدل الأخبار التي جمعها في الفصلين المتقدمين على نشاط الرحلة ، وعلى اجتهاد العلماء في التحصيل مهما كلفهم ذلك من عناء السفر ، ووعناء الطريق .

أما في القرن الرابع ، وما بعده ، فقد عرف المشرق وفود الرحالة من أبناء الغرب المسلم ، يفدون إليه كثيرا بقصد أداء فريضة الحج ، وفي طريق الذهاب ، والعودة ، يسعون إلى لقاء العلماء ، والأخذ عنهم وكثيرا ما يعدلون عن مسارهم في رحلة الحج ، فيصيّدون أقطارا أخرى بعيدة كالشام ، والعراق .

ولا نمر بترجمة عالم من علماء القرن الرابع ، وحتى نهاية العاشر على الأقل - إلا ونجد الرحلة جزءا لا يتجزأ من نشاطه العلمي ، سواء في مراحل الطلب ، حين يرحل الطالب للرواية ، أو بعد أن تكتمل له أسباب النضج ، فيصبح مقصداً للرحلة ، أو يشدّ هو الرحال طالبا للمزيد .

(١) بغية الرعاة : ١ / ١٦٠ . وانظر : الفرغاني : تاريخ علماء الأندلس : ٢ / ١٦ .
(٢) نفح الطيب : ٤ / ٢١٤ .

ففى القرن الرابع ، تلتقى بمثل أبى عبد الله بن منده
(ت ٢٩٥ هـ) الذى بقى فى الرحلة بضعا وثلاثين سنة ، حتى
لقبوه بالجوال .

وابن جبير الأندلسى فى القرن السادس الهجرى ، رحل
الى دمشق ثم المغرب ، ثم رحل ثانية الى المشرق عام ٥٨٥ هـ ،
وثالثة عام ٦٠١ هـ وجاور بمكة والقدس .

والفيروزى ^(١) فى القرن التاسع رحل الى اليمن
والعراق فالقاهرة ، وجال فى البلاد الشرقية والشامية وبلاد
الروم والهند ^(٢) جمعا (من الفضلاء حمل عنهم شيئا كثيرا)
كما يحدثنا السيوطى أحد علماء القرن العاشر والمتوفى عام
٩١١ هـ فيقول (سافرت بحمد الله تعالى الى بلاد الشام
والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور (٠٠) (١)
ونتيجة لذلك بلغ عدد مشايخه مائة وخمسين شيخا وهكذا -
لو استمر مانسوقه من النماذج - نجد حركة الرواية تمتد
الى نهاية القرن العاشر (٢) ، وإن تجاوزته بعد ذلك تجاوزا
تشير إليه بعض المظاهر الأخرى البعيدة عن حيز بحثنا هذا (٣) .
أما عن الأقطار المسلمة التى شهدت الرحلة ومراكز الرحلة
فيها ، فاهمها مايلى :

١ - العراق :

وقد شهدت نشاطا كبيرا للرحالة الوافدين عليها الطارئين
على حاضرتها (بغداد) ، حيث رحل الى بغداد أهل العراق
نفسه من أطراف شتى ، وأهل الأندلس ، كما سبق أن أشرنا

(١) شذرات الذهب : انظر : ٨ / ٢٨٥ عام ٩٧٧ هـ . ٨ / ٤١٧ عام ٩٨٩ هـ .

(٢) نفسه .

(٣) انظر - مثلا - التاج العروسى للزبيدي ج ١٠ (نهايته) فى
ترجمة شارح القاءوس .

وسائر الأصقاع الإسلامية ، ولقد سئل ابن العميد - في القرن الرابع عن بغداد ، فقال : بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد (١) ثم تضاعفت أهميتها حين أقيم بها المدرسة النظامية عام ٤٥٩ (٥) .

ولقد ظلت الرحلة إلى بغداد حتى انحسر ظلها بسقوطها على يد التتار عام ٦٥٦ هـ أي في منتصف القرن السادس الهجري ، فكان أن انتقل النشاط العلمي من أرض الرافدين إلى كل من الشام ومصر .

٢ - الشام :

وأشهر مراكزها دمشق ، التي شهدت ذروة مجدها العلمي في ظل بني أمية خلال القرنين الأول والثاني .

على أن دمشق قد تميزت - خلال القرن السادس الهجري بوجود أبي طاهر الخشوعي (٣) (ت ٩٥٤٠) الذي سيرد التعريف به مفصلاً وكان مبعث شهرته آنذاك هو اشتغاره برواية مقامات الحريري ، ومن هنا قصده العلماء لسماعها عليه ، كما أن الخشوعي ذاته كان من شعراء الزهد ، ومن هنا قويت همة الرحالة في الرواية عنه وحصل آثاره . وعدا دمشق نلتقى بحلب التي ، ضاعف من أهميتها وجود آل العديم بها خلال القرن السادس وما قبله (٥) .

كما زادت أهمية (معرة النعمان) بعد عودة أبي المظفر المعري (ت ٤٩٩ هـ) إليها وحيث (سار إليه الطلبة من

(١) شذرات الذهب : ٣ / ٣٠ .
(٢) السيوطي : حسن المحاضرة : ١ / ٢٥٥ .
(٣) التكملة لكتاب الصلاة : ٢ / ٥٩٨ .
(٤) نفس المرجع .
(٥) معجم الأدباء : ١٦ / ٥ - ٥٦ .

الآفاق (١) وظلت بلاد الشام مثابة الرحالة من أهل الراوية حتى القرن العاشر . فخلال القرن التاسع اجتذبت إليها الرحالة للسماع من عائشة بنت محمد الصالحية (ت ٨١٦ هـ) التي كانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها بكثرة سماعها وشيوخها حتى سمع منها الرحالة فأكثرُوا (٢) .

٣ - وأكثر ما اشتهرت به رواية الآثار الدينية ، وبخاصة الحديث في مكة والمدينة . وقد كان لمكة - بحكم منزلتها الدينية - أهمية خاصة من أهل الراوية . وفي القرن الخامس عرف الرحالة بها سيدة اشتهرت بإقراء صحيح البخاري هي كريمة المروزية (ت ٤٦٣ هـ) (٣) ، ويبدو من بعض الأخبار أن مكة قد عرفت أهلها وقصائدُها بمزاولة نشاط ملحوظ في الزوايا ، حتى قيل إن ابن عبد الكافي البكري المتوفى عام ٨٠١ هـ ، كان سبب كثرة مروياته وشيوخه أنه (كان إذا قدم الركب مكة طاف على الناس في رحالهم ومنازلهم يسأل من له راوية أو حظ من علم ، فيأخذ منه ما استطاع (٤) .

٤ - مصر :

وقد اجتذب الرحالة إلى مصر عوامل كثيرة : من بينها أنها كانت زاخرة بالنشاط العلمي ووفود الرحالة ، منذ وقت مبكر . بعدما استقر بها العرب الفاتحون لها أوائل القرن الأول ، وعرفت الحياة الأدبية بها خلال القرنين الثاني والثالث

(١) أنباء الرواة : ١ / ٦٣ .

(٢) شذرات الذهب : ٧ / ٣٧٠ .

(٣) الذهبى : العبر في أخبار من ي ٢٥٤ / ٣ وانظر شذرات الذهب :

٣ / ٣١٤ .

(٤) شذرات الذهب : ٧ / ١١١ .

بعض الواقديين اليها من ائمة الشعراء كابي تمام (٢) (ت ٢٣١ هـ) وابي نواس (٢) ، كما وفد عليها خلال القرن الثالث الهجري ولم ابن قتيبة (٥) : (ت ٢٧٦ هـ) . كما وفد اليها ابو الطيب المتقي خلال القرن الرابع الهجري . وهؤلاء جميعا احدثوا نشاطا علميا وادبيا خاصا بقصد هم الكثيرون لرواية آثارهم ومروياتهم كما كان لوجود جامع عمرو بن العاص أهمية خاصة بما زخرت به جنباته من حلقات العلم والرواية .

كما تميزت مصر بوجود علماء مقيمين بها كالامام الشافعي خلال القرن الثالث الهجري ، وكان الى جانب فقهه وروايته الحديث من رواة الأشعار المعتبر بروايتهم ، (كان مختصا بأشار هذيل كما عرفت بأمثال ابن ولاد (ت ٢٣٢ هـ) وابي جعفر النحاس (ت ٢٣٨ هـ) من علماء اللغة والنحو ورواة الآثار الأدبية الشراح ، هذا الى جانب الموقع الجغرافي الذي تميزت مصر به كحلقة اتصال بين المشرق والمغرب ، ومعبرا هاما لوقود الحجيج القاصدين بيت الله ، وبخاصة من المغرب والأندلس .

وقد ازدادت أهمية مصر بعد ما سقطت بغداد وقبلها كان سقوط صقلية وخراب القيروان ، ثم بعد ما تعهدا الأيوبيون بضروب من الرعاية ، كان في مقدمتها إنشاء المدارس (٤)

(١) قدم الى مصر في شبابه ، فلما لم يزل حظه عاد الى دمشق . وانظر بروكلمان : ٧١ / ٢ .
(٢) انظر ديوانه من ٣٩٩ حيث مدح الخصيب الذي كان القنولي خراج مصر ، وسرد رحلته من بغداد الى القسطنطينية . وانظر : بروكلمان : ٢٥ / ٢ .
(٣) قدم الى مصر عام ٣٤٦ هـ قاصدا كافورا الاخشيدية ، ومدحه . ثم غس ما بينهما فهرب المتقي من مصر ٣٥٠ هـ . بروكلمان : ٨٢ / ٢ .
(٤) انظر حسن الحاضرة : ٢٥٥ / ٢ وما بعدها .

وعرفت الحياة الأدبية ثلاثة مراكز ، نشطت فيها الحياة الأدبية في مصر ، وبالتالي نشطت الرحلة إليها ، والرواية في ربوعها : وهذه المراكز هي : الإسكندرية في أقصى الشمال ، والقاهرة في الوسط ، وقوص في الصعيد الأقصى . ويأتى توزيع هذه المراكز على ذلك النمط الجغرافى ، دليلا على النماء الفكرى مع امتداد وادى النيل .

١ - فأما الإسكندرية ، فهى واجهة مصر الشمالية ، ومناخها الرحالة الوافدين على مصر من المغرب والأندلس في مختلف العصور ، وبخاصة في القرن السادس الهجرى بفضل وجود أبى طاهر السلفى (ت ٥٧٦ هـ) (١) ذلك الراوية المذائع الصيت في زمانه : علما ورواية ورحلة . مما سوف تفصل فيه القول في موضعه . كما عرفت الإسكندرية خلال القرن السابع أيضا عالما آخر هو ابن الكثير (ت ٦٨٣ هـ) (٢) وكان إماما في النحو والأدب والأصول والتفسير (٤) كما وصفه السيوطى بأنه كان (له يد طولى في علم البيان والإتشاء) (٤) وهو الذى عناه ابن الحاجب بقوله : لقد ستمت حياتى البحث لولا

مباحث ساكن الإسكندرية (٥) وكانت مراكز تجمع الرحالة في الإسكندرية ، نفس المراكز المعهودة في غيرها من الرحلة : نعى بها المدارس والمساجد . وعرفت الإسكندرية مركزين للتجمع يتمثلان في : مدرسة الحافظ السلفى التى أنشأها له ابن سلالر ، والجامع الجيوشى (٦) الذى كان يدرس فيه عالم آخر من علماء

- (١) انظر ابن خلكان ١ / ٣١ .
(٢) أحمد بن محمد الاسكندراني الحالكى .
(٣) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .
(٤) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .
(٥) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .
(٦) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .

مصر ، هو : ابن المنير (ت ٩٨٣ هـ)^(١) .

٢ - وأما القاهرة^(٢) ، فقد شهدت نشاطاً ملحوظاً منذ القرن الأول الهجري بفضل وجود جامع عمرو بن العاص^(٣) في القسطنطينية ، منذ القرن الأول ، والجامع الأزهر في العهد الفاطمي ، وجوامع أخرى تخلق فيها الرواة والتلاميذ في مجالس العلم^(٤) .

٣ - وأما قوص ، فهي تقع شمال أسوان على الضفة الشرقية للنيل ، وقد بدت أهميتها بسبب كونها طريق وفود الحجيج ، وبخاصة من أهل المغرب الإسلامي ، وتضاعفت تلك الأهمية بعد أن تحولت إلى مكان آمن لجأ إليه الكثيرون فراراً من غارات الصليبيين التي كانت مكررة على النصورة والاسكندرية بالذات ، أو دمياط ورشيد ، (ما الوجه القبلي - بصفة عامة ، فقد ساد الهدوء والأمان ، كما أن قوص - خلال القرن السابع الهجري - حيث تضاعف فيها نشاط الرواة وأهل الرحلة - كانت قاعدة انشر مذهب أهل السنة ومقاومة المذهب الشيعي الذي كان سائداً في أكثر بقاع الصعيد الأقصى . وكان إصلاح الدين الإيوني دور كبير في تأكيد مذهب أهل السنة والجماعة في مصر .

ولم تكن قوص تقل كثيراً عن القاهرة من حيث وفرة رجال العلوم الدينية والقضوية . كما كثرت بها المدارس ودور الحديث

(١) ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجزامي الاسكندري كان إماماً في النحو والأدب والعلوم الدينية . وكان بينه وبين ابن دقيق العيد صلات عليية وانظر بنية الرواة : ١ / ٣٨٤ .

(٢) ونعني بالقاهرة هنا المدينة المصطلح عليها بهذا الاسم في عصرنا الحديث .

(٣) حسن المحاضرة : ٢ / ٢٤٥ .

(٤) انظر حسن المحاضرة : ٢ / ٢٥٣ وما بعدها وانظر بنية الرواة : ١ / ١٠٦ .

٢٠٨ ، ٢٢٦ ، ٢ / ١١٥ ومواضع أخرى .

تخلق

في أقصى النهر

للأمة

وحسب لهم

ومن بينها دار الحديث التي كانت بيتا لابن دقيق العيد (٥٧٠٢ هـ) (١).

على أن قوص في صعيد مصر الأقصى قد عرفت نوعا من التماور الفكري بينها ، وبين مدينة الإسكندرية في أقطار الشمال ، وقد سبق ما ذكرناه من الصلات بين ابن المنير عالم الإسكندرية وابن دقيق العيد أشهر عالم شهده صعيد مصر خلال القرن السابع الهجري ، ومن ثم كثرة الرحيل إليه لتلقي الحديث والأدب ، كما أنه هو نفسه كان يقوم بمباحثة رحالة الأندلس وإسألهم عن أدبائهم ، ويروي عنهم ما حلوه من الآثار . فكان وجوده عاملا هاما من عوامل نقل الآثار الأندلسية إلى مصر . ونقل الآثار المصرية - في الأدب والعلوم - إلى الغرب المسلم (٢) وكان وضعه في ذلك شبيها تمام الشبه بوضع أبي طاهر الثاقبي في الإسكندرية خلال القرن السادس الهجري ، حيث كان عاملا هاما في نقل آثار الأندلس ، كما كان ابن دقيق العيد معاصرا لابن المنير في الإسكندرية وكان يقال : (إن مصر تفتخر برجلين في طرفيها : ابن المنير بالإسكندرية ، وابن دقيق العيد بقوص) (٣).

وإذا كان صعيد مصر قد شهد رحلات أهل الرواية من الأندلس ، فقد شهدت الأندلس أيضا رحلات عاتقة من رواة وادی النيل ، ذكر ابن بشكوال منهم (أبو اسحاق الذكراني - ت ٦٩٨ هـ) (٤) بل أن صعيد مصر قد شهد رواة أندلسيين عاشوا على أرضه إلى أن وانتهت المنية ، فضعفهم تراه من

- (١) ابن دقيق العيد حياته وشعره للدكتور علي صافي حسين (ط دار المعارف ١٩٦٠) ص ٣٦ وما بعدها .
- (٢) انظر تفاصيل عامة في : نفح الطيب ٧ / ٢٩٠ .
- (٣) نفح الطيب : : ١٣٢ / .
- (٤) ابن بشكوال = التكملة لكتاب الصلاة ١٧٧ / ١

بينهم أحمد بن علي الأنصاري - (ت ٦٤٦ هـ) أحد شيوخ
ابن الأثير (١) ومن بينهم أيضا ابن سعيد المغربي وابن
القطاع الصقلي وابن خلدون
ولم تكن هذه البقاع - في مصر - هي كل مراكز الرحالة
ووجهة أهل الرواية .

بل شهدت مصر بقاعا أخرى ، كان منها (قفط) في صعيد
مصر المشهورة بجامعة الذي كان يضم مكتبة حوت ذخائر
ثمينة ، وطالما يشير (القفطى - ت ٦٦٢ هـ) أحد ابنائها إلى
هذا الجامع والمكتبة (٢) .

كما كانت (بلييس) خلال القرن السابع أيضا إحدى البقاع
المصرية التي قصدتها الرحالة من العلماء (٣) .
ويبقى بعد هذا أن نوضح النتائج الهامة المترتبة على
(تقليد الرحلة) عند رواة المسلمين .

ومن أهم هذه النتائج انتقال المعارف المختلفة عبر الأقاليم
الإسلامية المختلفة دون أن تجد العوائق والسدود ، لأن
العلماء أنفسهم في رحلاتهم لم تواجههم إلا مشقة الطريق .
وفيما عدا ذلك كانوا يجدون الترحيب بقدمهم ، وتطيب لهم
أسباب الإقامة والقرار ، فيحيط الطلاب بهم للرواية عنهم ،
أو يفسح لهم العلماء في مجالسهم ليفتحوا أمامهم باب
الرواية والتحصيل .

ومع هذه المعارف المتنوعة وأدبا ولغة وحديثا وفقها ،
عبرت أيضا شتى المذاهب مع جموع الراحلين ، فانتقل مذهب
الشافعي - مثلا - إلى مصر مع رحلته إليها ، وانتقل مذهب

(١) ابن يثكروال = التكملة لمكتاب الصلة ١ / ٦٢ .
(٢) انراء أنرواق : ١ / ٣٥٣ ، ٩٢ / ٤٧ ، ٧٣ / ٢ ، ٨٤ / ٢ .
(٣) ٦٧ / ٣ ومواضع أخرى .
(٤) انظر تفصيل ذلك في : نفح الطيب : ١ / ٢٥١ وبلييس الآن مركز
يتبع محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية .

مالك إلى المغرب والأندلس مع رحلات أهل الأندلس والمغرب بين الحجاز والمغرب المسلم - يقول ابن خلدون : (وأما مالك فليختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، كما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز ، وهو ختفى سفرهم ، والمدينة - يومئذ - دار العلم ، ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق طريقهم ، فاقترضوا على الأخذ من علماء المدينة وشيوخهم وإمامهم مالك ، وشيوخه من قبله ، وتلاميذه من بعده ، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس ، وقلدوه - دون غيره - ممن لم تصل إلينا طريقته (١) .

ومع انتقال المعارف والمذاهب ، انتقلت الكتب ، وهذه الكتب : (أما أنها) كانت من مقتنيات الراوية يحملها معه في رحلته ينسخها من المكتبات أو من مقتنيات أقرانه من الشيوخ . فمن النوع الأول ، نسوق على سبيل المثال ما حمّله معه أبو على القالى من مقتنياته الخاصة ، مما ذكره ابن خير لإشبيلي في (فهرست مروياته) (٢) .

وأما ما كان ينسخه الرواة في رحلاتهم ، فإن من أمثاله ما قيل في ترجمة ابن الدهان البغدادي (ت ٥٩٤ هـ) من أنه (رحل إلى أصبهان) وأنه (استفاد من خزائن وقوفها ، وكتب الكثير من كتب الأدب بخطه وعاد إلى بغداد) (٣) . وأخيرا ، فقد كانت الرحلة للعالم هي السبيل إلى ثراء فكره ووفرة حفظه ، ومقتنياته من الدواوين ، وتوثيق

(١) المقدمة : ص ٢٩٢ ، وانظر في دخول مذهب مالك إلى المغرب والأندلس : تاريخ الطريب : ٤ / ٢٦٤ .
(٢) هو أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي الأندلسي توفي ٥٧٥ هـ والفهرست المشار اليه حقيقة مرخايل عواد ونشره المكتب التجاري في بيروت .
(٣) انباء الرواة : ٢ / ٤٧ وابن الدهان هو سعيد بن المبارك البغدادي ، وصفه الأقطبي بأنه عالم فاضل كيس ذببه له معرفة بالنحو ويد باسطة في الشعر (انباء : ٢ / ٤٧)

علاقاته بأقرانه من العلماء كومن هم دونه من التساميزم مع كثرة ثقافته ، وطول ارتحاله ، يأتي التنوع والتعرف على المناهج والأتماط الفكرية المتباينة ، ولذا كان العالم يعاب ويفقد الكثير من تقدير الآخرين ، ويتعرض لانتقادهم إذا لم يشد الرحال (١) .

أما بالنسبة للعالم الاسلامي ، فان تلاقى علمائه من أصقاعه المتباعدة كان ادعى الى تقريب الآماد الشاسعة ، وبالتالي حفظت الرحلة للعالم الاسلامي وحدة فكره ومشاعره ، وأبقت على تراثه ، وفي الوقت نفسه دفعت به الى حلبة السباق الفكري عبر التاريخ ، تنشيط حركة التجديد ، وتزايدت ثمار القرائح ، مناهج ومؤلفات ، واقد كان مما يسر على العالم سبيل الارتحال ، أن المسلم كان يستطيع أن يرتحل في داخل حدود هذه المذلكة في ظل دينه . . وكان يوجد قانون يضمن للمسلم حق المواطن بحيث يكون آمنا على حريته الشخصية (٢) .

يقول : آدم ميتز (وقد طرّف ناصر خسرو في البلاد كلها في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - دون أن يلاقى من المضايقات ما كان يلاقيه الألماني ، الذي كان ينتقل في ألمانيا في القرن الثامن عشر بعد ميلاد المسيح عليه السلام) (٣) .

(١) نزعة الألبا في طبقات الأدبا : ٣٦٣

(٢) الخدمة : أحسن التقاسيم في معرفة الأناليم (ط ليدن ١٨٧٧) ص ٦٤

(٣) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبدالهادي

أبي ريدة (ط ثالثة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١/ ص ٤ (٥ - الشعر)

الفصل الرابع الانتحال

ونحله انقول ، كمنعه ، نسبه اليه (١) .

في القاموس : انتحله وتنحله ادعاه لنفسه ، وهو لغيره .
فهذا التعريف اللغوي يفرق بين اصطلاحين ينتميان -
لغويا الى أصل واحد :

الأول هو الانتحال ، وهو أن يدعى الأديب نسبة الأثر
إليه ، وينسب إلى نفسه تأليفه ، وهو ليس له .

الثاني : هو النحل ، والمراد به نسبة القول ، أو الأثر ،
لغير صاحبه . وهذه الدراسة تحاول أن تتناول قضية الانتحال
بجانبها ، سواء كان السطو ، أو الخطأ في نسبة الأثر
لغير صاحبه .

وقضية الانتحال هي إحدى القضايا الهامة وثيقة الصلة
بموضوع الرواية ، ولهذا كانت أكثر المسائل الشائكة
التي دار حولها بحث العلماء عند مناقشتهم لقضية رواية
الشعر الجاهلي - بخاصة - والأدب الجاهلي نثرا وشعرا
بصفة عامة (٢) .

وقد ثارت قضية الانتحال منذ اشتغال حماد الراوية ،

(١) القاموس المحيط (مادة نحل) الجزء الرابع .

(٢) انظر : ابن سلام « طبقات فحول لشعراء » و (مصادر الشعر الجاهلي)
(ط دار المعارف) للدكتور ناصر الدين الأسد ففيه تفاصيل جيدة حول
الموضوع ، وذكر الكثير من المصادر والمراجع .

وخلف الأحمر بالرواية ، ثم لحقهما ظنون أهل التحقيق ، وتجريحاتهم ، وظل ذلك شأن الكثيرين ممن عرضوا بحديث لهذين الراويين ، ومنهم أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) خلال القرن الرابع ، والششريف المرتضى في أساليه في القرن الخامس الهجري .

وبالنظر الى الاهتمام الملحوظ بقضية (انتحال الشعر الجاهلي) ظل اتجاه الدارسين موجهاً في أغلبه إلى هذه القضية بالذات ، وكان لهذا الاهتمام العريض من جانب الباحثين لقضية الانتحال في الشعر الجاهلي ، أثره في قصور اهتمامهم عن تتبع الانتحال فيما عدا الشعر من الآثار الأخرى ، وإن كان سبب هذا الاهتمام مرده إلى أهمية الشعر الجاهلي في ميادين الثقافة الإسلامية ومجالاتها المتعددة : في التفسير ، والحديث والنحو واللغة وغير ذلك .

غير أنه من الحق أن يقال : بأن لإثارة الجادة الواسعة لقضية انتحال الشعر الجاهلي ، قد أفادت الرواة ، والدارسين بما أمدتهم به من مقاييس نقدية ومعايير تاريخية لكشف الزائف من الصحيح من تراثنا الأدبي ، ولتأكيد الاتجاه الأساسي في الرواية وهو الحفاظ على التراث من جهة ، وتوثيقه من جهة أخرى .

وقضية الانتحال قسيم مشترك بين البلاغيين ، ومؤرخي الأدب : فأما البلاغيون ، فأدرجوها تحت موضوع من ألصق الموضوعات بمباحثهم ، وهو موضوع (السرقات الشعرية) حيث اتجهت أبحاثهم في ظاهرة السرقة في الأعم الأغلب - إلى الآثار الشعرية ، وقد أفردوا لموضوع السرقات كتباً ، أو قصروه على فصول في تضاعيف مصنفاتهم .

فمن كتبهم (١) :

- ١ - مثالب أبي نواس : لأحمد بن عبد الله الثقفي (ت ٢١٤ هـ) وقد أثبت فيه سرقات أبي نواس .
 - ٢ - رسالة في مساوئ وسرقات أبي نواس : لابن عمار .
 - ٣ - سرقات أبي تمام : لأبي علي محمد بن العلاء السجستاني .
 - ٤ - فرق ما بين الخاص والمشارك من معاني الشعر : للأمدى (ت ٢٧٠ هـ) .
 - ٥ - سرقات أبي نواس : المهلهل بن يموت بن المزرع (١) .
- وقد حفل القرن الرابع الهجري بالذات بمؤلفات صنفها البلاغيون في موضوع السرقات الشعرية . ولا أدل على هذا من النموذج المتقدم للكتب التي عالجت هذا الموضوع .
- أما بلاغيو القرن الرابع ، ممن أدرجوا موضوع السرقات في ذنبا كتبهم دون اختصاصها بكتب ، فإن من بينهم المرزبانى (ت ٢٨٤ هـ) صاحب الموشح (٢) . لكن الملاحظ أن المؤرخين للأدب قد أسهموا بجهود أكبر في موضوع الانتحال . ومن دلائل ذلك في القرن الرابع بالذات الأمدى (ت ٢٧٠ هـ) في كتابه (المؤتلف والمختلف) والذي جمع فيه أسماء الشعراء الذين تتشابه أسماؤهم بصورة تدعو إلى اللبس ، وتؤدي - تبعاً لذلك - إلى الخطأ في نسبة الآثار الشعرية فينحل الرواة شاعراً ما آثار سواه غلطاً منهم .

(١) انظر ثوبنا بهذه الكتب في كتاب :

مهلهل بن يموت بن المزرع : سرقات أبي نواس - مقدمة الناشر الدكتور محمد مصطفى هدار (دار الفكر العربي بالقاهرة عام ١٩٥٧) ص ٨ وما بعدها وانظر محاولات الناشر الفاضل في تحقيق ترجمة مهلهل .

(٢) انظر على سبيل المثال : ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٥ - ١٧٦ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٨ . والنسخة التي رجعنا إليها بتحقيق الأستاذ : علي محمد الجاروي (طهضة مصر بالقاهرة) .

فهناك عشرة من الشعراء يحمل كل منهم اسم (امرؤ القيس) منهم: امرؤ القيس عابس ، وهو شاعر أدرك النبي صلى الله عليه وسلم - ووقد عليه وسلم ، ومنهم (امرؤ القيس بن بكر ، ثم امرؤ القيس بن عمرو ، غير ذلك (١) - هذا إلى كثرة ممن يحملون لقب الأعشى (٢) .

وهذا النوع الدقيق من المعرفة يتطلب بصرا واسعا بأخبار الشعراء وأنسابهم وبلدانهم وقبائلهم ، ثم المأما واسعا أيضا برواية آثار كل شاعر على حدة ، حتى يمكن تصويب النسبة في الآثار .

وقد نضج في القرن الرابع الهجري نتيجة للاتساع في التأليف ، واكتمال علم مصطلح الحديث الذي جعل باب المؤلف والمختلف أحد موضوعاته الهامة وإن كان قد اتجه فيه إلى المتشابهين في أسمائهم أو ألقابهم من رواة الحديث .

ونلاحظ أن موضوع المؤلف والمختلف ، لم يكن فيما قبل القرن الرابع الهجري ، على هذا المستوى من النضج الذي وصل إليه على أيدي رواة الأدب في القرن الرابع الهجري (٣) .

وفي القرن الخامس يستمر الاهتمام بموضوع السرقات الشعرية ، فيعقد ابن رشيقي بابا في (السرقات وما شاكلها) يقدم له بقوله : (وهذا باب متسع جدا لا يقدر أحد من الشعراء

(١) الأمدى : المؤلف والمختلف (بتحقيق عبد الستار فراج) ط عيسى

الحنيني - ص ٥ : ٩

(٢) نفس المرجع : ١٠ : ٢١

(٣) وانظر فصلا في (المؤلف والمختلف) في : أبو أحمد العسكري : شرح ما يقع فيه التصحيف والتخريف .

أن يدعى السلافة منه . وفيه أيضا أشياء غامضة إلا على
البصير الحاذق بالصناعة ، وآخر فاضحة لا تخفى على
الجاهل المغفل (١) .

وعرض ابن رشيق قضية (السرقات الشعرية) عرضا
والاستيعاق زاد ارتباطها بقضية (الانتحال) ، وعاب على الحامى فى
كتابه (حلية المداخلة) محاولاته لوضع أقسام وأصناف
للسرقة كالاستتراف والاجتلاب والانتحال والاهتمام والافارة
والرافده والانتحال ، واعتبر صاحب العمدة كل هذه
المصطلحات القابا (إذا تدبرتها فليس لها محصور إذا
حققت) واعتبرها (كلها قريبا من قريب قد استعمل بعضها
فى مكان بعض) (٢) .

كما عرض ابن رشيق لمصطلح (الانتحال) ، حيث
(لا يقال منتحل إلا لمن ادعى شعرا لغيره ، وهو يقول
الشعر . وأما إن كان لا يقول الشعر ، فهو مدّع غير
منتحل) (٣) .

وشهد فى القرن الخامس أيضا جهدا آخر فى سبيل
معالجة قضية (الانتحال) ، مثل فى بعض إشارات فى تضاعف
(رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى ، مع محاولات التصديح
الأنسية .

من هذا على سبيل المثال :

١ - ما ورد على لسان أعشى قيس فى نفيه نسبة أبيات
نسبها الرواة إليه ، مثل قوله (ما هذه مما صدر عنى ، وإنك
منذ اليوم لولع بالمتحولات) (٤) .

(١) العمدة : ٢١٥/٢ (ط مندية) .

(٢) العمدة : ٢١٥/٢ .

(٣) العمدة : ٢١٦/٢ .

(٤) رسالة الغفران : ص ٢٠٤ .

ب - بشأن بيت تداوله النحاة على سبيل الشاهد :
وردت هذه العبارة (وزعم بعض المتأخرين من أهل العلم أنه
مصنوع ، وما أجدره بذلك) (١) .

ج - ما ورد بشأن سؤال وُجِّه إلى امرئ القيس في
أبيات نسبها الرواة إليه ، فيرد امرؤ القيس مجيباً (لا والله
ما سمعت هذا قط ٠٠٠ وإن الكذب لكثير ، وأحسب هذا
لبعض شعراء الإسلام ولقد ظلمنى وأساء الى ٠٠) (٢) .

وهكذا تكثر مثل هذه الاشارات التحقيقية على السنة
أبطال (رسالة الغفران) الذين صنعتهم مذبلة شيخ المعرفة
ثم تأتي هذه الاشارات دليلاً على النزعة التحقيقية لديه ،
وعلى اهتمامه الملحوظ بموضوع (الانتحال) .

الا أنه من الإنصاف أن نقول : إن المعرى قد وقف عند
حد التصحيحات ، بينما تجاوز ابن رشيق ذلك الى أمور
أشمل ، حين عرض لمصطلحات تتعلق بالسرقات الشعرية ،
وعرّف الانتحال .

وإذا كان ثمة فارق بين تناول البلاغيين لقضية الانتحال ،
وتناول مؤرخي الأدب ، فإن هذا الفارق يتمثل في أن
البلاغيين ٠٠٠ قد أدرجوا الانتحال تحت مصطلح (السرقات
الشعرية) وهو مصطلح يتجاوز الانتحال إلى حدود أخرى :
فالسرقات الشعرية تتعلق بكل تشابه وقع بين الآثار

(١) رسالة الغفران : ص ٢١١ .

(٢) رسالة الغفران : ص ٣١١ .

وانظر : ٢٠٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٥٠٧ وغيرها .

الشعرية سواء كان هذا التشابه وليد التوارد في الخواطر أو كان ضرباً من السطو المتعمد .

كما أن السرقات تشمل المعنى فقط أو اللفظ فقط أوهما معا بينما يتجه الانتحال إلى النص .

كما أن السرقات تكون في البيت أو بعض البيت ، أما الانتحال فهو - في الغالب - يقع في البيت كله أو في جملة من الأبيات تصل إلى قصيدة كاملة ، أو حتى عدة قصائد .

ولن نكون مباغين حين نقول : أن ظاهرة الانتحال مواكبة لظاهرة الإبداع الأدبي ذاته ، فما دام هناك نتاج للقرائح ، فهناك أيضاً احتمالات السطو والانتحال .

لهذا فإن استقراءنا لملفتي المراجع يضع أيدينا على عديد من الشواهد في موضوع الانتحال نختار من بينها هذا الشاهد الذي نعثر عليه في أواخر القرن السابع الهجري . فقد روى ابن شاعر الكتبي هذا الخبر :

اتفق أن نجم الدين بن إسرائيل حج ، فرأى ورقة ملقاة فيها قصيدة لابن الخيمي (١) ، فادّعاها ، فاحتكم ، الشاعران إلى ابن الفارض (٢) ليحكم بينهما في القصيدة المتنازع عليها ، فأشار على كل منهما بأن ينظم قصيدة على وزن البيت الأول ورويته .

(١) فوات الوفيات (بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ٤٥٥/٢ - ٤٥٩ وابن الخيمي هو شهاب الدين محمد بن عبد المنعم الخيمي أحد شعراء مصر في القرن السابع (ت ٦٨٥ هـ) وانظر ترجمته في (فوات الوفيات : ٤٥٥/٢) ابن الفارض ظهر أحد الشعراء المتصرفين في مصر (ت ٦٣٢ هـ) .

(٢) انظر : النكلة لكتاب الصلة : ٨٠/١ .

فننظم كل من الشعاعين قصيدة على نحو ما طالب
ابن الفارض ، ثم اطلع ابن الفارض على القصيدتين مع
مقارنتهما بالقصيدة المتنازع عليها ، ثم حكم بهذه القصيدة
لابى الخيمى .

ومع هذا فإن بعض الحاضرين فى المجلس قد استجاد
أبيات ابن اسرائيل الذى لم يحكم ابن الفارض لصالحه ،
وبسبب استجادة الحاضرين لقصيدة ابن اسرائيل قالوا :
(مَنْ نَظَّمَ مِثْلَ هَذِهِ • مَا الْحَاجَةُ لَهُ إِلَى ادِّعَاءِ مَا لَيْسَ لَهُ ؟
فابتدروهم ابن الخيمى بقوله : « هذه سرقة عادة لا سرقة
حاجة » • ولهذه الواقعة الأدبية أهمية خاصة من حيث •

١ - أنها تجسّد نوعاً من الإثارة الجادة للانتحال الأدبى •

٢ - أنها تعكس الاهتمام بما يمكن أن نطلق عليه
(المحاكمة الأدبية) والوسائل التى كان يلجأ إليها المحكمون
لإصدار الحكم •

٣ - هناك بعد هذا قول ابن الخيمى الذى يستوقفنا ،
ومو أن (هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة) • ويوضح لنا
القول أحد الدواشع الهامة والخفية وراء الانتحال •

ولعل من أوضح الصور الصارخة للسرقة ، أن يشتهر بها
شاعر ، حتى يلقيه معاصروه باللص ، كما هو الحال بالنسبة
لابى العباس أحمد بن على الكذائى الأندلسى (ت ١٠٧٠) •

١ - لكن هل اقتصر أمر الانتحال على الشعر ؟

٢ - الواقع التاريخى يرفض ذلك ، والواقع المنطقى يؤكد
هذا الرفض ويسانده •

فقد أثير موضوع الانتحال حول بعض الآثار النثرية ،

وان لم تبلغ الآثار في النثر مبلغها في الشعر .

فهناك انتحال الكتب - من بينها - مثلا اشارة لأبي بكر الصولي يتهم فيها ابا موسى الحامض بانتحاله لنفسه بعض مؤلفاته (١) .

ولعل من أشهر صور (الانتحال) في النثر ما نسب الى الامام على بن أبي طالب من آثار نثرية (٢) ، لكن أوضح هذه الصور ما قيل حول نسبة كتاب (نهج البلاغة) الى الامام كرم الله وجهه . ويأخذ الأمر صورة أكثر تعقيدا حين يكون الخلاف حول من جمع نصوص الكتاب .

ثم حول النصوص ذاتها ، أهى حقا للإمام؟، أنها دخيلة عليه منحولة له؟ .

فحول جامع الكتاب يثور جدل حاد ، يقف منه ابن خلكان موقفا غير حاسم إذ يقول : (وقد اختلف الناس هل هو جَمَعَهُ (يعنى الشريف المرتضى) أم جَمَعَ أخيه الرضى) (٣) ، كما يقف ابن خلكان الموقف ذاته في حديثه عن نسبة النصوص التي جمعها كتاب (نهج البلاغة) بين دفتيه (٤) .

وكما أثار ابن خلكان في القرن السابع هذه القضية ،

(١) أخبار أبي تمام للصولي (بتحقيق الدكتور عيده عزلم) مقدمة المؤلف ص ١٣ .

(٢) انظر (رسالة الغفران) حيث نفى المعري ما نسب الى الامام من قوله (ثواك البصرة بالزنج) لأنه لم يكن على عليه السلام ولا غيره ممن يكشف له علم الغيب) ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

(٣) وفيات الأعيان : ٤١٦/٣ .

(٤) المرجع السابق .

أثرها أيضا الإمام الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في القرن الثامن فوقفه موقفا أكثر حسما ، وأدلى بدلوه غير متوقف ولا سواه (كما صنع سلفه ابن خلكان ، فقال بعد أن جزم بأن واضع الكتاب إنما هو الشريف المرتضى (وهو المنهم بوضع كتاب نهج البلاغة) (١) ، (ومن طابع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه) (١) .

ومع ما زخرت به كتب الأدب والتاريخ من إشارات حول الانتحال ، فلا تكاد نعثر على مبحث تفصيلي يلم شتات هذه الظاهرة على أساس العرض لمظاهرها ، ودراسة أسبابها واستخلاص لنتائجها ، إلا أنه باستقراء الشتات المنتثر في مطاوي الكتب يمكننا أن نخلص إلى حصر أسباب الانتحال في أمور أهمها ما يلي :

- أولا : أسباب مدارها الخطأ لا سوء النية .
- ثانيا : أسباب مدارها سوء النية ، والدس المتعمد .

٣ حواشي

- (١) ميزان الاعتدال : ١٢٤/٣ .
- (٢) نفس الرجع ، وانظر آراء الخسري في شرح ابن أبي الحديد (ط الحنلي) ٢٠٥/١ .
- وانظر مقالا علميا مفصلا في مجلة «ثقافة الهند» عدد ديسمبر ١٩٥٧ تعريب عامر الأنصاري .
- يردد اليافعي (مرآة الجنان) (٥٥١٣) ، ابن العماد في الشذرات (٢٥٧/٣) كلام ابن خلكان والذهبي في ميزان الاعتدال (٢٠١/٢) وابن حجر في لسان الميزان (٢٢٣/٤) أنه للمرتضى . وقد ذهب النجاشي (ت ٤٥٠ هـ) في كتاب الرجال إلى أنه للشريف الرضي . وهذا صحيح بشهادة الرضي نفسه .
- قد ذكر في الجزء الخامس من تفسيره المسمى (حقائق التنزيل) (ط النجف ص ١٦٧) أنه عز الذي ألفه ووسمه بنهج البلاغة ، ثم ذكر ذلك في كتابه (مجازات الآثار النبوية - ط بغداد) ص ٤١ ، ٢٢ .
- وكذلك ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ) في شرحه للكتاب يعترف بأن خطوته من عمل الشريف الرضي ، وكذلك ابن ميثم البحراني في شرحه للنهج يذهب إلى أن مؤلفه هو الشريف الرضي .

أولا : ما يتعلق بالخطأ

١ - وأول هذه الدواعي تشابه الأغراض وتماثلها بين اثنين أو أكثر. لهذا - مثلا - كثر الخلط في الغزليات التي قيلت في ليلى وبين تلك التي قيلت في لبنى ، حتى قال أبو الفرج الأصفهاني نقلا عن الجاحظ (ما ترك الناس شعرا مجهول القائل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون ، ولا شعرا هذا سبيله ، قيل في لبنى ، إلا نسبوه لقيس) (١) .

بل أن بعض آثار المجنون قد شكك أبو الفرج الأصفهاني في نسبتها إليه فقال :

ان حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بنى أمية كان يهوى ابنة عم له (٢) .

وكما نسب الكثير من آثار الغزلين إلى المجنون غلطا ، كذلك نسب إلى أبي نواس - غلطا أيضا - بعض الخمريات ، حتى قال مهلهل بن يموت ٠٠٠ (وحتى أنهم لا يسمعون بوصف خمر ولا ذكر أنية في شعر إلا أقسموا جهد أيمانهم أن ذلك لأبي نواس ٠٠) (٣) .

كما شكك الصولي في مقدمة ديوان أبي نواس الذي صنعه أن أهل اللهو والبطالة ينسبون كل شعر في الخمريات أو

(١) الأغاني : ٤١٧/١ .

(٢) الأغاني : ٤/٢ .

(٣) سرقات أبي نواس : ٣٢ .

غزل المذكر إلى أبي نواس (١) ، وأن أخص ما ضم إلى أبي نواس ، أشعار لأبي بحر عبد الرحمن بن أبي الهذاهد والحسين بن الضحاك ~~الكلبي~~ (٢) .

٢ - ومن دواعي الخلط أيضا في نسبة الآثار الأدبية التشابه بين الشعراء في الاسم أو اللقب أو الكنية ، وفيما ذكرناه بشأن كتاب (المؤلف والمختلف) للأمدى ما يلقي الضوء على هذه الظاهرة ، ونضيف هنا اشارات مماثلة أوردها أبو أحمد العسكري في الفصل الذي عقده عن (المؤلف والمختلف من أسماء الشعراء) من كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) (٣) .

٣ - قد تكون العلاقة بين الشاعر والشاعر مدعاة للخلط في النسبة :

أدراك على كاهل رواية خاله .
فالكثير مما نسب للأعشى هو في الحقيقة من شعر خاله المسيب بن علس وقد قرّب من احتمالات الخلط بين الأعشى والمسيب كان رواية خاله (٤) .

٤ - ومن أسباب الانتحال أيضا التشابه بين أثرين أو

(١) نسخة فينا رقم : ٢٠١٦ ورقة (٦٢) وانظر بروكلمان : ٣٥/٢ وما بعدها .

وانظر أيضا ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني من أن ابن مفرغ الشاعر قد نسبت إليه خطأ الكثير من أبيات الهجاء ، وذلك بسبب كثرة مجائه (الأغاني) ٢٦٥/١٣ .

(٢) مخطوطة ديوان أبي نواس ، صنعة أبي بكر الصولي المشار إليها غانبيه .

(٣) انظر : ٤١٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ومواضع أخرى .

(٤) انظر تذييل ذلك في مقدمة ديوان الأعشى وانظر العمدة : ٣٣/١ .

أكثر في الخصائص الفنية ، كالوزن وحركة الروي ،
والأسلوب والغرض ، من أمثلة ذلك أبيات رواها ابن رشيق
للاشجع السلمي ، وأخرى لسليمان بن أحمد حريص وقد
اختلفتا بهما أبيات أخرى جاءت على وزنها ورويها ، وقد
نبه ابن رشيق إلى الخلط الواقع في الأثرين وتولى
التصحيح (١) كما روى الأصفهاني أبياتا نسبت إلى الفرزدق
خطأ وذلك بسبب تشابهها مع أبيات من قصيدة أخرى (٢) .

هـ - كذلك قد يختلط بيت الشاعر بأبيات لشاعر آخر ،
كان قصده أن يضمّن قصيدته البيت المنسوب لغيره ، وذلك
على سبيل التضمين والشاهد ، ثم غلط الرواة فحسبوه من
أبيات الشاعر ، فنحلوه إياه ، حتى نبه إلى ذلك أهل التحقيق
من الرواة (٣) .

ثانيا : الخلط بسوء ذية

١ - وقد تكون وراء عوامل الحقد ، وبواعث الضغن
والكراهية الشخصية محاولات متعمدة للخلط .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك السري الرفاء الشاعر
(ت ٣٦٢ هـ) ، وكان بينه وبين الخالدين الشاعرين عدا ،
فكان يدس أحسن شعر الخالدين في ديوان شاعر آخر

(٢) الأغاني : ٣٢٥/١٥ .

(١) العمدة : ٣٣/١ .

(٣) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : ص ٥٠ (ط دار المعارف)

بتحقيق محمود شاكر .

هو كشاجم (ت ٣٥٠ هـ) ، وهدفه من ذلك أن يزيد في حجم ديوان كشاجم ، وبهذا يحقق هدفين : الأول أن يروج ديوان كشاجم ، فيدرّ رواجه عليه الربح الوفير ، إذ كان مشتتاً بفسخ هذا الديوان ، والهدف الثاني هو أن يشوّه سمعة الخالديين ، ويلحق بهما تهمة الانتحال لأثار الآخرين (١) .

وبدل هذه المحاولة تعد من أجراً محاولات التزييف التي منيت بها رواية الأثار الأدبية خلال القرن الرابع ، ويمكن من خلالها أن نتصور مدى العناء الذي يتكبده كل من يتصدى لمحاولة التنقية والتحقيق لأثار الخالديين ، أو أثار كشاجم

٢ - ومن مظاهر النحل المتعمد أيضاً ، ما ذكره ياقوت الحموي من أن بعض تلاميذ أبي العلاء المعري كانوا يعملون على لسانه الأشعار ويضمونها أقاويل الملاحدة ، قصداً لهلاكه .

ومثل هذا الخبر كان حرياً أن يستوقف ياقوت الحموي طويلاً قبل أن يجرد حملته على أبي العلاء ويرميه بالإلحاد وسوء العقيدة (٢) .

وإذا كان الزرارة سواء قبل القرن الرابع أو بعده لم يعالجوا موضوع الانتحال على نحو موسع ، وإذا كان من

(١) انظر : شذرات الذهب : ٧٣/٣ والنجوم الزاهرة : ٦٧/٤ والبيتيمة للنعائم (ط الصاوي) : ١٥٧/٤ ، وسيرد تفصيل أكثر فالسري الرفاء : هو أبو الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء من شعراء الحمدانيين وديوانه مشهور . وأما كشاجم فهو أبو الفتح محمود بن الحسين السعدي من شعراء سيف الدولة .
(٢) معجم الأدباء : ١٤٣/٣ ، ١٦٦ .

تحدث منهم عن الانتحال في مقدمة أو إشارة قد قصر الحديث
على الشعر الجاهلي ، فإن أهل الرواية قد تركوا أمامنا معايير
أشاروا إلى بعضها صراحة كما فعل ابن سلام في مقدمته
طبقات الشعراء ، أو طبقوها في طوايا نُدُهم للأثر
وَحَقَّقْتَهُمْ لَهَا .

إذا كان ذلك مسلك الرواة فانهم - مع ذلك - قد أمدوا بما
يصلح مادة نخلص منها بالمعايير .

وثمة إضافة هامة حققها رواة ما بعد القرن الثالث الهجري
وهي جراتهم في نقد بعض ما نسب من الأشعار لأدم - عليه
السلام - أو لأحد أبنيه قابيل وهابيل .

وقد تصدى أبو العلاء المعري لتكذيب مثل هذه الآثار ،
فأورد على لسان أحد أبطال (رسالة الغفران) قوله (نظمته
بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة الا بالله . كذبتهم على
خالقكم وربكم ، ثم على آدم ، ثم على حواء أمكم ، وكذب
بعضكم على بعض ، وما لكم في ذلك إلى الأرض (١) .

الفصل الخامس

الاختلاف في الرواية (نسبة ونصا)

ونقتصر هنا على الاختلاف في رواية الأشعار - دون
سواها - لأنها أكثر الآثار الأدبية نصيبا من مناقشات الرواة
في موضوع اختلاف الرواية - وهذا الاختلاف إما :

- أ - اختلاف نسبة الأثر الشعري إلى قائله .
- ب - أو في نسبة لفظ الأثر الشعري ونصه .

فتجد البيت يُروى بلفظ في رواية ، ويلفظ مغاير في رواية
أخرى بل نجد القصيدة تروى باختلاف في ترتيب الأبيات أو
يحذف أبيات في رواية ، وإثباتها في أخرى .

وختلفا ١ - الخلاف في النسبة

وقد استفاضت الإشارات إليه في تضاعيف كتب الرواية.
وبالذات في القرن الرابع الهجري وما بعده ، وتتعدد مراقف
الرواة وختلفا (أو زاء) ذلك . فإما أن يقطع الرواية برأيه ، وإما
أن يصرح بعجزه عن إثباته ، وإما أن يقف موقفا لا يقر فيه
برأى ، ولا يصرح فيه بعجز (١) .

(١) انظر أمثلة في الأغصان : ١٢٤/١ - ٣٩٤/٢ ، ٢٥٥
٥٠٤٢٢/١٠ ، ١٥٠٩/١٦ ، ١٤٩/٦ ، ٩٦/٢٢٢ - ٢٢٢
- معجم الأشعار : ص ٧٠ ، ٧١ ، ٩٨ ، ١٦٢ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ٢٢٢
٢٢٥

- المؤلف والمختلف : ص ٩ ، ١٨٥ ، ٨١ :

- أمالي المرتضى : ١١٨/١ .

- شرح القصائد العشر للتهريزي (بتحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد) ص ٥٤ .

(٦ - الشعر)

افتقاده - ٨٢ - الدليل

فأما توقف الراوية عن القطع برأى فى نسبة الأثر ، فمن مرده إلى المنقذ ^د ، ^لل دليل ، الذى يعينه على الإدلاء بالرأى الصريح ، ومن هنا فهو مضطر إلى التوقف ، مكتفيا بإبداء تشككه ، أو إثارة الخلاف حول النسبة حتى يخلو عهده ، ويفتح الباب أمام سراه من أهل التحقيق لمزيد من المناقشة والرأى عليهم أن يحيطوا برأى المنقذ ، ويعثروا بدليل ضل هو الوصول إليه ، فاما إذا واثته الأدلة ، وأسعفته الحجة ، فإنه لا يتوقف ، وإنما يعتمد إلى المناقشة والتدليل ، حتى يجلى الأمر فى حدود مبلغه من العلم .

لكن : ما هى الأسباب وراء خلاف الرواة حول نسبة الآثار الشعرية ؟ .

الحقيقة أنها قضية وثيقة الصلة بقضية الانتحال التى سبق تفصيل الحديث بشأنها ، فكل أسباب الانتحال هى نفس أسباب الخلاف فى النسبة ، يضاف إليها أسباب أخرى من بينها كل الأخطار المحتملة فى ذاكرة الرواة ، والنقل ، وعامل الزمن الذى لا يذغى تجاهله أو اغفاله .

ونود هذا أن نشير الى عامل من عوامل الخلاف فى النسبة ، تنبه اليه أبو الفرج الأصفهاني ، لكن لم يخصه بحديث ، بل اكتفى بإشارات وجيزة اليه . ذلك هو دور المغنين فى إحداث هذا الخلط والاضطراب ، إذ كانوا يلحقون أبيات قصيدة بأبيات قصيدة أخرى ، ناسبين بذلك آثار شاعر إلى سواه (١) .

وبومعنا أن ندرك السبب فى ذلك : ^لل المغنى لا يتعامل مع النص الأدبى على نحو ما يتعامل معه العالم الراوية ، لأن هدفه هو إشاعة الطرب والسرور ، فضلا عن إرضاء

(١) انظر مثلاً :

الأغاني : ٩ / ٧٥ - ١٣ / ٢٢٥ - ١٦ / ١٤٩ .

هوايته الذاتية فلا ضير عليه لو ضم للنص أبياتا أخرى غريبة عندها في النسبة لكنها في وجدانه وتصوره مجانسة لها فنا .

(ج) الخلاف في اللفظ

ويرجع ذلك إلى عوامل مختلفة أهمها ما يلي :

١ - ما كان يعمد الشعراء إليه من تنقيح أشعارهم وتعهدهم لها بالإصلاح والتجويد ، والشاعر في هذه الحالة مضطر إلى أن يعيد املاء آثاره ، أو نسخ ديوانه ونسوق هنا هذا الخبر الذي يورده أبو بكر الصولي (١) في كتابه الأوراق ، فإنه يلقي الكثيف من الضوء على ما نحن بصددده : يقول الصولي عن الرازي الخليفة العباسي : (كان رضى الله عنه جمع شعره وأملأه على ، فكتبته بحضرة الجلساء في يوم وليلة لا أقوم عنه إلا إلى صلاة ، فوصلنى على ذلك ، ونسخ الجلساء هذه النسخة ، وهى عندهم ، فنظرْتُ فيها ، فإذا فيها أشياء ، فقلت له من حيث لا يسمعنى أحد :

- يا سيدى . هذا شعر يبقى على الأبد ، وقد بقيت فيه حروف تحتاج إلى أن نغيرها ، فقد غير ابن المعتز شعره مرات ، وإن أمرتنى ، نسخته نسخة أخرى ، وعرضته على سيدنا ويأمر بأمره .

فقال له :

- افعل ، وأنا أصلك للنسخ وغيره . فعملتُ نسخة كتبتها ، وعرضتها عليه . وكان هذا فى آخر أيامه ، فسُئِلَها ، وقال :

- تأخذ نسخ أصحابنا منهم وتقرر النسخة (٢) . بل إن

(١) أبو بكر محمد بن يحيى ، كان مؤدبا للخليفة الرازي ، وسوف يرد الحديث عنه مفصلا ، (ت ٢٣٥) .
(٢) الأوراق = ص ٣٩ - ٤٠ (ط الصاوى بالقاهرة) . بتحقيق
هيورث دن .

هناك شاهداً أصرح دلالة على ما نحن بصددده ، نجده في
وفيات الأعيان في ترجمة ابن التعاويذي (١) وإن يقول
ابن ذلكان بصددده ، (وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل
بالزيادات انقضاء العمر ٥٥٠ ورتبه أربعة قصـول ، وكل ما جدد
بعد ذلك سماه (الزيادات) . فلهذا يوجد ديوانه في بعض
النسخ خالياً من الزيادات ، وفي بعضها مكملًا
(٢)

وهذه الظاهرة - أعني تعهد الشعراء لأثارهم بالتنقيح -
قد أورثت أهل الرواية العتبات البـالغ ، ووضعتهـم مرضـح
الخبيرة ، وهي تمثل جانباً إنسانياً لا ينبغي إغفاله لمن تصدى
لدراسة الرواية ، ذلك هو التعارض القائم بين أشواق الفنان
ورغبته في أن يبلغ بأثاره أرقى مستويات الجودة ، ونزعة
الرواة في أن يستقروا على نص ، وألا يسرقهم الخلاف في
الرواية إلى مركب صعب .

ولم تكن هذه الظاهرة وليدة القرن الرابع وما بعده ،
وإنما هي من الظواهر المعتمة القابلة للتكرار ، ما بقي هناك
نزوع للأدب في كل عصر ومكان ، ودليل ذلك ما ذكره صاحب
الموشح من رغبة ذي الرمة الدائمة إلى تجديد شعره ، وكان
يعينه على تدوينه لأشعاره ، وكثيراً ما كان يافت رواته إلى
تغيير حواضع فيما يرووه عنه من آثاره ، حتى قال له بعض
الرواة يوماً (أنت أقسدت على شعرك) (٣) .
ونذلك الخلاف هو الذي دفع بابي سعيد السكري أحد

والمراد بقوله (تقرير النسخة) أي يقرر أن هذه هي آخر نسخة اعتمدها
الخليفة وأقرها . والخبر هنا يورده الصولي بشأن الخليفة الرضا العباسي
(١) أحد شعراء القرن السادس للهجري ، وكان أيضاً كاتباً توفي
عام ٥٨٣ هـ وقيل ٥٨٤ هـ .

(٢) وفيات الأعيان : ٤ / ٩٠

(٣) انظر تفاصيل أكثر في : الموشح : ص ٣٨٩

رواة القرن الثالث الهجرى إلى أن يضع دواوين للشعراء على نهج مغاير لسلفه ، إذ كان السكرى يعود إلى النسخ المختلفة لديوان الشاعر الواحد فيقابل بين رواياتها ويختار أصحها لديه ، وكأنه بهذا العمل يريد أن يضع هذا للروايات المختلفة التي كثرت وشاعت في عصره ، وبخاصة الشعراء الجاهليون . ويعد جهده أوفى الجهود التي ظهرت قبل القرن الرابع ، حتى ذكر ابن النديم أن عدد الشعراء الذين صنع أبو سعيد دواوينهم قرابة ستة وخمسين شاعرا ، واستحق أن يصفه ياقوت الحموى بأنه (الراوية الثقة المكثر) وبأنه كان (إذا جمع جمعا ، فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة) (١) .

وقد ظهر خلال القرن الرابع رواية نهج سبيل السكرى ، وهو أبو بكر الصولى - صاحب الخبر المتقدم فى ديوان الخليفة الراضى ، إذ قام بنفس محاولة السكرى فى صنع الدواوين ، إلا أنه اتجه إلى الشعراء المحدثين فى الأعم الأغلب (٢) .

٢ - ومن دواعى الخلاف فى اللفظ (الخطأ الناجم عن تصحيف الأثر المروى) ، ومن يتتبع كتب الرواة فى ذلك ، مثل (التنبيهات) لأبى على البصرى وكتاب (شرح ما يقع عليه التصحيف والتحريف) لأبى أحمد العسكرى ، أقول : من يتتبع مثل هذه الكتب ، ويدرس الدافع إلى تأليفها يجد باب من أوسع الأبواب للخلاف اللفظى فى رواية الأثر الواحد ، وهو ما سوف نتناول بتفصيل أدق عند الحديث عن ظاهرة (التصحيف والتحريف) .

كان لعلماء اللغة والنحو دور فى توسيع الهرة على

(١) معجم الأدباء : ٩٤/٨ - ٩٩ .

(٢) سيرى ذلك مفصلا فى حديثنا عن أبى بكر الصولى

(٣) انظر : الأغاني : ٧ / ٦ معجم الأدباء : ١٤ / ٦٧٨ ، ١٨١ .

نفسه

موضوع (الخلاف اللفظي) ، لأنهم في سبيل التماس الشاهد الذي يؤيدون به ما أثبتوه ، صاروا - في كثير من الأحيان - يعمدون إلى المخرف المصحف من الشعر ، فيسرقونه ، ويبنّون على روايتهم له قاعدة ، أو جوازا في صحة لفظ ، ثم عقدوا الجدل الطويل ، ولجّوا في تأويلاتهم ، وتخريجاتهم لجبا أورثنا العنت البالغ . لهذا فإن كل محاولة لإصلاح النحو واللغة يجب أن تأخذ هذا الأمر في اعتبارها ، فإن الشواهد المدخلة كانت في كثير من الأحيان الأساس الذي بنى النحاة عليه قواعدهم وتخريجاتهم .

ج - معايير العلماء في التحقيق :

لكن . ما هي المعايير التي استند اليها أهل الرواية في مناقشاتهم لمسائل الخلاف في الرواية : سواء من الناحية النسبية ، أو من ناحية اللفظ ؟

يمكننا أن نوجز هذه المعايير فيما يلي :

- ١ - الرجوع للمصادر وفي مقدمتها الدواوين الشعرية .
- ٢ - العرض على العلماء .
- ٣ - الشيوخ في تداول الرواية .
- ٤ - الخصائص الفنية .
- ٥ - الرواة .
- ٦ - المنطق العقلي .

١ - الدواوين

أذا يضطر الرواية إلى مراجعة ديوان الشاعر لتحقيق ما يقع له من المسائل الخلافية ، فإذا ثبت له البيت في الديوان على وجهه : نسبة ولفظا ، أشار إلى ذلك ، وإذا لم يتأت له ذلك ، لم يقصّر في الإشارة رعاية منه للأمانة .

وحيث نرجع الى شتى المصادر الادبية نجدها زاخرة بالكثير من التحقيقات ، مما لا يقع تحت حصر .

من أمثلة ذلك في الأغاني - أن أبا الفرج الأصفهاني يروي اثرًا شعريًا لأبي المولى الشاعر ، ويلاحظ الأصفهاني أن إسحاق الموصلي ينسبه للأعشى ، فيسارع أبو الفرج إلى رقبته بعد تحقيقه من خطأ هذه النسبة ، وكان سنده في ذلك مراجعته الطويلة في دواوين الأعاشي ، كأعشى قيس وأعشى باهله . يقول أبو الفرج :

(وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده ، ولا رواه أحد من الرواة لأحد منهم ، ووجدناه لأبي المولى في قصيدة له طويلة جيدة) .

وقد أثبتناها بعقب أخباره ليوقف على صحة ما ذكرناه . إذا كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة ، احتيج إلى إيضاح (حجة على صحة) والدلالة على الصواب فيه (١) ويفعل الأصفهاني نفس الشيء في تصحيحه بعض آثار للمرقش ، إذ يرجع إلى دواوين المرقشين جميعا التماسا للصواب (٢) .

٢ - أما العرض على الرواة ، فالمراد به سؤال أهل الرواية والتحقيق ، ممن يوثق بهم ، مع نسبة ذلك إلى العالم الذي رجع إليه ، أو الاكتفاء بالإشارة إلى مبدأ الرجوع إلى العلماء دون تحديد للعالم بالذات (٣) .

٣ - أما الخصائص الفنية ، فالمراد بها أن يكون الراوية ذا بصر بأهم سمات الشاعر في تعبيراته وأفكاره وعواطفه .

(١) الأغاني : ٢٨٥/٣ .

(٢) نفسه .

(٣) الحلة المسيرة : ٢٧٧/١ .

فإذا وقع له أثر نسب إليه خطأ ولم تسعفه المصادر أو الرواة، استعان بخبرته وفكرته عن خصائص الشاعر فنقى النسبة أو أثبتها في ضوء ذلك .

وكثيرا ما تأتي عبارات الرواة تحمل في طياتها هذا المعيار مثل :

١ - قول أبي الفرج الأصفهاني بشأن أبيات للجنون : (وهي بشعره أشبهه) (١) .

٢ - قول أبي الفرج : (القصيدة مصنوعة والشعر بيت التوليد) (٢) .

ج - قول أبي الفرج : (أبيات من رواية أصحاحنا الكوفيين غيرهم يزعم أنها مصنوعة ، والتوليد ظاهر بين فيها جدا) (٣) .

د - قول الثعالبي : (وأنشدني غيره له وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته) (٤) .

هـ - قول ابن رشيق (وابن ميادة أولى به وأشبهه) (٥) .

و - قول ابن رشيق (ولست أرى مثله من عمل المحدثين صوابا ، ولا علمته وقع لأحد منهم) (٦) .

ز - قول الشريف المرتضى نفيا لنسبة أبيات إلى الجاحظ (ولا يشبه شعر الجاحظ للنية) (٧) .

٤- أما المصدر الرابع ، وهو الشيوع والتداول ، فالمراد به الاستناد إلى الرأي الذي التزم به جمهور الرواة وأهل

(١) الأغاني : ٢٥٦/٦ .

(٢) الأغاني : ١٤ / ١٥٠ .

(٣) الأغاني : ١٤/١٥١ وانظر ٩ / ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ١٠ / ٤٠ .

(٤) بيتامة الدهر : ١ / ٣١٩ .

(٥) العمدة : ١ / ١٨٥ .

(٦) العمدة : ٢ / ١٩٨ .

(٧) أمالي المرتضى : ١ / ١٩٧ .

التحقيق ، فالخروج عليه شذوذ لا مبرر له وتجد في المصادر الأدبية ما يشير الى تطبيق هذا المعيار ، كقول المعري في (رسالة الغفران) على لسان بعض أبطاله ينفي نسبة بيت له : (لا والله ما سمعت هذا قط ، وأنه لفرى لم أسلكه) (١) .

ومثاله أيضا رفض أبي الفرج الأصفهاني لروايات انفرد بهم ابن خرداذبة ولم يقل بها جمهور (الرواية) (٢) .

٥ - وأما قبول الرواية أو رفضها استنادا الى الراوية من حيث الثقة به أو تكذيبه ، فهو أيضا من المعايير الشائعة لدى الرواة . يبدو لنا ذلك واضحا فيما تداوله العلماء من أخبار حماد الراوية وخلف الأحمر وما يقال بشأن اتهامهما .

ولهذا فإن المراجع كثيرا ما تحفل بعبارات تشعّر بمدى تحري الرواة في الأخذ والتلقي مثل :

« قال من يوثق بخبره »

« وحكى لي الثقة »

« وحدثني قوم . . . ما هم في الحكاية بكاذبين »

ومن أجل ذلك كان لابد - في عرف الرواة - من الوقوف على أحوال الرواة والتعرف عليهم ، فأكثر العلماء من التأليف في سير العلماء والرواة ، وكثرت هذه المؤلفات - روضة - وبخاصة في القرن الخامس للهجرة - فهناك :

(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي .

و (معجم الأدباء) لياقوت الحموي

و (إنباه الرواة) للقفاي (٣) .

(١) رسالة الغفران : ص ٣١٣ .

(٢) الأغاني : ٣٦/١ .

(٣) وانظر : بغية الوعاة مقدمة الناشر ، ومقدمة السيوطي .

كثرة الحذف

الرواة

و (نزهة الألبا في طبقات الأدباء) للكمال بن الأنباري .
وهكذا مما لا يقع تحت حصر ، من كتب التراجم التي لم
تتوقف حركة التأليف فيها سواء في المشرق أو في المغرب
والأندلس ، حافلة بأحكام مختلفة .

وقد كان مؤلفو التراجم ، يعرضون الحال راوية الأدب
على نحو ما كان يفعل علماء الحديث وطبقات محدثين ثقة
ف الخطيب البغدادي يقول عن ابن الأعرابي . (ثقة) (١)
(وكان من أعلم الناس باللغة موثقاً فيما يرويه) (٢) وعن
الأصمعي (ثقة) (٣)

كما عمد علماء الأدب الى وضع مؤلفات في أصول الرواية .
أو كتابية فصول عنها . فمن النوع الأول كتاب الكمال
ابن الأنباري وهو (لمع الأدلة) فقال ابن الأنباري :

(يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلاً ، رجلاً كان أو امرأة ، حراً
كان أو عبداً ، كما يشترط في ناقل الحديث ، لأن به معرفة
تفسيره وتأويله فاشترط في نقله ما اشترط في نقلها .) (٤)
وقال أيضاً : (فان كان ناقل اللغة فاسقاً لم تقبل روايته) (٥)
بل اشترط ابن الأنباري عدم الجهالة بالرواية أو القائل
مجاراة لرواة الحديث ، لأن الجهل بالناقل أو القائل يوجب
الجهل بالعدالة (٦)

ن - (ذكر ابن الأنباري هذا المبدأ - بخصوص الجهل بالقائل
بالذات - في كتابه (الإنصاف) : وهو مخافة أن يكون الأثر

(١) تاريخ بغداد : ٢٨٢/٥ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه : ٣٢٩/٦ .

(٤) لمع الأدلة (ط أوروبا) ٣١ .

(٥) لمع الأدلة : ٣١ .

(٦) نفسه .

الشيخ

إذا جهل قائله - لمولد ممن لا يحتج بقولهم (١) .

كذلك كان من دواعي الثقة بالرواية كبر سنه ، كبرا
يوحى بالمأه بالرواية للأثار القديمة ، ومن هذا القبيل ما رواه
أبو العرب ابن معيشة الكنائى الحسينى قال : أخبرنى شيخ من
أهل اشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد وكان عليه من أثر
كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق ^{بأن} ^م
قوله الحق (٢) .

الأثر

٦ - أما المعيار الأخير ، وهو المنطق ، فإن يكون الخير
أو (- - -) مقبول من الوجهة العقلية : لاحظنا ذلك فى نفي
أبى الطلاء المعبرى لما نسب إلى الإمام على من قوله (تهلك
البصرة بالزنج) لأن علم الغيب مرده لله تعالى ، وكذلك نفي
الرواة الأوائل ~~من~~ للأثار شعرية منسوبة إلى آدم وحواء
وولديهما .

ولا يعنى ذكر هذه المعايير أنها وحدها التى انحصرت
فيها وسائل القدماء فى تمييز النصوص وتصحيح
رواياتها ، فهناك ثقافة الراوية ، وهناك ضرورة نقله
بطريق السماع ، لا أخذه من الصحف وتمرسه بالرواية .
وسعة بصره بالأثار (٣) .

بالرواية

(١) نفسه .

(٢) نفح الطيب : ٣٠١/٤ .

(٣) انظر فصل (التوثيق والتجريح : معايير بين القدماء والمحدثين)

رسالتنا لماجستير (مخطوطة بمكتبة دار العلوم) .

فى رسالتنا لماجستير

الفصل السادس

التدوين

حقيقة

قبل أن يفرض البحث بنا إلى دروبه حول (التدوين) باعتباراه أحد مصدري رواية الأدب ، نضع أمام القارئ حقيقة هامة جدية بالنظر والاعتبار : ذلك أن الرواية - بعامه لا تعنى مجرد الذاكرة ، والأخذ والعطاء الشفاهي ، بل هي في حقيقتها ، شفاهية ومدونة .

معنى هذا : أن هناك رواية شفاهية وأخرى مدونة ، وهما متلازمتان ، بل لا يمكن تصور قيام الرواية إلا على هذه الصورة من اللازم .

التلازم

هكذا عرفنا الرواية ، منذ العصر الجاهلي ، إبان بساطتها وسذاجة تقاليدها ووسائلها (١) ، غير أن التدوين في العصر الجاهلي وشطر من الإسلامى ، كان بسيطا هو الآخر ، إلى أن أخذ شكلا واضحا مع أواخر القرن الثانى وبدايات الثالث حتى منتهاه (٢) .

ثم كان اتساعه ونضجه فى القرن الرابع ، وهنا نؤكد أن اتساعه ونضجه لا يعنى اختفاء الرواية ما دمتا عند اصطناحنا بدءا على أنه رواية . بل أن الرواية - هنا - قد أمدت حركة التدوين فى القرن الرابع وما بعده بتقالييد محددة ، ووضعت داخل إطار حقق غاياته ، أن أجل توثيقه وحفظه من عوادي الشطط والانحراف والتزييف ،

(١) انظر بحثنا للماجستير : ص ٦٣ - ٧٨ .

(٢) المرجع السابق .

كوجوب الأمانة في النقل ، والأمانة في النسخ ، ومقابلة النسخ ، وسماعها على الشيوخ الثقات . ومن هذا ، فسوف نلاحظ أن التأليف منذ قيامه قبل القرن الرابع ، قد قام معه توثيق (النقول) التي يستعين بها المؤلفون ، وذلك عن طريق الإسناد إلى الشيوخ الأثبات . أو عن طريق ذكر المصادر المدونة كتباً كنت أو تعاليف خاصة بالرواة ، كما أن الكتب بعد تأليفها كانت تحوّل إلى مرويّات يتناقلها الرواة ويكفلون لها (مصاد) النصّون والرعاية .

ضمانات

وعندما يأتي القرن الرابع ، ويصل المد الحضاري إلى غاياته ، تنشط معه الرواية نشاطاً يمكنها من العطاء الزاخر ، ولا أدل على هذا من جهور فريق من الرواة المصنّفين بلغوا العناية (جمعاً وتاليفاً) على رأسهم أبو الفرج الأديباني والقاللي والمرزباني . ونحاول فيما يلي أن نسلط الضوء على أنواع متباينة من المدونات ، موجهين النظر إلى أثر الرواية في توثيقها وحفظها بادئين بالكتب .

أولاً : الكتب

وتمثل الكتب أرقى صور التدوين وأخطرها شأنًا ، لأنها تدور في فلك التداول ، ولأنها تعكس النماء الفكري والحضاري . وقد لعبت الرواية دوراً كبيراً لحماية (الكتاب) وترقيق محتواه العلمي ، فكانت الكتب تفيد عليها أنواع متباينة من التقييدات ، في مقدمتها السماع ، الذي يشير إلى أن الكتاب قد قرئ على العلماء ، ونال بذلك (تصحيحاً) التصحيح والتوثيق . نصيبه من ونتيجة لهذا سُجلت الأسانيد على ظهور الكتب تسجيلًا

حول المؤلف الكتاب

- ٩٤ -

بعضها

يربط بين المؤلف وراوييه في الكثير من الأحيان ، ولين تأكيد وثاقة الكتاب مادة ونسبة .

ولهذا كان يعاب على العالم أن يقتنى كتابا لا يرى عليها آثار السماع (١) .

كما صار أمر الأخذ بالكتب نوعاً من الإسناد ، ولا يقل بحال عن الأخذ من الأفواه ، وصار هذان المصدران كلاهما متضافرين على توثيق (نقول) المؤلف و (مروياته) عندما

والملاحظ أننا عندما نستعرض المؤلفات في القرن الرابع الهجري وما بعده نجد أن النقل عن الكتب يسير جنباً إلى جنب مع الأخذ من الأفواه . ولكن لكي تضمن الرواية توثيق (المصادر المدونة) المنقول عنها ، اشترطت أن تكون المصادر موثوقة بها وبأصحابها ، ولهذا كان العلماء يؤكدون ذلك في إشاراتهم إلى هذه المصادر مثل :

١ - قول ابن الأبار (والذي أورده من أبيات ، فمنقول عن اثبات ومجموع من تصنيفات أشنات) (٢) .

ب - أو قول ابن عربي (وكل ما سطرته في كتابي هذا ، فمنه ما شاهدته أو حدثنا من شاهده ، ومنه من نقلته من كتب مشهورة ، رويتها سمعاً أو قراءة أو مناولة أو كتابة) (٣) .

ج - كثيراً ما نعتز في الكتب على إشارات توثق المصادر المدونة المنقول عنها مثل : (نقلت من خط من يوثق به) (٤)

(١) انظر ترجمة ابن باكوويه (الأمام أبو عبد الله الشيرازي للصوفي ت ٤٣٦ هـ) في - هـ العبر في أخبار من غير : ٣ / ١٦٧ .

في شذرات الذهب : ٣ / ٢٥٧ عام ٤٣٦ هـ .

(٢) الحالة السيرة : ٣٢ / ١ .

(٣) محاضرات الأبرار (المقدمة) ١١ / ١ .

(٤)

د - قول الحموى فى مقدمة (معجم الأدباء) :

(واثبت مواضع نقلى ومواطن أخذى من كتب العلماء
المعول فى هذا الشأن عليهم والمرجوع فى صحة النقل
إليهم) (١) .

ولقد صار أمر الاعتماد على (المصادر المدونة) تقليدا
راسخا فى عرف أهل الرواية والتحقيق ، وكان السر فى
هذا أن (الذاكرة) وحدها غير مأمونة العطاء وبلغ هذه
الرسوخ درجة جعلت العلماء يعيرون الرواية الذى لا يملك
(أصولا يرجع إليها) كما حذى بشأن (ابن القوطية) .

ثم صار الرواية - خلاف ما تقدم - مسئولا عن ضبط
مقتنياته من الكتب . وحديث العلماء عن هذا المبدأ بالذات
يربط ربطا وثيقا بين هذا المسلك ومقتضيات الرواية ،
كقولهم فى وصف العالم (من أضبط الناس لكتبه ، وأفهمهم
لمعاني الرواية) (١) .

وإذا كنا أشرفنا أجمالا لمبدأ تقييد السماع على ظهور
الكتب (فأنا ذاكرون - تفصيلا - ، مبدأ التقييد على ظهور
الكتب من سماع وغيره) .

وبما أن نحصر هذه التقييدات فيما يلى :

- ١ - السماع .
- ٢ - القراءة .
- ٣ - الأسانيد .

(١) نفح الطيب : ٢٨٠/٦ .

(٢) معجم الأدباء (المقدمة) ٤٩/١ .

وشذرات الذهب .

(٣) انباء الرواة : ١ / ٣٠٣ وانظر : بغية الوعاة ، ومعجم الأدباء

- ٤ - التعليقات
- ٥ - استمليكات
- ٦ - الوقف

جوانحه

عزنا ١ - السماع

فالقطة

وقد مضى له جملة ، ونعرض له فيما يلي بشواهد
تجلى أمره ، وتوضح ما لم يتضح - بعد - من (جوانحه) .
فالقطة - مثلا - يقرر انه رأى بنفسه كتاب العمدة لابن
رشيق ، وعليه اثر سماع أحد أمراء جزيرة صقلية (١) .
كما يخبرنا القطة - أيضا - بسمات رآها بخط أحد
وراقى أبى العلاء المعرى على ظهر الجزء الثانى من كتابه
(نكرى حبيب) (٢) .

وأحيانا كان الرواة عندما يأخذون عن الشيخ كتابا ،
ليس من تأليفه ، كانوا يطلبون منه اطلاعهم على الأصول
التي سمع عليها ، ورؤية السماعيات بخط شيوخه الذين
روى الكتاب عنهم ، فإن رأوا فيه ذلك صدقوه وأطمأنوا
اليه ، والا (ارتابوا فى أمره واتهموه بالكذب) (٣) .

القراءة

إذا كان السماع شهادة الشيخ بقراءة التلميذ ، أو
سماعه بقراءة الغير ، فإن القراءة قد تكون إقرار التلميذ
بالرواية إقرار الشيخ بقراءة التلميذ .
فكثير من التلاميذ حرصوا على تقييد قراءاتهم على

(١) انباء الرواة : ١/ ٥٥ - ٥٦ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر خبرا مفصلا فى ذلك فى : ابن الفرضى : تاريخ علماء
الأندلس (ط الدار المصرية ١٩٦٦ م) القسم الثانى منها ص : ٥٥ .

ظهور الكتب ، وهم - فيما قيدوا - قد حرصوا على توثيق قراءاتهم وحرصهم على توثيق المقررات ذاتها . ولهذا كانوا يضمنون هذه التقييدات ما يفيد بأنها كانت حسب الأصول المرعية للرواية .

خذ - مثلاً - هذه القراءات التي سجلها لنا المقرئ في نفح الطيب من ظهر كتاب (نظم الدرر في مدح سيد البشر) لابن العطار ونصها كالآتي :

(قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرهما على ناظمها انقاضى ٠٠٠ قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة بأصله بموضع الحكم في مدينة الجزائر من أقصى أفريقية ٠٠ وأخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذى القعدة أواخر عام سبع وسبعمائة ، ونص ماكتب على نص قراءتي عليه : (صحيح ذلك) وكتبه محمد بن عبد الله بن العطار والحمد لله رب العالمين) (١) .

وأهمية هذا النص في أنه يطلعنا على الكثير من تقاليد القراءة ، ومن هذه التقاليد إقرار الشيخ ومصادقته على كلام التلميذ ، مع ما تشير إليه (قراءة) الناقل من اتباعه لأصول الرواية ، وتحديد الزمان والمكان الذين تمت القراءة فيهما .

ولم يكن الشيخ المسلم ، وهو في موضع المسئولية العلمية ، ليقدم على إقراء الكتاب ، إلا إذا كان متحققاً من توثيقه ، حتى كان مما يمتدح العانم به أنه لا يقرئ شيئاً لا يتحققه (٢) . وبهذا نجد أن (المسلك التدويني) (محوطة) بكل ضمانات التوثيق .

كاظم

(١) نفح الطيب : ١٠ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) انظر خيراً ساقه ابن الأثير في ترجمة محمد بن الحسين البليسي المتوفى عام ٤٦٠ هـ في : التكملة لكتاب الأصل : ١ / ٢٩٠ .

(٧ - الشعر)

٣ - الأسانيد

وقد تقدم الحديث عنها في موضعها ، وما ذكرناه من أن التلاميذ بعد روايتهم الكتب ، كانوا يطالبون الشيوخ بالأسانيد ، وما قيل بشأن اتهام ابن القطاع الصقلي بتركيب اسناد لكتاب (الصحاح) للجوهري لأهل مصر ، حين رأى اشتغالهم بروايته .

ثم كيف كان ينبغي أن تكون الأسانيد في الكتب متصلة ، شأنها في ذلك شأن الحديث الشريف ، حتى أن ابن بشران (١) الذي تقدم مطائبة تلاميذه إياه بأسانيد مقروءاتهم ، قد ذكر لهم أسناد كتاب الحماسة - مثلاً - متصلاً إلى مصنفه أبي تمام (٢) .

٤ - التعليقات

ونقصد بها هنا تقييدات قارئ الكتاب على ظهره أو هوأمشه بإبداء الرأي أو بإضافة أو بالتصحيح ، أو بالتوثيق .

وكل هذه الأنماط تخدم الكتاب من الوجهة التوثيقية لأنها تقوى نسبه

ولقد كان مما يمتدح العالم الثقة به ، (تعليقاته) الشابتة على حواشي كتبه ، حتى كان مما قاله الحميدى (٣) في ترجمته لابن عبد ربه ، وهو يتحدث عن كتابه (العقد الفريد) و (رأيت منه ثيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للككم بن عبد الرحمن الناصر ، وفي بعضها

(١) ابن بشران هو محمد بن أحمد بن سهل الحنفى النجوى الواسطى ويعرف أيضاً بابن خاله . كان من أئمة العراق في اللغة والأدب والرواية وتوفى ٤٦٢ هـ .

(٢) انظر : انباه الرواة : ٣ / ٤٥ .

(٣) ابن عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي ، أحد رواة الأندلس في القرن الخامس وصاحب جزوه المقتبس في ذكر ولادة الأندلس (ت ٤٨٨ هـ)

بخطه - أ/الحكم - (توفي أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه
٣٢٨ هـ لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأول ، ومولده
٢٤٦ لغشير خلون من رمضان فاستوفى إحدى وثمانين سنة
وثمانية أشهر وثمانية أيام) .

ثم يعلق الحميدى على تدوين الحكم بقوله (وخطه
حجة عند أهل العلم عندنا لأنه كان عالماً ثبتاً) (١) ومعنى
هذا أن الحميدى قد اعتمد على خط الحكم فى تحديد سنتى
المولد والوفاة لابن عبد ربه ثقة بخطه وعلمه .

وكثيراً ما تطالعنا كتب التراجم بتعليقات وجدت على
ظهور الكتب بمثل الإضافة الهامة التى وجدناها من الحكم
المستنصر من (ديوان الأدب) ، (للصارمى) (٢)

فالقبطى يروى أنه قرأ على نسخة وردته من (ترمذ)
بخط خطيب (ترمذ) ، بأن القارابى مصنفه مات فى عام
٣٩٠ هـ وأنه قرأ على ظهر جزء من ديوان الأعشى بخط
ابن وداع (٣) أن صالح بن رداص صاحب حلب ، خرج إلى
المعرة ، وقد عصى عليه أهلها ، فنزل عليها ، وشرع فى
قتالها ، ورمها بالمجانيق . فلما أحس أهلها التغلب
سرعوا إلى أبى العلاء ، وسألوه الخروج إليه والشفاعة
فيهم عنده . (٣) .

وتزداد التعليقات وثيقة ، وتبدو فى حقيقتها نوعاً من
الإضافة المفيدة إذا كان كاتبها على صلة بالمؤلف ، ومن هنا

(١) جندوة المقتبس : ص ١٠١ من الحكم المستنصر الخليفة الاموى
بالاندلس ت ٣٦٦ هـ (جندوة المقتبس ص ١٠١ وبغية الملتبس لابن الغرضى
ص ١٨ وما بعدها)
(٢) ابن وداع من عبد الله بن محمد الأزدى من الوراقين العلماء
وانظر انباء الرواة : ١ / ٥٢ .
(٣) انباء الرواة : ١ / ٥٢ .

المقدمة - ١٠٠ -

تبدو قيمة مادونه ولداً ابن الخطيب من تعليقات في صفحات كتاب ابن الخطيب - وزير غرناطة الأشهر - (للإحاطة في أخبار غرناطة) . ونجد جملة حسنة من هذه التعليقات في كتاب (نفح الطيب) بما يفيد أن ولد ابن الخطيب قد تتلمذ على ابن خلدون ، وأنه أحياناً روى عن روى عنهم والده من الشعراء (١) .

ومعنى هذا أن التعليقات حققت للكتاب العرى هدفين :

- الأول : توثيقه حين قامت منه مقام النسب .
- الثاني : أنها بدورها غدت مصدراً لقارئ الكتاب يقيده منها إفادته من الكتاب ذاته بما حققته من عامل (الإضافة المفيدة) .

على أن بعض المصنفات قد قامت على تسجيل جملة مفيدة منها ، واقتصرت عليها ، منها كتاب (شهرة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما قيل من ظهور الكتب) للقفاطى وقد أورد ذكره في (إنباه الرواة) ولم يصل إلينا الكتاب ، بل ضاع ضمن ما ضاع من ذخائر جمال الدين القفاطى (٢) .

٥ - التمليكات

وهي عبارات ترد على ظهور الكتب تشير إلى من تملك النسخة ، وتشير إلى تناقل ملكيتها عبر السنوات ، فهي بذلك تقوم مقام السند للكتاب توثيقاً ، وتقويةً لنسبته .

ومن أمثلتها كتاب (شرح أشعار الهذليين) لأبي سعيد السكري ، عليها تمليكات بخطوط أئمة من العلماء ، مثل ابن دريد وابن فارس وأبي علي القالي (٣) .

(١) نفح الطيب : ٨ / ١٥٩ ، ١٨٤ ، ١٠ / ١٠٧ .

(٢) أنظر مقدمة الناشر : محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م .

(٣) مقدمة الناشر : ١٤ / ١٤ .

٦ - الوقف

والمراد به أن يوقف المؤلف نسخة أو يضع نسخ من كتابه على إحدى المكتبات العامة ، المستقلة أو الملحقة بالمدارس ، أو المساجد ، أو لتكون النسخة أو النسخ وفقا على القراء دون تخصيص ومن حقه أن يوصى في عبارة وقفه بما يضمن حمايته من عبث المزيفين .

وهذا الوقف للكتب يعطينا صورة إنسانية نبيلة لحرص المسلمين على نشر المعرفة ، والحفاظ عليها وتوثيقها في الوقت ذاته .

ومن أمثلة عبارات الوقف على ظهور الكتب هذا النقش الذي راه المقرئ على ظهر نسخة الإحاطة المتقدمة الذكر ، وكان صاحبها قد وقفها على أهل العلم بخانقاه ، (١) سعيد السعداء بمصر ، النص هو كالاتي كتبه من ندبه المؤلف لتحريره .

(٠٠٠ وقف ٠٠٠ جميع هذا الكتاب ، تاريخ غرناطة ، وهو ثمانية أجزاء ، هذا رابعها ، عن مصنفه المذكور ، بمقتضى التفويض الذي أحضره ٠٠٠٠ وقف شرعيا على جميع المسلمين ، ينتفعين به قراءة ونسخا ومطالعة وجعل مقره بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء ، رحم الله تعالى واقفها ، وجعل النظر في ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حنبل ، حرسه الله تعالى ، ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكور ، فلا يحل لاحد يؤمن

(١) الخانقاه ، كلمة فارسية ، معناها (البيت) وهي كلمة حديثة في الإسلام ظهرت في حدود الأربعمائة . والمقصود بها بيوت جعلت لتخاض الصوفية فيها للعبادة والتصرف . وكانت في نفس الوقت دورا للعلم تضم شيوخا ومكتبات . انظر السيوطي : حسن المحاضرة : ٢ / ٢٥٦ .

بالله العظيم ، ويعلم أنه صائر إلى ربه الكريم ، أن يبطله ، ولا شيئاً منه ، ولا يبدله ولا شيئاً منه . فمن فعل ذلك أو أعان عليه ، فإنما إثمُه على الذين يبدّلونه ، إن الله سميع عليم ، ومن أعان على إبقائه على حكم الوقف المذكور ، جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين ، الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، وأشهد الواقف الوكيل عليه في ذلك ، في الثاني والعشرين لشهر الله تعالى المحرم على ثمانية وستين وسبعمائة) .

والملاحظ أن هذا الوقف :

- أ - يمثل وثيقة شرعية جارية على مبادئ الوقف .
- ب - يقيم الوكيل والذي تولى كتابة صيغة الوقف مقام الشاهد على إقرار الواقف وشرطه .
- ج - يحدد لنا زمان ومكان الوقف ، فيعطينا فكرة عن وجهة انتقال الكتاب وتداوله .
- د - الوثيقة تجيز القراءة والنسخ والمطالعة ، وقرق بين لفظتي (قراءة) و (مطالعة) فالأولى هي قراءة الرواية ، والثانية مجرد قراءة عادية على غير شيخ .
- هـ - أنه يوصى بالمحافظة على الكتاب ، بعدم إحداث أدنى تغيير في نصه ومحتواه (١) .

ثانيا : النقوش

وهذه النقوش تكون على المبانى أو المقابر أو الأدوات المستعملة من مقاعد ، أو مواعين ، أو نحوها . ولم يكن تسجيل الآثار الأدبية في كل الأحوال لقصد المحافظة عليها ، بل هي نوع من الزينة والترف ، كهذا الذي

(١) راجع الباب السادس الخاص بالأدب مع الكتب في : العلمى (ت ٩٨١ هـ) المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٠

نلاحظه على النقوش الأدبية في المباني الأندلسية .

ومع هذا ، فإنه كان يراعى الدقة في تدوينها تأثراً بتقاليد الرواية ، ومن هذا القبيل آثار شاعر غرناطة ابن زمرق ، فقد قيل إن آثاره مدونة على جدران قصر الحمراء بغرناطة (١)

وتزداد مثل هذه النقوش قيمة إذا كانت المصدر الوحيد للأثر الأدبي ، ويلزم عندئذ ذكر هذا المصدر توثيقاً للأثر المروى الذي يجد طريقه للتداول والانتقال على السنة أهل الرواية بالسند المتصل إلى قائلها ونسوق من هذا القبيل الشاهد التالي يرويهِ الحُمَيْدِيُّ بالسند (٢)

المتصل إلى قائله من طريق ابن حزم قال (٠٠٠ حدثني أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن ذكوان قال : حدثني أبي عن بعض أخوانه ، أو عن نفسه : أنه حج فنزل بمصر في حجرة اكتراها ، قال : فإني قاعد يوماً إذ نظرتُ إلى كتابة على الحائط فتأملت ذلك فإذا (الأبيات) فنكرت ذلك لبعض من من كنت أجالسه بمصر ، فقال : ذلك خط الحسن بن هانئ وهي من قوله ، وفي تلك الحجرة كان نازلاً أيام كونه بمصر (٣) .

وبمقدار القيمة التاريخية لما ينقشه الشاعر نفسه من آثار على جدران مسكنه الخاص ، تكون أيضاً قيمة ما يكتبه على ما يقرب من ذلك كجدار سجن أو نحو ، كتلك الأبيات التي رواها ابن سعيد لأبي بكر بن أبي العلاء يقول :

(١) حدثنا بذلك الدكتور الطاهر أحمد مكي الأستاذ بدار المعلم في محاضراته بقسم الدراسات العليا في ١٩٦٦ وذكر أنه شاهد ذلك في غرناطة .
(٢) وأنظر الخبر والأبيات في جزوة المقتبس : ص ١٣٠ .
(٣) وانظر أيضاً : ابن كثير = البداية والنهاية (ط بيروت ١٩٦٦) ١٢ / ٢١٥ حيث نقل خبراً مؤداه أن الخليفة العباسي المسترشد بالله قد أطلق لابن أفلح الشاعر (ت ٥٢٣ هـ) دارة كاملة فكتب عليها أشعاراً حسنة من نظم ونظم غيره ، وقد روى ابن كثير طائفة منها .

وَوُجِدَتْ عَلَى حَائِطِ حَجَرَتِهِ بِالسَّجْنِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ عَلَى مَحَنَةٍ جَرَتْ لَهُ (١) .

وقد وافانا المَقَرَّى بِجَمَلَةٍ صَالِحَةٍ مِنَ الْأَشْعَارِ الْمَرْوِيَةِ عَلَى الْمِبَانِي وَالتَّمَاثِيلِ وَالْأَقْدَاحِ ، وَالْأَبْوَابِ ، وَكَانَتْ مَصَادِرُهُ فِي النُّقْلِ وَالرَّوَايَةِ (٢) . وَتَزْدَادُ الْقِيَمَةُ التَّارِيخِيَّةُ لِهَذِهِ الْأَثَارِ، حِينَ تَكُونُ تَوَارِيخُ لِمَوْلِدٍ أَوْ وَفَاةٍ عَلَى شَوَاهِدِ الْقُبُورِ أَوْ نَحْوِهَا مِنَ الْأَثَارِ الْمَعْمَارِيَةِ (٣) .

وَعِنْدُنَا تَتَحَوَّلُ النُّقُوشُ الْمُسَجَّلَةُ عَلَى تِلْكَ الْأَثَارِ الْمَعْمَارِيَةِ إِلَى مَادَّةٍ هَامَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِعَالَمِ التَّارِيخِ الَّذِي يَسْتَعِينُ بِهَا فِي تَحْرِيرِ مَادَّتِهِ الْعِلْمِيَّةِ . وَقَدْ تَبَدُّوْا أَهْمِيَّةً مِثْلَ هَذِهِ النُّقُوشِ مِنْ نَاحِيَةٍ مَا تَعْقِدُهُ مِنَ الصَّلَةِ بَيْنَ رِوَاةِ الْأَثَارِ الْأَدَبِيَّةِ وَعِلْمَاءِ الْأَثَارِ وَالْكَاشُوفِ التَّارِيخِيَّةِ ، لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ تَلْقَى الضُّوءَ أَمَامَ الْعَالَمِ الْأَثَرِيِّ عَلَى سِرِّ هَذِهِ الْأَثَارِ ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا تَتَحَوَّلُ أَمَامَهُ إِلَى لُغَزٍ غَامِضٍ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِلِسَانِ الرِّوَايَةِ .

وَمِنْ هُنَا كَانَ تَوْثِيقُ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيِّ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَثَارِ حِينَ اتَّخَذَهَا مَصَادِرَ لِكِتَابِهِ (أَدَبُ الْغُرَبَاءِ) .

(١) المغرب في حاي المغرب : ٢ / ٣٨٢ ترجمة رقم : ٥٨٦ (بمحقق الدكتور شوقي شيف) ط دار المعارف .
(٢) انظر : نفح الطيب : ٢ / ٢٨١ ، ٨ / ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٣) انظر مثلاً لذلك في ترجمة ابن الخياط (أحد علماء/الزندان ت ٥٠٠ هـ) في التكملة لكتاب الصلة ١ / ٢٧٣ حيث ينقل تاريخ وفاته من لوحة على قبره .

الفصل السابع

الوراقة والوراقون

كانت الوراقة حرفة وثيقة الصلة بالفكر في أوسع مجالاته ، وكانت الحرفة التي تتولى نسخ الكتب وإخراجها على أحسن صورة ممكنة ، فهي حرفة (صناعة الكتاب) تقابل - في عصرنا الحديث حرفة الطباعة وما قد يرتبط بها من تجليد ، واتجار .

وكما تجرى اليوم عادة الدارسين للأدب العربي المعاصر في الحديث عن الطباعة ، والنهضة الطباعية ، ويخصون ^{مطبوع} المطبعة بولاق مثلاً بحديث طويل ، فإنه لا ينبغي لدارس التراث الفكري قديماً أن يهمل موضوع الوراقة : فصناعة الكتاب موضوع لا يمكن فصله عن قضية الفكر والثقافة .

وإذا كنا في مطلع القرن العشرين بالذات قد شهدنا فريقاً من رجالات الفكر العربي ينشئون المطابع ودور النشر ، كما فعل جورجى زيدان ويعقوب صّوف ورشيد رضا ، ومنير الثّمشقى والزيات وأحمد أمين وسواهم ، فقد رأينا قديماً وراقين كانوا من أئمة الفكر وحفظته القائمين به ، ودافع رجال الفكر - في القديم والحديث - دافع واحد - هو الإشراف المباشر على صناعة الكتاب ، وتوجيه الكلمة المقروءة ، حتى لا يتدنّى الفكر إلى مهاوى السلعة ، يحتكره التجار ، ويتحكم فيه أهواء المادة . وفي دراستنا هذه سوف نحاول إبراز عنصر الصلة بين الرواية والوراقة : كيف اشتغل الرواة بالوراقة ، وكيف أعانت الوراقة الرواية

على أداء رسالتها ، بقدر ما أهدتها الرواية بتقاليد حفظت عليها دورها .

وتشير الدلائل إلى أن كبار العلماء والرواة ، قد اضطروا إلى اتخاذهم للوراقين المختصين بهم ، وذلك أمر بديهي . فالعالم مضطرا إلى التفريغ لمهمته الأصلية ، وهي القراءة والبحث والتأليف ، ثم إن تهافت الناس على كتبه ، وحرصهم على اقتنائها وتداولها ، يجعل من المحتم الاجتهاد في نسخها ، وحسن إخراجها ، وفاء بمطالب أهل الفكر ، وطلاب التحصيل . ومن العلماء الذين اتخذوا لهم الوراقين قبل القرن الرابع : الجاحظ (١) ، وورقه الذي اختص به هو (زكريا بن يحيى) (٢) كما اتخذ المبرد لنفسه جماعة من الوراقين كانوا في الوقت ذاته رواة له ، وقد ذكر ابن النديم من بينهم :

ابن الزجاجي (٣) والساسي (٤) .

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ ، صاحب البيان والتبيين (ت ٢٥٥ هـ) .

(٢) معجم الأدباء : ١٦ / ١٠٦ ولم يترجم له ياقوت ، وإنما ذكره عزضا في معجم الرواة عنه ، ولم نعثر له على ترجمة . وورد ذكره مرة واحدة في خلال استناد أبي على القالي في أماليه ، وهو يروي قصيدة لحميد بن شور الهلالي ، وأورده على أنه (ابن زكريا الوراق وليس زكريا بن يحيى) (أمالي القالي : ١ / ٢٤٨) (ط دار الكتب) .

(٣) الفهرست : ٨٩ (ط التجارية) .

(٤) نفس المرجع والمؤسّس : ذكر ابن النديم كلا من ابن الزجاجي والساسي عقب ترجمته للمبرد : فابن الزجاجي اسمه اسماعيل بن أحمد والساسي اسمه إبراهيم بن محمد ، وذكر القفطي إبراهيم بن محمد (انباء : ١٩٧٦/١) . يترجم له بسطر واحد ، وذكر أنه في طبقة المبرد ويأنه لم يشتهر شهرة المبرد ، أما الآخر فهو اسماعيل بن أحمد ترجم له القفطي أيضا في انباء الرواة (١ / ١٩١) في نحو سطر ونصف السطر ، ووصفه بنفس الموصف وزاد : ولم يشتهر شهرته ، أي شهرة المبرد ، وفي الترتيبين - كليهما - لم يذكر كونهما من الوراقين للمبرد . وسدا هؤلاء ذكر السيوطي (رقم) بن سسلمة المعروف بدماد (وكان كاتب أبي عبيدة . وفي نفس الوقت ، أوثق الناس عنه ، بغية الوعاة : ١ / ٥٦٨) .

أبو عثمان

رافع

كان هذا في القرن الثالث، أما في القرن الرابع وما بعده، فالظاهرة ذاتها ما تزال تطالعنا : إذ يتخذ فريق من أئمة الرواة وراقين ، نورد فيما يلي ذكرا لبعضهم :

- ١ - فابن أخي الشافعي (١) كان وراق الجهشيارى (٢)
- ٢ - وإسحاق بن الجنييد البزاز البصري ، كان وراق ابن دريد واشتهر بهذه الصفة ولُقّب أيضا بالدريدي مؤكدا بنسبته تلك صلته بابن دريد (٣) *
- ٣ - وأبي إسحاق بن صالح الوراق . كان يورّق للجوهري (٤) *
- ٤ - ومحمد بن الحسين القهري كان وراق أبي علي القسالي (٥) *

ومن المسلم به - بداهة - أن هؤلاء الوراقين المختصين بأئمة الرواة . لم يكتفوا مجرد نساج أو صنّاع ، وإنما كانوا من الرواة العلماء ، وكان لاتصافهم بالرواية والعلم أثر في احترافهم للوراقة ، وما حازوه من ثقة شيوخهم ، فعهد اليهم بالتوريق لهم ، وهو عمل يتطلب عالما يقدر قيمة العلم ، بقدر ما يخص بمسؤولياته وتبعاته *

(١) أحمد بن أبي الشافعي ، وانظر ترجمته في معجم الأدباء : ١٣٧ / ٢ .
 (٢) أبو عبد الله محمد بن عبيد بن الجهشيارى المتوفى ٢٣١ هـ صاحب كتاب الرزاء .
 وانظر ترجمته في (معجم الأدباء : ١٣٧ / ٢) وبروكلمان : ٥٥ / ٢ .
 (٣) انباه الرواة : ١ / ٢٢٠ ، ولقبه ياقوت بالدريدي ، وانظر معجم الأدباء : ١٢ / ٢٢٣ والفهرست : ٩١ .
 (٤) انباه الرواة : ١ / ١٦٩ ، ١٩٧ / ١ .
 (٥) التكملة لابن الأبار : ١ / ٣٧١ ، وذكر ابن الأبار أنه من أهل قرطبة ولم يذكر له تاريخ وفاة *

دليلنا على هذا الحكم نوجزه فيما يلي :

١ - الوصف الذي اقترن به ذكر الوراقين في معرض الترجمة لهم ، مثل :

(كان متفنتا عالما ، فاضلا غزير الفقه والنحو واللغة والحديث والأدب وعلم الوراق) (١) ومثل (كان من أهل المعرفة والتصرف في علم العربية والأدب واللغة مشاركا في غير ذلك بارع الخط ، حسن الوراق) (٢) .

٢ - أن هؤلاء الوراقين - وبخاصة من تقدم ذكرهم - كانوا رواة لشيوخهم الذين احترفوا لديهم التوريق ، فالفهرى وراق القالى كان من رواة أبي على ، والدريدي وراق ابن دريد ، كان أيضا راوية له ، ونجد ابن النديم في الفهرست يروى عنه أخبار ابن دريد (٣) .

٣ - أن وراقى الرواة ، ممن ذكرناهم ، قد اضطلع بعضهم بانجاز مؤلفات شيوخه بعد وفاته ، إما بالتكملة إذا كان الشيخ قد ترك النسخة ناقصة (٤) ، وإما بالتبويض لمسودات الشيخ الذى مات دون أن يبيضاها (٥) . ولا شك أن العاملين كليهما لا يستهان بهما ، وإنما يتطلبان علما ، وتحقيقا : فوراق أبي على القالى قد (نسخ ما لم يهذب أبو على من تأليفه الذى سماه « البارع » ، وهذب من أصول الكتاب ما لم يهذب المؤلف (٦) والجوهري مات وقد بقى

(١) بغية الرعاة : ٢ / ٧٧ .

(٢) بغية الرعاة : ١ / ١١ .

(٣) الفهرست ٩١ / ٩٢ .

(٤) إنباه الرواة : ٣ / ٦٤ وأظفر التكملة لابن الأثير : ١ / ٣٧١ .

(٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء (للكامل بن الأنباى) ص ٣٤٤ .

(٦) إنباه الرواة : ٣ / ٦٤ والتكملة : ١ / ٣٧١ .

كتابه « الصحاح » غير منقح ، ولا مبيض ، فبيضه وراقه المختص به (١) .

وكما عرف تاريخ الرواية الأدبية (الوراقين المختصين بالعلماء) ، فقد عرف تاريخ الرواية (علماء وأدباء محترفين للوراقة) ، اتخذوها حرفة يقتاتون منها ، ويمارسون إلى جانبها نشاطهم الأدبي والعلمي الجليل .

فمن هؤلاء الوراقين الأدباء أبو حيان التوحيدي (ت ٣٨٠ هـ) وكان - كما وصفه ياقوت الحموي - (متفتنا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام) (٢) كما وصفه ياقوت في نفس الوقت بأنه (واسع الدراية والرواية) (٣) .

وقد كان أبو حيان التوحيدي يقتات من حرفة الوراقة ، ويستفاد من أخباره مع صاحب بن عباد عندما قصده ، أنه كان دائم الشكوى من مهنته الشاقة ، برما بها ، ساءلها عليها حتى قال : (إذا توجهت من العراق إلى هذا الباب ، وزاحمت منتجعي هذا الربيع لاتخلص من حرفة الشوم فان الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة) (٤) .

أما (الوراقون العلماء) فيقف في مقدمتهم اثنان من أنبغ من خرجتهم الرواية ، وأنجبهم الفكر الاسلامي : الأول هو ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) صاحب كتاب الفهرست والثاني هو ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) صاحب (معجم الأدباء) و (معجم البلدان) .

(١) نزهة الألباء : ص ٣٤٤ ، ٣٤٤٦ .

(٢) معجم الأدباء : ١٥ / ٥ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) معجم الأدباء : ١٥ / ٢٨ .

وقد ذكروا ابن النديم ، وذكروا أنه كان وراقا * وتصفه بعض الكتب بأنه كان كاتباً ، وكلتا الحرفتين ، أعانتا ابن النديم على تأليف كتابه الفهرست وقد اشتهرت الوراقة في عصر ابن النديم شهرة ذائعة ، والكتب التي نقلت في عصره يدل جودة تصحيحها ، والعناية بها على مبلغ رقى هذه الصناعة (١) *

أما ياقوت الحموي ، فقد خلف - من اشتغاله بالوراقة - مكتبة كبيرة انتفع بها ابن الأثير صاحب كتاب الكامل في التاريخ (٢) *

ولقد كان لاشتغال العلماء بالوراقة ، أثر بالغ في إمداد هذه الحرفة بخدمات التوثيق ، حتى صدرت الوراقة علما (٣) ، وليست مجرد عرفة ، واستطاعت أن تقوم بدور (الرواية) في إمدادنا بهذا الفيض الزاخر من الكتب مضبوطة وموثقة *

ولا نتصور بسط حديثنا عن الوراقة ، وإعطاء صورة متكاملة تستقيم بها أبعاد هذا الفن ، دون أن نوضح (قيمة الخط) في حد ذاته ، وما كان يوصف به الخط ، على سبيل الإطراء ، وأيضا على سبيل التوثيق *

فللإشارات التي لا حصر لها في الكتب في وصف الخطوط : أعنى خطوط العلماء ، تدل على مدى الأثر الذي أحدثته الرواية في الخط العربي ، حين تبنت الرواية

(١) الفهرست : مقدمة الناشر *

(٢) نفسه *

(٣) بغية الوعاة : ٢ / ٧٧ في وصف السيوطي لعبد الرحمن بن المنذر المتوفى ٥٦٨ هـ وكان قاضي الإسكندرية وعالما بالحديث والأدب *

= وانظر آبيانا في شكوى الأوراقين من حرفتهم لابن سارة الاشبيلي (ت بعد ٥٠٠ هـ) في خريدة القصر (قسم المغرب والأندلس) ٢ / ٣١٥ (ط تونس)

رعايته وتهيئته للدور الذى اضطلع به لحفظ ~~وتوثيق~~ التراث
الاسلامى ~~وتوثيقه~~ وتوثيقه -

فنحن نعثر على عدد من الصفات مثل :

- (١) حسن الخط والرواية (١)
- (٢) حسن الضبط لمسا يكتبه (٢)
- (٣) وكان خطه خطأ قاعدا عاقلا بين الخطوط
كثير الضبط ، غاية فى التحقيق والتنقيب
والتصحيح (٣)
- (٤) معنيا بالرواية وحسن الخط (٤)
- (٥) صاحب الخط المعروف بالصحة (٥)
- (٦) المشهور بإتقان الضبط وحسن الشكل (٦)
- (٧) وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه (٧)

فإذا ما أضفنا ما سبق القول به بشأن الخليفة الأمري
الحكم المستنصر من أن (خطه حجة عند أهل العلم لأنه كان
علما ثبوتا) (٨) أدركنا الارتباط الوثيق بين الرواية والخط،
وأدركنا كيف تحول الخط بعد تقدمه وتفوق وسائله وتقدم
صناعة الورق (٩) ، إلى أداة للرواية بل نمط من أنماطها .
لقد كانت صفة (الضبط) ملازمة لصفة (الحسن)
والأولى تمثل العلم ، والثانية ، مظهر للفن والجمال ، والجمع

- (١) نفح الطيب : ٢ / ١٣٧ .
- (٢) انباه الرواة : ٢ / ٧٧ .
- (٣) انباه الرواة : ٢ / ٣٤٣ .
- (٤) انباه الرواة : ٢ / ٦٣ .
- (٥) التكملة لابن الأبار : ١ / ٢٧٤ .
- (٦) معجم الادباء : ١٤ / ١٥٣ .
- (٧) وفيات الأعيان : ١ / ٢١٣ .
- (٨) بغية المتوسل : ١٤٨ .
- (٩) انظر : الطاهر أحمد مكى : دراسة فى مصادر الأدب : -
١ / ٧٦ وما بعدها (ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦٨ م) .

بينهما شيء محمود ومرغوب ، لكن الضبط ، وما يرادفه من (صحة) ينبغي أن يكون متقدما على (الحسن) في صفة الخطوط ، حتى قالوا فيما يجب أن يكون عليه الناسخ (لا يهتم المشتغل بالمبالغة في حسن الخط ، وإنما يهتم بصحته وتصحيحه) (١) .

ولو أن العالم لم يرقب جمال الخط ، فلا أقل من أن تتوافر فيه صفة (الضبط والصحة والدقة) . لهذا نعثر على مثل قولهم في وصف خط العالم (وله خط ليس بالجيد في الصورة ، وهو في غاية الصحة) (٢) .

وظل هذا الوصف للخطوط ، ومراعاة الدقة والضبط فيها ، دأب العلماء وشاغلهم حتى نهاية القرن العاشر الهجري على الأقل (٣) .

ولقد أدرك ابن خلدون الارتباط الوثيق بين الوراثة والرواية ، ودور الرواية في الارتقاء بمستوى هذا الفن الى آفاق العلم والتحقيق ، فقال في وصف حركة النسخ في عهده (٤) (وقفت غاية أهل العلوم وهم أهل العدل على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها ، لأنه الشأن الأهم من التصحيح والضبط ، فبذلك تسند الأقوال الى قائلها ، والفتيا الى الحاكم بها ، والمجتهد في طريق استنباطها ، وما لم يكن بتصحيح المتن باستادها الى مدونها ، فلا يصح واستند قول لهم ولا فتيا) (٥) .

(١) العلمي : المعيد في أدب المفيد والمستفيد : ١٢٣ .

(٢) وفيات الأعيان : ٤ / ٧٣ .

(٣) يؤيد ذلك نص العلمي المتقدم .

وانظر في (ثقافة النساخ) ما أورده الثوري في نهاية الأدب

(٤) ي خلال القرن الثامن الهجري .

(٥) مقدمة ابن خلدون : ٤٢١ .

ويقول في موضع آخر (ولم تبق ثمرة الرواية والأشغال بها إلا في تصحيح تلك الأمهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا ، وغير ذلك من الدواوين والتأليف العلمية ، والاتصال سندها بمؤلفيها ، ليصح النقل عنهم ^{وإسناده} إليهم) (١) .

وهذان النصان يسجلان لنا كيف امتزجت الوراقة بالرواية روحاً وتقليداً ، وكيف تحولت إلى ثمرة من ثمارها ، ثم الدور الذي لعبته في سبيل الحفاظ على الفكر الإسلامي ، وبخاصة في مجال الحديث والعلوم الدينية .

وإذا كانت الوراقة ، وقد أفادت من الرواية ، وعملت على اتصال الأسانيد التي هي (أنساب الكتب) ، بالإضافة إلى التصحيح والضبط ، فقد كانت العامل الأساسي في ترويض الكتاب ، وتناقله ، وإذاعته ، وبالتالي ، طرح محتواه في مجال التداول والتحصيل ، ودفعت الناس إلى التناقل على شرائه ولو بأعلى الأثمان ، حتى قيل (إن محمد بن إسحاق الزوزني قد بيعت له) (٢) نسخة من يتيمة الدهر للثعالبي ، كان قد نسخها بثلاثين ديناراً نيسابورية ، وكانت تساوي أكثر من ذلك (٣) .

— كذلك كان من التقاليد التي أحاطت بالرواية بها علم

(١) مقومة بن خادون : ٤٢١ .
(٢) زيادة ليست في النص ، لتوضيح السياق .
(٣) انباء الرواة : ٦٦ / ٥٣ ، ٦٧ .
وانظر نصاً آخر للكثيري (ت ٤٢٨ هـ) حيث قال عن نفسه (كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية وكنت اشترى كاغداً بخمسة دراهم فأكتب فيه ديوان المائتي في ثلاث ليالٍ وأبيعه بمائتي درهم ، وأقله بمائة وخمسين درهماً) (شذرات الذهب : ٣ / ٢٤٢ عام ٤٢٨ هـ في ترجمة الكثيري) .

الوراقة ، ألا يتم نسخ إلا بأذن خاص من مؤلفه ، أو راويه ، أو صاحبه . يقول العلموى من علماء القرن العاشر الهجرى (ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه فإن كان الكتاب وثقا على من ينتفع به غير معين ، فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط) (١) .

ومضى ذلك أن علماء المسلمين قد قرروا ما سبقوا به تقاليد عصرنا من مبدأ (حفظ حق المؤلف)

كذلك كان لابد للناسخ من أن يقوم بمقابلة ما نسخه على الأصل الذى نقل عنه ، ضمانة للدقة ، ودفعاً لاحتمالات السهو والغلط ، ولا بد أن يكون هن الأصل صحيحاً موثقاً به (٢) فإذا لم تتيسر المقابلة على كتاب موثق به ، فليكن تصحيحه وتوثيقه بطريق (العرض على العلماء الثققات) وينبغي له فى هذا الحال (أن يُعْجِمَ المعجم ، ويشكل المشكل ، ويضبط المتلبس ، ويتفقد مواضع التصحيف) (٣)

ومن دلائل ارتباط (الوراقة) بالعلم والتحقيق ما نجده لدى النويرى (٤) (ت ٧٢٢ هـ) أحد الأدباء العلماء فى القرن الثامن الهجرى ، من ذكر أوجه الثقافات المختلفة التى ينبغي أن يتزود بها المتصدون لنسخ كتب الأدب والعلوم وأهمها :

١ - وجوب معرفة المؤلف والمختلف من الأسماء : ذلك (أن

(١) أى : من الكتاب .

(٢) المعيد فى أدب المفيد والمستفيد ١٣١ .

(٣) المعيد فى أدب المفيد والمستفيد ١٣٥ .

(٤) أبو الهمام شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب أحد رجال الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى نظارة الجيش فى طرابلس واشتهر بدوسرته (نهاية الأرب) ه الدرر الكامنة ٥٠٦/١ .

الناسخ يحتاج إلى ضبط ما يرد عليه من هذه الأسماء وأمثالها وتقييدها والاشارة إليها (١) .

ب - أن من ينسخ العلوم ، كالفقه واللغة العربية والأصول وغير ذلك فالأولى له والأشبه به ، ألا يتقدم إلى كتابة شيء منها إلا بعد اطلاعه على ذلك الفن وقراءته وتكرار ذلك ليسلم من الغلط والتحريف والتبديل والتصحيف (٢)

ج - أما من يتصدى لنسخ التاريخ ، فإنه يحتاج إلى معرفة أسماء الملوك والقبائل ونعوتهم وكنائهم ، خصوصاً أصحاب الأسماء الأجنبية كالعجم والترك والتتار ، (فإن غالب أسمائهم لا تفهم إلا بالنقل ، ويحتاج الناسخ إذا كتبها إلى تقييدها بضوابط وإشارات وتنبيهات تدل عليها . مثل أسماء الرجال وأسماء الأماكن من (المدن والبلاد والقرى والقلاع والأقاليم (٣) .

د - أما نسخ الشعر ، فيكون ملماً بأوزانه ، حتى لا يحرف الأبيات عن أعاريضها ، كما يحتاج إلى معرفة العربية . . ليقوم البيت الذي أشكل عليه (٤) . ولقد كان الكتاب الواحد تتعدد نسخه ، وتكثر كثرة بالغة ، وتطير في الآفاق في جعبة الرحالة ، والمتنسخين : فيحدثنا ياقوت الحموي - مثلاً - أنه رأى كتاب (دلائل النبوة) للجاحظ (نحو مائة نسخة أو أكثر (٥) ، وأن الميداني كتب من المقامات نسخاً كثيرة موجودة في أيدي الناس (٦) .

(١) نهاية الأرب : ٩ / ٢١٤ (ط دار الكتب) .

(٢) نهاية الأرب : ٩ / ٢١٤ .

(٣) نهاية الأرب : ٩ / ٢١٧ .

(٤) نهاية الأرب : ٩ / ٢١٧ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدياء : ١٦ / ١٠١ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١ / ١٢١ .

ثم تطالعنا به الأخبار بشأن المكتبات : إذ كانت مكتبة القاضي الفاضل (ت ٥٩٢ هـ) تضم مائة ألف كتاب ، فمن الصّاح للجوهري ثمانى عشرة نسخة ، ومن حماسة أبى تمام خمسة وثلاثون نسخة . وأن القاضي الفاضل ، كان يكتنى الكتب من كل فن ، ويقتلّبها من كل جهة ، وله نسخ لا يفترون ، ومجلّدون لا يسامون (١) .

كما يقرر عبد اللطيف البغدادي - الرحالة - رواية منه عن بعض خدام القاضي الفاضل - أن عدد كتبه قد بلغ مائة ألف كتاب وأربعة عشر ألف كتاب ، هذا قبل أن يموت بعشرين سنة (٢) .

كما تدل أخبار أخرى بشأن (مكتبة القاضي الفاضل) على درايته بخطط العلماء ومشاهير الخطاطين والمكتسبين التي تميزت خصائصها وتباينت أشكالها وأنماطها (٣) .

ومن خلال هذه الكثرة من الكتب ، وهذه المقدرة على نشرها يمكننا أن ندرك الأثر الذي أحدثته الوراقة في تنشيط الحركة العلمية ونهوض حركة التأليف العلمي ، وظهور العلماء ، وحفظ التراث الإسلامي من عوادي اليلى والضّياح .

وحفظ

(١) شذرات الذهب : ٣ / ٢٢٥ عام ٥٩٢ هـ .
(٢) شذرات الذهب : ٣ / ٢٢٥ عام ٥٩٢ هـ .
(٣) شذرات الذهب : ٣ / ٢٢٥ عام ٥٩٢ هـ .

الفصل الثامن

التصحيف والتحريف

موضوع التصحيف والتحريف ، من أهم الموضوعات التي شغلت أهل الرواية سواء في السنة أو في الآثار الأدبية ، فأفردوا له الكتب أو الحقوا بكتبهم فصولا تتضمنه وتفيض أو توجز الحديث فيه .

وكلمة (التصحيف) اصطلاح عند أهل الرواية ، مأخوذ من كلمة (الصحف) ومعنى التصحيف الخطأ الناجم عن نقل الرواية من الصحف مباشرة ودون السماع من الرواة الثققات .

والخطأ في هذه الحال يكون ناجما عن أمرين :

الأول : نقط الحروف .

الثاني : التشابه بينها في الشكل .

وعلى سبيل المثال ، نقول : ان كلمة رجل هكذا بالجيم المنقوطة قد تحرف في النص الى (رَجُل) بالحاء المهملة الساكنة ، أو بالحاء المهملة المتحركة بالفتح فهي في الاولى اسم وفي الثانية فعل .

كما ان الراء في الكلمة ذاتها قد تحرف الى (دال) وتحرف الحاء المهملة أو الجيم المعجمة الى (خاء) معجمة ، لتدل على معنى آخر . . . وهكذا . ومثل ذلك كلمة (شاب) بالشين المعجمة ، فقد تقرأ بإهمال (السين) بل قد تحرف

الكلمة برمتها من (شَابٌ) وهو اسم من الشباب الى (شَابَ) وهو فعل من الشيب . وهكذا .
ولو ذهبنا نستقريء الصور التي يمكن أن تخرج إليها الكلمة وهي محرفة مع ما يستتبع ذلك من تجاوزها للمعنى ، وخروجها عنه ، لأمكننا أن نصادف كلمات يمكن أن تتعدد فيها الصور المحرفة إلى العشرات من الكلمات كما ذهب إلى ذلك حمزة الأصفهاني (١)
وعندما نستعرض ظاهرة التصحيف في المراجع العربية المختلفة يسترقفنا ما يلي :

١ - أن هذه الظاهرة تبلغ من الخطورة حدا جعل التورط فيها أمرا لم يكدر يذو منه عالم ، بالغاً ما بلغ مكانة ومقدرة ، ويظهر لنا ذلك جليا مما استدركه أبو أحمد العسكري (ت ٢٨٢ هـ) على أشياخ الرواية لا يُستثنى منهم الأئمة من الطبقة الأولى أمثال أبي عبيدة والأصمعي بل وأمثال : الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء .

٢ - أن التورط في التصحيف ، لم يقف عند حدود الشعر ، وسائر الآثار الأدبية ، بل تجاوز إلى اللُّغة ، سواء منها الأحاديث الشريفة أو أسماء رواة السنة ممن تتشابه أسماؤهم ، تشابها يؤدي إلى التحريف (٢) .

٣ - أجمع الأئمة المتحققون ، أن السبب في الوقوع في خطأ التصحيف والتحريف إنما هو التعويل على الصُّحف دون الاعتماد على (السماع) من ثقات الرجال .
لكنهم قلما تنبهوا إلى أن هذا الخطأ يقع في القراءة ، وبخاصة تلك التي لا يسبقها سماع ، فلا يقع أيضا أثناء

(١) التنبيه على حدوث التصحيف (بتحقيق محمد أسعد طلس) طبع مجمع اللغة العربية / دمشق ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) ص ٢٨ .
(٢) الباعث الحثيث (ط صبيح) : المرحوم أحمد شاكر : ص ١٧٢ .

السماع والرواية ، بدليل أن هذا الاسم (عاصم الأحول) قد حرقه بعضهم عند السماع له إلى (عن وأصل الأحذب) (١) وكان لقلة من الرواة الفضل في التنبيه إلى هذا النوع من الغلط ، منهم الدارقطني وابن الصلاح (٢) .

ودرس التحريف ، مع اتصاله بالرواية ، هو من جهة أخرى موضوع من موضوعات علم الخط العربي ، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة فريق من المستشرقين حديثا . وقلة من الدارسين قديما (٣) .

يقول : بر جستراسر (٤) .

(ودرس التحريف موضوع من موضوعات علم الخط العربي ولا أعنى علم تاريخ الخط العربي ، على اعتبار أنه أحد الفنون الجميلة في الشرق ، ولا من جهة كونه مستعملا في النقوش (Epigraphy) ونحوها وإنما أعنى تاريخ الخط العربي المستعمل في الكتب ، وهو موضوع يلقى من عناية الباحثين إلا القدر اليسير) (٥) .

وقد شهد القرن الرابع بالذات عناية خاصة بقضية التصحيف ، تتمثل في عديد من الكتب المتخصصة ، مما لم يؤثر مثلها قبل القرن الرابع ومن أهم هذه الكتب :

- (١) الباعث الحديث : ص ١٧٢ .
- (٢) الباعث لأحيوت : ص ١٧٣ .
- (٣) منهم حذرة الأصاهاشي ، كما سير في التفصيل .
- (٤) مستشرق ألماني ، يسهل يتبع اللغة العربية بأداب القاهرة في العام الجامعي ١٩٣١ / ١٩٣٢ م .
- (٥) أصول نقد النصوص (كتاب) نشرت (دار الكتب المصرية ١٩٦٩) عن مركز تحقيق التراث بدار .
- وانظر في موضوع الخط العربي : الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسة في مصادر الأدب ص ٣٦ - ٧١ .

١ - كتاب لأبى مسلم بن حنّابة (ت ٣٩٩ هـ) وزير كافور الإخشيدي وصاحب ابن دريد ، جمع فيه مجالس لعلماء اللغة والأدب ، كانوا قد عقدوها بمشهد من الأمراء والأعيان ، وفي حلقات الرواية والدرس نبهوا فيها على أغلاط معاصريهم ، وكان أبو مسلم في عرض هذه الأوهام بعيدا عن التجريح ، بعيدا عن المناقشة ، وإبداء الرأي ، مكتفيا بالسرد والرواية (١) .

٢ - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكري (٢) .

٣ - التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني (٣) .

٤ - التصحيف لأبى الحسن بن عمر الدراقطى المحدث (ت ٣٨٥ هـ) (٤) .

٥ - التنبيهات لعلى بن حمزة البصرى (٥) .

وإزاء هذه الكثرة من كتب التصحيف والتحريف ، والتي اقتص القرن الرابع بها دون غيره من القرون الأخرى (٦) نستطيع أن ندرك مدى عناية أهل المائة الرابعة من الرواة

(١) انفرد بذكره العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وأشار إلى أن منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية ولكنها ناقصة . وانظر : مقدمة الميمنى على تنبيهات أبى حمزة البصرى (ط دار المعارف) .
(٢) نشره (عبد العزيز أحمد) بدار مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة ١٩٥٣ م .
(٣) نشره مجمع دمشق بتحقيق محمد أسعد طلس ١٩٦٨ م (سبق) .
(٤) سركيس : معجم المؤلفين : ٧ / ١٥٧ .
(٥) نشرته (دار المعارف بمصر) (نسخة بدون تاريخ) منع كتاب المنقوص والمدود للقراء في نسخة واحدة بتحقيق العلامة عبد العزيز الميمنى وانظر كشف الظنون : ١ / ٤١١ .
(٦) وانظر : كشف الظنون : ١ / ٤١١ - ٤١٥ .

بظاهرة ضبط وتصحيح الأثر أو بالتالى مدى العناية بالسماع وهو - أساسا - روح الرواية . وجوهرها . وأهم تقاليدها مما يمكن الأول معه - بأن (الضبط والتصحيح) كان أحد الظواهر اللافتة فى رواية هذه الحقبة الزاهرة من حقب الرواية الأدبية .

١ - حمزة الأصفهاني : (٢٨٠ هـ - ٣٥٠ هـ)

أبو عبد الله حمزة بن الحسن (أو الحسين) الأصفهاني . وهو ، كما سبق أن ذكرنا أحد صنّاع الدواوين ، وله فيها نهج سبق أن ذكرناه فى موضعه ، وهو ترتيب القصائد الشعرية فى الديوان حسب الأغراض ومن ذلك الديوان الذى صنعه لأثار أبى نواس (١) .

وقد كان حمزة الأصفهاني يعتمد - أحيانا - فى صنعه الدواوين على الرحلة ، والمصادر الحية ممثلة فى الأخذ من أفراء الثقات ، كما فعل بديوان أبى نواس المتقدم حيث قديم مرارا إلى بغداد ، بإحدا عن المواد التى يجمعها لديوانه ، وكان قدومه للمرة الثانية إلى بغداد ٣٢٣ هـ وفى ~~بغداد~~ بلده أصبهان تم واحدا من أهم كتبه ، وهو كتابه فى (تاريخ أصفهان) (٢) وقد عده بعض الباحثين من الشعبية (٤) .

ويمثل أبو حمزة الطابع الفكرى الذى تميز به رواية وعلماء القرن الرابع ، وهو الموسوعية ~~والخواص~~ فى كل فن ، ويبدو أن ذلك لم يكن طابع الفكر فى بلاد فارس ، بدليل ما يذكره القفطى من أن قومه كانوا يلقبونه (بائع

(١) مضى ذلك فى الحديث عن الدواوين الشعرية .

(٢) بروكلمان : ٣ / ٦٠ .

(٣) بروكلمان : ٣ / ٦٠ .

(٤) منهم بروكلمان وانظر كتابه السابق ٣ / ٦٠ .

والنوفى

الهديان (١) إلا أن القفطى الذى نقل هذا الاتهام قد دافع عن حمزة ، ونفى ما رماه قومه به فقال : (وما الأمر والله كما قالوا ، ومن جهل شيئاً عاداه) (٢) .

وأبو حمزة الأصفهاني يمثل نموذجاً أكثر تحملاً ، وأميل إلى الأصالة والتفرد فى كثير من اتجاهاته العلمية التى تمثلت فى كتبه وجهوده ، ومنها (التنبيه على حدوث التصحيف) وجهوده فى جمع الدواوين وأسلوبه فى وضع القصائد فى ترتيب خاص .

التنبيه على حدوث التصحيف :

ومن أول ما يلفت انتباه الباحث فى هذا الكتاب ، وهو يتناول موضوع التصحيف فى العربية ، تناوله قضية (الخط العربى) فى وعى فكرى ، يدل على أسلوب التناول ، وذلك من وجهين :

أولاً : رفضه الأخبار الأسطورية بشأن أول من استخدم الحروف العربية ، وكتب بها . وهو أمر وثيق الصلة بتاريخ الخط العربى .

ثانياً : ربطه بين قضية التصحيف وقضية الخط العربى ، وإدراكه للاتصال بينهما ، بحيث لا ينبغي أن تناقش مسألة التصحيف فى ظل الرواية المعزولة عن مسألة الخط العربى وطبيعته : فأما عن الأمر الأول . فقد رفض حمزة المزاعم

والأنباء

فمّا

(١) أنباء الرواة : ١ / ٣٦٦ ، وانظر مقدمة كتابه تاريخ سنن سادك الأرض والانباء (مطبوعات) ص ٥ .
(٢) أنباء الرواة : ١ / ٣٦٦ .
وانظر بحثه عن حمزة الأصفهاني وإشاداته الى مراجع مفيدة عنه فى : الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة (دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم : ٤٦) لحمزة الأصبهاني مقدمة الناشر عبد المجيد قطامش للجزء الأول من الكتاب (ص ١ - ص ٣٢) .

التي تداولها الأخباريون والتي تقول : (إن أول من وضع الكتابة العربية قوم من الأوائل نزلوا في (عدنان بن أد بن أدد) ٠٠ وأن هؤلاء (وضعوا هذه الكتابة على عدد حروف أسمائهم ، وكانوا سبعة نفر ، وأسماؤهم : أبجد ، هوز ، حطى كلمن ٠٠٠) (٤٥)

١ - وعند مناقشة حمزة لهذا التفسير الأسطوري ، استعان بمعرفته بلغات أخرى عدا العربية كالسريانية والعبرانية (وقد بقي استعمال ذلك عند الإسرائيليين من اليهود ، والنصارى ، يدرسونه الصبيان في الكتائب ، فيقولون عند تعلمهم العبرانية : ألف - باء -) إذن فهذه الحروف نفسها موجودة في لغات أخرى .

ب - كذلك رفض حمزة هذا التفسير ، على اعتبار أن أصول الهجاء العربي ليست مرتبة على (أبجد هوز) بل هي مرتبة على نسق آخر هو (١ ب ت ث ج ٠٠٠) وإنما الذي استخدم (أبجد هوز ٠٠) هو أهل اللغة السريانية ، وليس العرب (٤٦)

ج - لاحظ حمزة أيضا هذه الأخبار في سندها ، فرأى أن راويها هو خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) وهو كما رآه حمزة (كان يولد الأخبار على الأعم الذين بادوا كعاد وثمرود وطسم وجديس وأضرابهم ٠٠ وهذا الرجل هو الذي ادعى على آدم - عليه السلام - أنه كان شاعرا ٠٠) (٤٧)

ولقد رفض حمزة الأصفهاني كل الروايات التي حاولت أن تذكر أول من وضع الكتابة العربية ، والخط العربي وأن لم ينف - أساسا - وجود كتابة عربية قبل الإسلام .

وقد صدر الرجل في عرضه لنشأة الخط العربي عن ثقافة واسعة وفكر مستنير يرفض الخرافة تفسيراً للظواهر

(٤٥) التنبيه على مدوّن التتبع ص ٢٦ (٤٦) نفسه

الحضارية ذات الصلة الوثيقة بالكيان الإنسانى ووجوده ، وامتداده ، وناقش ودلل بالبرهان ، والدليل ، كما استند إلى المنطق ، واستخدم ثقافته ، والتفت إلى منهج (النقد الخارجى) ممثلاً فيمن حمل عنه الخبر ، فتداوله الرواة بعد -

وأما عن اتصال الخط العربى بالتصحيف : فقد بين حمزة أن طبيعة الحروف العربية مسئولة إلى حد كبير عن شيوع هذه الظاهرة فى الكتابة العربية ومن ذلك التشابه بين الحروف ، ومن بينها على سبيل المثال خمسة أحرف جملة واحدة هى :

المباء - التاء - الاء - الياء - النون .

واستشهد حمزة بقول أرسطو : (كل كتابة تتشابه صور حروفها ، فهى على شرف تولد السهو والغلط) (١) أى معرضة للسهو والغلط .

وساق حمزة الأصفهاني تجرية لعالم عربى هو ، (حنين بن إسحاق) المترجم (ت ٢٦٤ هـ) حيث كان يحتاط - فيما يكتبه - من أسماء الأدوية فيفزع من الحرف الذى يمكن أن يقع فيه اللبس الى آخر ليس كذلك . حتى كان يكتب كلمة (السعتر) وهى أصلاً بالسسين ، (الصعتر) هكذا بالصاد ويقول فى تعليق ذلك : أخاف أن يقرأ (الشعير) فيصير به الدواء داء (٢) .

ولقد عرض حمزة المشكلة عرضاً حياً أساسه الواقع ، بأسلوب يدل على حسن بصر بها ومقدرة فذة على فهم طبيعة الكتابة العربية . فقسم لنا الكلمات من حيث قابليتها

(١) التنبيه على حدوث التصحيف : ص ٢٧ .
(٢) التنبيه على حدوث التصحيف : ٢٧ .

للتصحيف الى أنواع :

- ١ - كلمات لا يعرض لها التصحيف مثل كلمة (طمع) .
- ٢ - وكلمات يعرض لها التصحيف على مثالين . مثل كلمة (الوعد) من (العدة) فهذه يمكن أن تصحف الى (الوغد) هكذا بالغين المعجمة ، بمعنى الخسيس .
- ٣ - وكلمات يعرض لها التصحيف على ثلاثة أمثله مثل : (الضحم) هكذا بلا نقط ، لتفيد معنى الاحمرار المختلط بالسواد . أو الى (الضجم) بالضاد والجيم المعجمتين ، وذلك بمعنى مَيَّالان الشَّدَق .

٤ - كلمات تُصَحَّف على أكثر من ثلاثين مثالا ، وذلك إذا كانت الكلمة من نوع الاسم الثلاثي المتشابه الحروف مثل كلمة (بنت) وقد أورد حمزة كل الصور التي يمكن أن تصحف إليها هذه الكلمة ، ثم أورد بعدها كلمة أخرى هي (السبت) : أحد أيام الأسبوع ، فأثبت أنه يمكن أن تصحف وتحرف الى مائتي شكل ، وبالفعل أورد حمزة المائتي شكل ، واستوفاهما جميعا .

على أن كل هذا البحث القيم لحمزة قد وقع في مقدمة كتابه البالغ عدد صفحاته نحو (١٩٥ صفحة) . استغرقت المقدمة منها نحو (٥٦ صفحة) ثم جاءت فصول الكتاب بعدها لتتضمن نماذج لتصحيقات الرواة كأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية وغيرهم وذلك في الباب الأول وعنوانه (في تصحيقات العلماء في شعر القدماء وعددهم خمسة وعشرون) (٢)

ثم استغرق الكتاب بعد ذلك فصولا أخرى من بينها
(في أبيات رويت مصحفة تصحيفا في اللغة ثم خُرج
لها العلماء تفاسير مختلفة (١) ولعله أهم أبواب الكتاب
بعد المقدمة لأنه يثير مشكلة هامة في الدراسات العربية ،
وهي أثر التصحيف في سرء التفسير والتماس الأوجه
والتخريجات للآثار المصحفة . والتي لو ضبطها العلماء
ولم يغلطوا فيها لكفوا أنفسهم مئونة التخريج وكفوا
الطلاب عناء الفهم وكذا لما حاولت المحاولة
وبعد: فإن حمزة الأصفهاني كان أول عالم ~~مهم~~ يتناول ظاهرة
التصحيف متصلة بظاهرة الكتابة والخط أوثق اتصال ، كما
أنه في تناوله لقضية الخط والكتابة ونشأتها في العربية قد
تناولها بفكر مستنير يعتمد في نقاشه على المنطق وفهم
طبيعة الظواهر الحضارية ، إلى جانب الثقافة والاعتداد
بالنقد الخارجى للأخبار ، أى نقد المصدر .

هذا إلى حسن عرض لأبعاد المشكلة ، وإيضاح احتمالاتها
وآثارها المختلفة وتقنين ظواهر التصحيف .

إلا أن ما يؤخذ على حمزة ، إهماله تماما صلة التصحيف
بالرواية . فلم يشير إلى أهمية السماع ، وإلى دوره في
الإقلال من فرص الخطأ . ونظر إلى المشكلة من زاوية وان
تكن هامة ~~لأنها~~ جزء وليست كلاً: نغنى بها زاوية الخط .

وكذلك يؤخذ على حمزة الأصفهاني توقفه عند حد بيان
الظواهر والعال ، دون الانتهاء إلى الاقتراح وتوضيح
الطرق التى تسلم بها من الخطأ ، ونتجنب بواسطتها
أسباب التحريف .

فيها

أبو أحمد العسكري :
وكتابه شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف :

هو الحسن بن عبد الله أبو أحمد العسكري (١) ،
والعسكري لقبه نسبة إلى عسكر مكرم (٢) ، مسقط رأسه ،
وبها بدأ دراسته على أيدي شيوخها وقد انتهى إلى
أبي أحمد في زمانه إمام الحديث (٣) ، وكانت له قبل ذلك
رحلة في طلب العلم وتحصيله - على عادة علماء عصره -
حيث جال بين بغداد والبصرة وأصبهان وغيرها (٤) .

وأبو أحمد العسكري إمام من أئمة الرواية في زمانه ،
في الحديث والعربية بما أتبع له من حسن الاستعداد ،
والتخرج بأئمة الرواة في عصره ومن بينهم (رواة مرحلة
الاتصال في القرن الرابع الهجري) أعني أمثال ابن دريد
وابن الأنباري ونقطويه .

ويبدو أن صلته بابن دريد ~~بلاغة~~ كانت أوثق وأقوى: إذ
نراه ينقل عنه ويروي له ، يسأله أنا ، ويقرأ عليه أحياناً ،
ويكتب عنه ما يمليه عليه تارة ، وبالجمله فهو يروي عنه
أكثر من روايته عن غيره (٥) .

وقد بلغت شهرة أبي أحمد ومنزلته العلمية شأنًا بعيداً
جعلت صاحب بن عباد يكتابه ، ويطلب منه الاجتماع به
في مودة وتقدير خالصين . كما يحدثنا بذلك ياقوت الحموي

(١) وهم بروكلمان فجعله (أبو علي) وانصراب ما اثبتناه
وانظر بروكلمان : ٢ / ٢٥٠
(٢) إحدى مدن خراسان .
(٣) بروكلمان : ٢ / ٢٥٠ .
(٤) بروكلمان : ٢ / ٢٥٠ - وانظر بغية الوعاة : ١ / ٥٠٦ .
(٥) انظر المقدمة : ص ٥ وما بعدها .

فى خبر طويل .

أما عن مؤلفاته فإن منها :

- ١ - المختلف والمؤتلف مما يدخل فيه الوهم على المحدثين
- ٢ - مانحن فيه الخواص .
- ٣ - علم النظم (١) .
- ٤ - الحكم والأمثال .
- ٥ - راحة الأرواح .
- ٦ - الزواجر والمواعظ .
- ٧ - تصحيح الوجوه والنظائر .

لكن أهم كتبه وأكثرها دليلا على وثاقته ، وتحريه فى الرواية ، ورسوخ قدمه فى التحقيق ، هو كتابه هذا الذى نعرض له وهو :

« شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » (٢) .

الكتاب :

وكتاب العسكرى يقع فى مقدمة وأجزاء ثلاثة ، كل جزء منها بمثابة فصل أو باب . وفى المقدمة أوضح أبو أحمد العوامل التى توقع عادة فى التصحيف ، مع كيفية اجتنابها . وروى لنا طائفة حسنة من الأخبار فى ذم المصحفين ، وذكر نواذرهم المضحكة فى ذلك .

وفى الباب الثانى سرد أبو أحمد جملة من أوهام علماء البصرة يتعقبهم واحدا أثر آخر ، يذكر سقطاته ،

(١) سماه ياقوت (كتاب صناعة الشعر) وانظر : معجم الأدباء : ٢٥٨ / ٨ .

(٢) اعتمدنا على نسخة حققها عبد العزيز أحمد ونشرها مصطفى الحايى ١٩٥٢ م .

ويستدركها عليه ، بادئاً بالخليل بن أحمد ومنتهاياً
بالحسين بن سعيد ، وحاشا لغيره .

وكما صنع ^{الشيخ} حمزة الأصفهاني في تخصيصه باباً من
كتابه (في ذكر ما وقع للعلماء مصحفاً ، ثم فسروه وخرجه
على الخطأ) فكذلك كن صنيع أبي أحمد العسكري حيث
افتتح الباب الثاني بذكر أغلاط من مرويات أهل النحر ممن
أجهدوا أنفسهم في تخريج ما في الأبيات مما يخالف
اصطلاحهم ، ولو أنهم تحزوا ووثقوا واتبعوا مذهب الرواة
لسليم لهم الأمر .

ثم جاء القسم الأخير من الكتاب رواية لطائفة من أسماء
الشعراء ^{الذين} ^{سماؤهم} ^{سماؤهم} ، وهم مختلفون في
الوجوه .

ولقد كان أبو أحمد مثلاً محموداً لأمانة العالم ومروءة
الراوية فهو بصرى - مذهباً واتجاهاً - ومع هذا لم يمالئ
شيئاً في المذهب ، الذين عليهم تدلن وبهم تخرج ، بل ذكر
سقطاتهم ، دون إعفاء ، وبدأ بهم وثني بسواهم من علماء
الكوفة . ولقد استهل مقدمته بما طبقه في ثنايا كتابه ،
وتضاعف سرده وروايته .

فقال في المقدمة (وقد كان بعض شيوخ بغداد ، ممن
يتعصب على علماء الكوفيين ، ويفرط فيه ، عمل كتاباً
جمع فيه تصحيقات علماء الكوفة ، واستقصاها ، وأضرب
عما روى من أوام العلماء البصريين تعصياً ، فلم أر ذلك
انصافاً ، ولا مشاكلاً لأخلاق العلماء المنصفين فيما لهم
وعليهم ، ورأيت اقتعاده النصفة أولى ، وتحكم الحق
(٩ - الشعر)

أجدى (١) ثم وقى أبو أحمد بما قطعه على نفسه . فبدأ فعلاً برواة البصرة ، واقتعد النصفة على حد تعبيره .

كما حاول العسكري أن يضع تعريفاً عاماً لمصطلح (التصحيف) ، فنقل عن الخليل بن أحمد قوله : (ان الصحفى الذى يروى الخطأ على قراءة الصحف بأشباه الحروف) (٢) .

كما نقل قول غيره (اصل هذا أن قوما كانوا أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا العلماء ، فكان يقع - فيما يروونه - التغيير فيقال عنهم : قد صَحَّفُوا ، أى رددوه عن الصحف ، وهم مصحَّفون ، والمصدر - التصحيف) (٣) .

وقد أشار - أبو أحمد - فى معرض حديثه عن ظاهرة التصحيف إلى ظاهرتى (النقط والإعجام) فى الكتابة العربية . وكان ذلك قد بدأ فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى . عندما لاحظ الحجاج أن التصحيف قد شاع فى تلاوة القرآن الكريم بالعراق ، ففزع الحجاج إلى العلماء من كتّابه ، وسألهم أن يصنعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فقام بذلك نصر بن عاصم ، حيث رضع النقط أفراداً وأزواجاً ، وخالف بين أماكنها بثوقيع بعضها فرق الحروف ، وبعضها تحت الحروف (٤) .

وبرغم النقط ، فقد وقع التصحيف ، فلجأ العلماء إلى (الإعجام والنقط) ثم ظلت المشكلة قائمة ، فكان أن التمسوا

(١) انظر : ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) ص ١٣ .

(٤) نفسه .

حيلة ، فلم يقدرُوا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال (١) .

وقد أحسن أبو أحمد صنعا ، حين عرض بالحديث عن محاولات الساف في معالجة مشكلة التصحيف ، لكنه وقف عند حدود رصد المحاولة ، دون أن يتنبه إلى الربط بين التصحيف ومشكلة الكتابة العربية ، ويعلق تعليقا يشعر القارئ لكتابه بإدراكه لأبعاد هذا الارتباط .

كما أن العسكري يرى أن اللجوء إلى السماع والأخذ من أفواه الرجال كان مرحلة أخيرة ، اضطر العلماء في بعض الأحيان ^{بعضها} إلى أن يفزعوا إليها حين لم يكتب لهم التوفيق فيما قدموه من محاولات لإصلاح أشكال الكتابة العربية .

والذي نتوقعه خلاف ما انتهى إليه أبو أحمد - أن السماع ظاهرة علمية مصاحبة للرواية منذ النشأة ، بدأت منذ بدأت رواية الآثار ، وبخاصة ما يختص منها بالنسبة ، وإن كانت لم تتأكد ، وتشتبه وتنتشر ، إلا بعد أن نشطت محاولات التدوين العلمي ، وكتب لها النص ، وتأكدت تقاليد الرواية .

كما أن العسكري أراد أن يقول لنا : إن كل محاولات العلماء وأهل الكتابة لإصلاح الخط العربي قد فشلت تماما ، فليس سوى الرواية ونسب أن هذه المحاولات كان

(١) وانظر مناقشة الخير في : مصادر الأدب للدكتور الطاهر مكي ص ٥٩ وانظر أيضا : الدكتور ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي : ص ٣٠ ثم تعقيب الدكتور مكي على وجهة نظر الدكتور الأسد في (دراسة في مصادر الأدب) ص ٦٤ .

لها دورها الذي لا سبيل إلى إنكاره للإقلال من فرص التحريف . وإنما كانت الرواية ، مؤكدة ومساندة - بشكل لا ننكره - لمحاولات العلماء والتي أنكر أبو أحمد جدواها في سبيل الانتهاء إلى رأي كلن متحصلا . رأيه الذي نحس له

ولقد أحسن العسكري صنعا في تأكيد أهمية السماع ، وفي انتهاجه طريق الرواية لمقاومة التحريف ، كما أحسن صنعا في مقدرته الذاكرة على رواية الآثار شعرا وخبرا وتصحيحه للأعلام التي كثر التحريف فيها ، كما التزم الإسناد لتوثيق مروياته في الأعم الأغلب من مروياته (١) .

لكنه لم يربط بين (الرواية) والخط باعتبارهما عاملين متساندين لاجتناب التصحيف . غلبت

فإذا شئنا أن نقارن بين العسكري والأصفهاني ، وقد وضح لنا الكثير من أوجه الفرق بينهما ، لاحظنا أن العسكري غلبت عليه الرواية ، بينما غلبت على الأصفهاني عنايته بالخط وأشكال الحروف . فالمشكلة عند حمزة ذابغة من داخل اللغة العربية ، بينما هي عند العسكري خارجة عن طبيعتها . فكل من العالمين - إذن - أنبه إلى جانب وأغفل الجانب الآخر . وثقافة العسكري هي ثقافة الرواية ، فهو عالم ريان بالحفظ والسماع زاهر صدره بالآثار والمرويات ، أما حمزة الأصفهاني فثقافته مزيج من اللغات والأخبار والتاريخ وفكره مثل للفكر الناقد الجريء (١) :

غلبت

الرواية

(١) ونقول في الأعم الأغلب لأنه في الباب الأخير قل استخدمه له .

(٢) ولعل ذلك سبب اتهامه بالشموعية .

ثقافة العسكرى ثقافة عربية خالصة . وثقافة حمرة
ثقافة عربية ممتازة بروافد أخرى ، فقد كان على علم
بالعبرانية والسريانية ، ولقى بعض علماء اليهود في
القرن الرابع وانتفع ببعض ما عنده (١) ، إلى جانب
ثقافته الفارسية .

على أنه مما ينبغي إدراكه ، الالتفات الذي يجب أن
نوليّه مشكلة التصحيف والتحريف ، وذلك من جانبين : *سلا بنيسه*

الجانب الأول : جانب الخط . فإن أية محاولة لإصلاح
الخط العربى - ويجب أن تنهض مثل هذه المحاولات - يتحتم
أن تتجرد من كل دوافع الجمود والركون إلى القديم على
غير مبدى . *سلا بنيسه*

~~كلمات~~ أن نتناول محاولات الإصلاح عند القدماء
ولا نغفلها منتفعين بأراء أمثال حمزة الأصفهاني . وأن
نربط ربطاً محكماً بين أسلوب المعالجة والاقتراح والنتائج
التي انتهى إليها علماء الآثار القديمة ، فيما اكتشفوه من
النقوش والمدونات ، ما كان منها على المباني والأحجار ،
وما كان منها على البرديات ، ما تم كشفه عن العصر
الجاهلي ، وما أنجز معرفته عن العصر الإسلامي في
مختلف قببته .

٣ - ألا يقف الأمر عند حدود دراسة خطوط أهل المشرق ،
بل يجب أن ننظر إلى (ظاهرة الخط العربى) *كظاهرة*
حضارية متكاملة من الناحية العضوية والتاريخية . *عظيمة الظاهرة*

٤ - لا ندعو إلى إصلاح يخرج عن طبيعة الشكل

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض وأقيانها : ص ١٩١ .
ونظر بروكلمان : ٦٠/٣ .

العربي خروجا يسلمنا إلى قطع الصلة بماضينا وتراثنا .

٥ - ألا يفوتنا الانتفاع بجهود التربويين ، وتجاربهم وتوصياتهم في هذا المجال فننتأج التربويين ذات صلة وثيقة بالطبيعة الميدانية التطبيقية .

أما الجانب الثاني : فهو جاذب الرواية مفسن في عصر التقدم في وسائل التقنية وبخاصة في الأجهزة الصوتية ومع ذلك فإن الدراسات العربية ما تزال معزولة عن الانتفاع بمثل هذه الوسائل ، سواء في الدراسة الفيلولوجية ، أو الدراسة الأدبية . فلدينا عشرات الآلاف من الكتب ، وليس لدينا العناية الواجبة بتسجيل تراثنا القديم أو الحديث بالوسائل الصوتية وبهذا اقتصرنا على الكلمة المكتوبة ، مع أنه لم تسعد لدينا فرص القدماء في الإكثار من لقاء العلماء والأخذ من أفواههم والسماع عليهم . أقولنا القديم ، وأهملنا الحديث .

إن الاتجاه إلى تسجيل آثارنا القديمة بوسائل التسجيل الصوتي وكذلك آثارنا الحديثة . لأمر جدير بالنظر ، بحيث يصبح لدينا مكتبة صوتية إلى جانب المكتبة المدونة ، وإن يتم هذا العمل الصوتي بأسلوب يوثقها ، وينأى بها عن احتمالات التزييف والخطأ . وبأصوات الموثوق بهم من الدارسين المتخصصين .

ولطالما كثرت شكاوى الأساتذة من التحريف الذي منيت به لغتنا ، وابتلى به تراثنا على ألسنة الطلاب - لا نستثنى منهم الجامعيين في مآهد وأقسام اللغة العربية ، والدراسات الإسلامية .

بل شاع هذا التحريف على السنة ^{وكانت} المتخصصين ^{كتابته} في شئون التراث العربى (١) ، وصار أمر التحريف من مشاكل المشتغلين بنشر النصوص القديمة وتحقيقها .

ومما نراه أيضا وجوب القيام بعمل معجم شامل جامع لكل الألفاظ التى يكثر تحريفها على أساس الرجوع لكل ما يمكن الرجوع إليه من الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع ، إلى جانب المعاجم العادية ، وأن يزود هذا المعجم برمز صوتية يتم الاتفاق عليها والاصطلاح على رسمها وأدائها بحيث يكون مثل هذا المعجم بين يدى المعنيين بشئون نشر النصوص العربية القديمة ^{والتحقيق} .

ولا مانع من الانتفاع بأبحاث المستشرقين ، وعلماء الصوتيات - عربا ومستعربين - من أجل تطوير أساليبنا ومناهجنا فى مواجهة مشاكلنا المتعلقة بخدمة ، تراثنا والتعامل معه .

(١) كثيرا ما علت شكوى استاذتنا فى دار العلوم - زمن الطلب بقسم اللبسانس من شيوخ العجمة فى كتابتنا حديثنا . وكان استاذنا المرحوم ضياء الدين الرئيس بشسكو - على «سبيل المثال» - من التحريفات الواقعة فى أسماء الأعلام ، والأماكن وغيرها فى كتب الباحثين فى التاريخ الإسلامى حديثنا .

.

.

.

.

.

.

الباب الثاني
رواية الآثا الشعري
القرن الرابع

تمهيد

يمثل القرن الرابع الهجرى مرحلة من ازهى مراحل الرواية الأدبية ، فإذا كانت القرون الثلاثة الأولى ، قد شهدت من الرواية مرحلتى النشأة والنضج ، فقد شهد القرن الرابع منها مرحلة الازدهار .
ويمكن أن نقسم القرن الرابع الهجرى إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : نسميها مرحلة الرواة المخضرمين وتعنى بهم أولئك الرواة الذين ظهر نشاطهم العلمى فى القرنين الثالث والرابع ، فحققوا الاتصال بينهما ، وكان جهدهم العلمى هو المعبر الزمنى الذى سلكه الفكر الإسلامى على مهاد الرواية . وتقع هذه المرحلة ما بين أواخر القرن الثالث وحوالى الثلث الأول من القرن الرابع .
وأهم هؤلاء الرواة المخضرمين : أبى بكر بن الأنبارى (ت ٢٢٨ هـ) ، وأبى بكر بن دريد (ت ٢٢١ هـ) . وأبى بكر الصولى (ت ٢٣٥ هـ) ، وأبى جعفر النحاس (ت ٢٢٨ هـ) .

المرحلة الثانية : هى مرحلة رواة القرن الرابع الأول الذين ظهوروا فى مرحلة ثانية لظهور الرواة المخضرمين ، وكانوا تلاميذ لهم ، تلقوا عنهم ووصلوا جهدهم ، بجهد من خلفهم .

وقد كان ظهور رواة القرن الرابع يمثل بهذه الصورة امتدادا حيا للرواية ، وتنوعا فى الاتجاهات والأساليب يدل على أصالتهم وإضافتهم :

ومن هؤلاء الرواة من كان من أصحاب المرسوعات ، مثل

أدلة

أبى الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) ومنهم من اشتمل
بحماية التراث ، عن طريق مقاومة ظاهرة التحريف
والتصحيف مثلا ، وفي مقدمة هذا الفريق حمزة الأصفهاني
(ت ٣٦٠ هـ) وعلى بن حمزة البصري (ت ٣٧٥ هـ)
وأبو أحمد العسكري (٣٨٠ هـ) .

كما ظهر فريق من الرواة الشعراء كالمتنبى (ت ٣٥٤ هـ)
وكان ظهور هذا الفريق الأخير عاملا هاما في تحريك
الرواية ، وتنشيط جهود الرواة ، لتلقى آثاره الشعرية التي
انتجتها قريحته الفنية .

الفصل الأول

مرحلة الرواية المتخمين (مرحلة الاتصال)

ورواية هذه المرحلة ممن تقدم ذكرهم ، هم عمدة الرواية في القرن الرابع .

ونتيجة لتحقيقهم لعنصر الاتصال نلاحظ أن أسانيد رواية القرن الرابع وما بعده ، يرد ذكرهم فيها . هذا ما نلاحظه في الأمالي ، والأغانى ، والموشح ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، حيث يروى مؤلفوها عن ابن دريد وابن الأنباري ونفطويه والاختش والصرلي وغيرهم .

وعلى أيدي هؤلاء الرواة - أيضا - تقرر اتجاهات واضحة المعالم والشبكات ، بحيث تحولت للجيل الذي خلفهم إلى دروب يسلكونها ، ويهتدون في سلوكها بخطى السابقين . ومن أهم هذه الاتجاهات العناية بالدواوين الشعرية ، من حيث صناعتها ، ورواياتها . ويعد جهد أبي بكر الصولي بالذات من أبرز الاتجاهات في صناعة الدواوين .

ثمة اتجاه آخر ظهر خلال القرن الرابع ، وهو الاتجاه إلى شرح الدواوين : فأبو جعفر النحاس قد فسر عشرة دواوين وأملأها (١) . وكذلك فعل ابن الأنباري الذي شرح

(١) انباه الرواة : ١٠٦/١ .

- ١٤٢ -

شعر الأعشى والنايبة الذبياني ، وزهير لكن سسمى (١)
والراعى التميمى (٢) .

كذلك ظهر اتجاهان متباينان : أحدهما اتجه للأشعار القديمة ، ونقصد بها آثار الجاهليين وأوائل الإسلاميين . أمثال : جرير ، الفرزدق والأخطل والكميت وذى الرمة وأضرابهم . وأما الاتجاه الثانى ، فالتفت إلى آثار المحدثين . ونعنى بهم أمثال أبى تمام والبحتري وأبى نواس .

وهذان الاتجاهان الأخيران قد اتخذ شكل الشروح للدواوين الشعرية ، أو الاختيارات ، كشرح ابن الأنباري للمفردات وشرح أبى جعفر النحاس للمعلقات التى جمعها حماد الراوية أواخر القرن الثانى الهجرى .

ويحسن بعد أن جلينا أبرز اتجاهات الرواية فى هذه المرحلة أن نفضل الحديث فى إطار تناول بعض هؤلاء الرواة بالدراسة والبحث .

١ - أبو بكر الأنباري : (ت ٣٢١هـ) هو محمد بن القاسم ابن بشار الأنباري النحوى ، وكان من أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الكوفيين (٣) .

ويمثل ابن الأنباري عنصرا هاما فى الرواية الأدبية ، فى احتفاله بالذاكرة وتمتعه بالمقدرة الفائقة على الاستظهار والحفظ ، إذ يصفه الزبيدي بأنه كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظا .

(١) بغية الوعاة : ١ / ٢٦٤ .

(٢) انباء الرواة : ٣ / ٢٠٨ .

(٣) نزعة الألبا : ص ٢٦٤ .

القنطري

كما روى الدارقطني وجماعة ، أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن وكان يُمَلى من حفظه لا من كتاب (١) .

وبهذه الصفة ، أو قريب منها ، وصفه بغوي فقال :
(وكان أحفظ الناس للغة والنحو والشعر وتفسير القرآن .
وحديث أنه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها) (٢) .

وسر اعتماد ابن الأنباري على الذاكرة في الرواية هو أنه كان ينتسب إلى مدرسة أُرست دعائم هذا الاتجاه في القرنين الثاني والثالث ، وهي مدرسة كانت تُعَلِّب الرواية الشفوية على الرواية المدونة .

ورأس هذه المدرسة هما ابن الأعرابي (ت ٢٢١ هـ) وتلميذه ثعلب (ت ٢٩١ هـ) فأما ابن الأعرابي ، فيقول عنه تلميذه ثعلب : كان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان كل يسأله ، يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب (٣) ، كما يقول : ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط (٤) .

وأما ثعلب ، الذي تتلمذ على ابن الأنباري فقد نهج طريق شيخه ابن الأعرابي ، فكان هو الآخر لا يرى بيده كتاب ، ويتكلم على حفظه (٥) كما وصفه بعضهم بقوله : (إنما قُضِل أبو العباس أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور) (٦) .

- (١) بغية الوعاة : ٢١٢/١ .
- (٢) انباه الرواة : ٢٠٣/٣ .
- (٣) نفس المرجع .
- (٤) انباه الرواة : ١٤٨/١ .
- (٥) بغية الوعاة : ٣٩٦/١ .

من هنا نلمس أثر شعلب في تلميذه ابن الأنباري ، الذي استطاع بدوره أن يؤكد لرواة القرن الرابع الهجري ضرورة الحفاظ على تقليد (الحفظ والاستظهار) .

كذلك من الاتجاهات التي أمثلها ابن الأنباري بها الرواية في القرن الرابع عذابته بالآثار الشعرية القديمة الخاصة بالجاهليين وأوائل الإسلاميين . فقد شرح ابن الأنباري المفصليات (١) والسبع الطوال (٢) ، وعمل عدة أشعار ودواوين من أشعار العرب (٣) وشرح شعراً الأعشى والنايعة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى (٤) ، والراعي النميري (٥) .

أبو بكر بن دريد : (ت ٣٢١ هـ) : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ولد في البصرة ٢٢٣ هـ ، ونشأ بها وتعلم ، وتلمذ على أبي حاتم النجاشي (ت ٢٥٠ هـ) والرياشي (ت ٢٥٧ هـ) وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي .

وإذا كان ابن الأنباري يمثل اتجاه (الرواية الشفوية) فابن دريد أيضاً يمثل الاتجاه ذاته ، حتى قال عنه : أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) (ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدره) خلف الأحمر وابن دريد (٦) ، ويأنه كان (أحفظ الناس) (٧) .

كما وصفه
بأنه كان

- (١) نشرها المستشرق ليال
- (٢) يوجد مختصر منه مخطوط بدار الكتب تحت رقم : ١٥٣ ش .
- (٣) انباء الرواة : ٢٠٨/٣ .
- (٤) بغية الوعاة : ٢١٤/١ .
- (٥) انباء الرواة : ٢٠٨/٣ .
- (٦) مراتب النحويين : ص ٨٤ .
- (٧) نفس المرجع .

على أن وضعه موضع المقارنة مع خلف الأحمر فيما ساقه أبو الطيب اللغوي ، يشعرا بمكانة ابن دريد العلمية ، ويحله مكانه من الأمانة والثقة في الرواية الأدبية . ولقد بلغ من الاعتماد على الرواية الشفوية حد اعتماده على ذاكرته في تأليف كتابه (الجمهرة) إذ أن ابن دريد قد أملى كتابه هذا من حفظه عام ٢٩٧ هـ ، فما استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة والالف (١) .

إلا أننا بمراجعة ماورد بشأن مؤلفاته ، لانجد له مصنفات مباشرة في رواية الآثار الشعرية ، كما هو الحال بالنسبة لابن الأنباري ، لكن أسانيد في الأمالي للقالى - مثلاً - تشهد بوفرة ما لديه من الآثار الشعرية (٢) ، كما وصفه المرزبانى بقوله (شيخنا رضى الله عنه . . . وكان رأس أهل العلم ، والمتقدم في الحفظ اللغة والأنساب ، وأشعار العرب (٣) وبأنه غزير الشعر كثير الرواية ، سكت الأخلاق (٤) .

أما ياقوت الحموى فيوافينا بخير له دلالة على مكانة ابن دريد في عصره ، وعن دور الرواية وإقبال العلماء عليها في القرن الرابع الهجرى .

إذ يذكر ياقوت أن المرزبانى كان قرأ على ابن السراج خمسين ورقة من أول كتاب سيبويه ثم انقطع ، ولما سئل عن سبب انقطاعه ، قال : يجب على الإنسان أن يقدم ما هو أهم ، وهو علم الوقت من اللغة والشعر والسماح من

(١) بغية الوعاة : ١ / ٧٨ .
(٢) انظر مثلاً : ١ / ١١ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ٢٣ - ٢٨ - ٣٠ .
(٣) معجم الشعراء : ٤٢٥ .
(٤) نفس المرجع .
(١٠ - الشعر)

الشيوخ ، فكان يازم ابن دريد ومن جرى مجراه من أهل السماع (١) .

٢ - أبو بكر الصولى : (ت ٣٣٥ هـ)

هو محمد بن يحيى الصولى ، ويعرف أيضا بالشَّطرنجى ، ويعد من أبرز الرواة الذين ظهوروا خلال الثلث الأول من القرن الرابع ، وقد وصف بأنه كان أحد العلماء يقنون الأدب وحسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء (٢) ، كما أن الصولى قد حاز توثيق جملة من العلماء الذين يعتد بأحكامهم فى رجال الرواية فقال عنه ابن كثير : (كان واسع الرواية جيد الحفظ حاذقا بتصنيف الكتب) (٣)

كما وصفه بأنه كان (جيد الاعتقاد حسن الطريقة) (٤) وبأنه (قد روى عنه الدارقطنى وغيره) (٥) وتبدو أهمية دروه فيما قام من به صنع دواوين للشعراء ، فهو بهذا التقليد ، يمثل امتدادا لجهد السكرى ، كما سبق القول ، مع فارق ملحوظ ، هو أن السكرى صنع دواوين القدامى ، بينما الصولى اتجه الى عمل دواوين للشعراء المحدثين ، ولم يقف الصولى عند حد صناعة الدواوين ، بل تعداه الى التأليف فى أخبار الشعراء ، ومن بينهم أبو تمام . فأما الدواوين التى صنعها فأما ما يلى : (٦)

- (١) معجم الأدباء : ٨ / ١٤٧ - ١٤٨ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية (طبعة بيروت الأولى ١٩٦٦ م ١١ / ٢١٩ .
- (٣) المرجع السابق : ١١ / ٢١٩ . (٤) نفس المصدر
- (٥) المرجع السابق : ١١ / ٢١٩ .
- (٦) انظر هذه الدواوين بترتيب ورودها فى : بروكلمان : ٢ / ٤٤ ، ٧١ ، ٤٨ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ١٠٠ . وانظر أيضا الفهرست : ٢١٦ .

- ١ - ديوان ابن الرومي ٢ - ديوان أبي تمام
- ٣ - ديوان البحتري ٤ - ديوان أبي نواس
- ٥ - ديوان العباس بن الأحنف *
- ٦ - ديوان علي بن الجهم *
- ٧ - ديوان ابن طباطبا العلوي *
- ٨ - ديوان إبراهيم بن العباس *
- ٩ - ديوان ابن عبيدة *
- ١٠ - ديوان ابن شراعة (١) *
- ١١ - ديوان الصنوبري (٢) *
- ١٢ - ديوان دعلج بن علي (٣) *
- ١٣ - ديوان ابن المعتز (٤) *
- ١٤ - ديوان مسلم بن الوليد (٥) *

كذلك جمع الصولي أخبار وأثار من خالط الخلفاء والوزراء ، فآلف فيهم كتابه (الأوراق) (٦) ، وكان قد عرفهم عن كثب بحكم منادمتهم لهم ، ولكنه لم يتم الكتاب ، والذي خرج من أخبار الخلفاء وأشعارهم ، وأشعار أولاد الخلفاء ، وأيامهم من السفاح إلى أيام ابن المعتز ، وانتفع من جاء بعده ، من الرواة ، بهذا الكتاب ، ومن بينهم أبو الفرج

(١) الفهرست ٢١٤ *

(٢) بروكلمان : ٢ / ٩٧ *

(٣) بروكلمان : ٢ / ٣٩ *

(٤) بروكلمان : ٢ / ٥٣ *

(٥) بروكلمان : ٢ / ٣٢ *

(٦) نشر جزء من هذا الكتاب في مصر بعناية المستشرق الانجليزى د. *

الأصفهاني .

كذلك انتفع المرزباني انتفاعا واضحا بمسرويات
أبي بكر الصولي ، ونقل عنه كثيرا في كتابه الموضع
ولهذا أثنى عليه تلميذه المرزباني كثيرا ، فذكر أن له
(رواية واسعة ومحفوظات كثيرة) (١)

أبو بكر الصولي : (وكتابه الأوراق) :

وهو كتاب جمع لنا فيه الصولي جملة من أخبار وأشعار
طائفة من خلفاء بني العباس - ومنهم تلميذه الخليفة
الراضي (٤) (٢٩٧ هـ - ٣٢٩ هـ) ، وهو يسير في كتابه
هذا على نظام حولي .

وقد وجه ابن النديم للصولي تهمة انتحال هذا الكتاب ،
وسرقته من مؤلفه الأصلي ، وهو المرثدي ، وأشار
ابن النديم إلى واقعة الانتحال هذه في موضعين من كتابه
الفهرست ، فقال في موضع : (عول عند تأليفه كتاب
الأوراق على كتاب المرثدي في الشعر والشعراء) . بل
نقله نقلا ، وانتحل (ثم يقرر ابن النديم أنه رأى) دستور
الرجل في خزانة الصولي ، فافتضح به (٢) .

الفهرست

وفي الموضع الثاني يقول ، في ذكر المرثدي وكتبه ، (فذكر
أن له كتاب أشعار قريش ، وعليه عول الصولي في

(١) المؤرخ من هذا العالم في التاريخ ١٢ (مجموعه)
على محمد الجاوي
رط الحايي (٢) اتهم ابن النديم في الفهرست أبا بكر الصولي بسرقة كتاب
(الأوراق) وانظر تفصيل ذلك في (الفهرست ٢١٥) .

الأوراق (١).

فتراه يذكر كتاب المرئى مرة على أنه (الشعر والشعره) ومرة باسم (أشعار قريش).

وليس أمامنا مصادر تعتمد بالأدلة التي نواجه بها تهمة ابن النديم ولا قرأت تنفيها ولا تدحضها، فابن النديم وهو ثقة يقرر أنه شاهد بنفسه الكتاب الذي انتحل الصولى، وأنه اكتشف المطابقة التامة بين النسخين.

وكل ما يمكن أن نواجه به ابن النديم في اتهامه، أن كتاب (الأوراق) للصولى فيه من المؤنخ ما قنق تهمة الانتحال، وهى تلك التي تسجل نقاشا بين الصولى الراوية، وتليذه الخليفة الراضى - كما سيتضح لنا بعد قليل - ويأتى هذا النقاش بين الشيخ وتليذه، لتصحيح مرويأت أو لاقتراح تلميحات، أشار بها الصولى على الراضى، وفي ديوان شعره، ومثل ذلك مما يستحيل عقلا أن يكون سطوا أو انتحالا.

هذا إلى أن ابن النديم قد انفرد - وحده - بتسجيل هذا الاتهام. فالقضى - وهو حجة في الكتب - وكان وراقا ومنقبا في الكتب كابن النديم، لم يتطرق لذكر هذا الاتهام، بل على عكس ذلك، رأيناه يوثقه ويمتدح روايته بقوله (وكان واسع الرواية، حسن الحفظ والأدب حاذقا) وبأنه (١) كان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، مقبول القول (٢).

(١) الفهرست : ص ١٠٧.

(٢) إنباء الرواة : ٢٢٤/٣.

(٣) إنباء الرواة : ٢٢٤/٣.

هذا ويسجل الكتاب - كما أسلفنا القول - ما يشهد إلى مجالس رواية
لشيخ مع تليذه الراضى ، ومنها أن الراضى روى البيت :

تمنى حبيشا أن يكون أظاهنى

وقد حدثت بعد الأمور صدور

فصحح له الصولى رواية البيت على النحو التالى :

« تمنى نبيشا أن يكون أظاهنى »

ثم فسر له بقوله : (ومعناه أنه تمنى شيئاً بعد ما فاتته) .

يقال : رأى هذا نبيشاً ، إذا رآه فى آخره ، وقد فات (١) . كما سبق القول
مفصلاً بشأن اقتراح الصولى على الخليفة تنقيح ديوانه وإعادة أملائه على آخر
نسخة أقرها ، فترى صيته له بأن يكتب ما جدد على ديوانه من النسخ التى بأيدى
الرواة (٢) .

هذا إلى ما كان يذله الصولى من توجيه الراضى بشأن مكتبته ومقتنياته
الخاصة من الكتب (٣) .

بعد الكتاب أيضاً سجلاً تاريخياً ضم معلومات عن فريق من الرواة
الأمم ، من بينهم :

أ - أحمد بن عبد العزيز الجوهرى صاحب عمر بن شبة (٤) (ت ٨٣٢٢) .

ب - وابن المشع الشيعى الذى كان يروى عن عمر بن شبة (٥) .

(١) الأوراق : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الأوراق : ١٥٤ .

(٣) الأوراق : ٢٩ إلى ٤٠ .

(٤) الأوراق : ٦٤ .

(٥) الأوراق : ٦٥ .

ج - أبو بكر بن أبي الأزهر الذي كان يلقب بمستملى
المبرد (ت ٣٢٥) (١) *

د - القاضي عمر بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) وكان
ريبيا (٢) للصولي، وكان قرأ عليه من كتب اللغة، ومن
مصنفات الصولي، ما يقارب عشرة آلاف ورقة، كذلك يسجل
الكتاب لنا جملة صالحة من المعلومات المتعلقة بالحياة
الأدبية، وبخاصة داخل قصور العباسيين، ودورهم في
تنشيط الرواية الأدبية، مما قد يعز وجوده فيما سواه من
المصادر الأخرى *

ومن هنا يكون مبلغ الخسارة للثقافة الأدبية، إذ وصلنا
الكتاب ناقصا، غير تام *

الصولي وأخبار أبي تمام :

وكان قد صنفه قبل أن يجمع ديوان أبي تمام (٣) وليس
كتاب (أخبار أبي تمام) أول صنيع قدمه الصولي في مجال
(رواية أخبار الشعراء)، فقد سبق أن صنع أخبار الفرزدق،
فدخلت في ٣٠٠ ورقة (٤)، وقطع على نفسه العهد في
أخبار الفرزدق، إلا يروى فيه ما ورد في كتاب (النقائض)
لأبي عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) إلا ما لا بد منه : من ذكر نسبه،
وأزواجه وغير ذلك، مما لا يبلغ جميعه ثلاثين ورقة (٥) *

(١) الأوراق : ٨٨ *

(٢) الأوراق : ١٤١ *

(٣) يتبين ذلك من رسالة الصولي إلى (مزامح بن فائق) - وانظر
الرسالة ملحقة بكتاب (أخبار أبي تمام) للصولي بتحقيق خليل محمرد
هياكل ومحمد عبده عزام * ونظير الاسلام الهندي (ط لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة (١٩٣٧ م) *

(٤) أخبار أبي تمام : ص ١٢ *

(٥) أخبار أبي تمام : ص ١٢ *

عسكر

على أن حرص الصولى على أن يقرن صنيعة للدواوين برواية أخبار كل شاعر ، هو - فى الواقع - صورة للجهل العلمى المتكامل ، إذ أن حياة الشاعر وأخباره ، معوان لدارس آثاره على تفهم تلك الأخبار ، وفهم خصائصها الفنية .

ويعد كتاب (أخبار أبى تمام) نموذجا لعمل لم يسبق اليه على نحو ما صنعه الصولى . فقد كانت أخبار أبى تمام قبل الصولى مجرد ترجمات وجيزة فى كتب تراجم الشعراء . وذكر طبقاتهم ، فجاء الصولى ليخص أخبار الطائى بكتاب مستقل .

وأما ديوان شعره ، فلم يكن مرتبا ، حتى جمعه الصولى ، ورتبه على حروف المعجم (١) .

كما يعكس جهد الصولى تبنيه لآثار المحدثين ، وتحمسه لهم ودفاعه عن آثار هذا الفريق من الشعراء ، فى وقت لم تكن أذواق أنصار القديم قد ساغت بعد ، أو ارتضت صياغاته وأخيلته ، وآية ذلك مهاجمته (أنصار القديم) ممن رفضت أذواقهم أن تسبغ ما أبدعته قرائح المحدثين ، فرمى (أنصار القديم) بجهل (أشعار المحدثين) ، وعلل ليلهم للقديم ، وانتصارهم له ، بأنهم وجدوه مشروحا مفهوما للفظ والمعنى قد نلله الرواة لهم تفسيراً وشرحا ورواية ، حتى صار معهودا لهم (٢) . يقول :

(وألفاظ القدماء ، وإن تفاضلت ، فإنها تتشابه ، وبعضها أخذ برقاب بعض فيستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه ، فيقومون على صعبها بما ذللوه ، ولم يجدوا فى شعر المحدثين بمنزلة عهد بشار) كائنة كائنتهم ، ولا رواة

(١) وفيات الأعيان : ١ / ٣٣٨ .

(٢) أخبار أبى تمام : ص ٦٤ .

كرواتهم الذين تجتمع فيهم شرائطهم ، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به وقصروا فيه فجعلوه فعاذوه ، كما قال الله عز وجل (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) (١) ، وكما قيل : الانسان عدو ما جهل (٢) .

ومعنى هذا أن الصولى ، وهو يتبنى قضية الحديث ، كان يرود طريقا ويفتح أفقا ، ويقر سلطان تلك الآثار الحديثة فى النفوس والعقول معا ، وينحى من الطريق عقبات التعصب للقديم ، والجهالة بالحديث .

ومن هنا كانت الأصالة التى تميز جهده لها، فبرز على سواه من الرواة - ممن كانوا فى مثل طبقته - (٣) ، لأنهم لم يلتفتوا إلى ما التفت الصولى إليه ، وليس أدل على جهالة أنصار القديم من الرواة بآثار المحدثين من أن المبرد ، وكان شيخ الصولى وأستاذه ، لاحظ اشتغال الناس من رواية عصره بآثار أبى تمام ، فطلب بعض أبياته، فكان (أى المبرد) ينشد البيت من شعر أبى تمام ، ثم يسأل : ما أراد بهذا ؟ فنشرحه ، فيقول : (٤) (أحسن والله وأجساد) (٥) (فهذه قصة أمام من أئمة الطاعنين عليه عندهم) (٦)

وكان الصولى فى انتقاده لمسلك الرواة من (أنصار القديم) يتهم أذواقهم ، ويرميهم بالوقوف عند حدود الشكل اللغوى ، دون الغوص على أسرار التعبير، فيقول : (الرواة يعلمون تفسير الشعر ، ولا يعلمون ألفاظه) (٧) .

(١) سورة يونس : آية ٢٩ .

(٢) أخبار أبى تمام ص ١٤ .

(٣) أقصد ابن دريد وابن الأثير وأضرابهما .

(٤) أخبار أبى تمام : ص ١٦ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع .

(٧) أخبار أخبار أبى تمام : ص ١٠١ .

ولم يقف الرجل عند حدود المصاولة والمناقحة عن آثار المحدثين، بل راح يعمل عمل أهل الرواية: فيضبط تلك الآثار، وينفى عنها ما قد يعتريها من مظاهر التحريف والتصحيف، فيقول: (وقد رأيت - أعزك الله - بعض هؤلاء الجهلة يَصْخَفُ أيضاً على أبي تمام، ثم يعيبون ما لم يقله أبو تمام قسط وأنا ذاكر ذلك في موضعه من الشعر، إذ كنت قد خفت إعراضك وكرهت إملالك)^(١)

كذلك عمل على تنقية هذه الآثار من محاولات الدس والانتحال والتخليط، صنيع أهل الرواية والتحقيق، فساق خبراً أسنده إلى علي بن الجهم يتهم فيه دُعْبَا الشاعر بأنه (كان يكذب على أبي تمام، ويضع عليه الأخبار) (٢)

وقد سبق ما لا حظناه في آثار أبي تمام وأخباره مما ذكره الصولي من أن عدم فهم شيوخ الرواية لآثار المحدثين، كان هو العائق لهم عن قبول هذا النوع من الآثار وروايته، وكيف أن الصولي كان يدرك هذه الحقيقة، حين رأى أن سر الإقبال على آثار القدماء، إنما هو ما لقيته هذه الآثار من عناية الرواة شرحاً وتفسيراً وتذليلاً لصعابها، كما نلاحظ انتشار العناية بآثار المحدثين، حتى أن ديوان أبي فراس الحمداني قد حرص ابن خالويه على تفسيره وأنه قد شرح من (أيامه وأخباره المذكورة فيه) (٣) .

(١) أخبار أبي تمام ص ٤٦ .

(٢) أخبار أبي تمام : ص ٦١ .

(٣) ديوان أبي فراس برواية ابن خالويه - مقدمة ابن خالويه (بدين رقم) .

وانظر أيضاً على سبيل المثال : ديوان عامر بن الطفيل (ط بيروت) مقدمة ابن الأثير ص ٩ . برواية ابن الأثير . فالرواية أيضاً مقرونة بالشرح .

اتصال الشرق بالغرب :

كذلك كان من الملاحظ العلمية الهامة في (سلوك الرواية) ، الأدبية في هذه المرحلة (ظاهرة التواصل بين المشرق والمغرب عن طريق الرواة الرحالة) ، ونجد أمثلة لهذا (التواصل الفكري) في رحلة (محمد بن أبي حنيفة البواب) ، أحد علماء قرطبة خلال الثلث الأول من القرن الرابع ، أي (فترة الرواة المختصرين) ، فقد لقي ابن أبي حنيفة في رحلاته إلى الشرق العلماء الذين يمثلون مجدهم (مرحلة الاتصال) تلك : أعني بهم الزنجاج ، وابن الأنباري والأخفش ونفطويه ، وغيرهم من المنارقة من ذوي الرواية ، وكان بما رواه ابن أبي حنيفة بالشرق كتاب السكامل للبرقد ، الذي نستطيع أن نقطع بأن روايته له كانت من الأخفش تليد المبرد والمختصر برواية كتابه .

وأما من وفدوا من المشاركة على الأندلس فأهمهم أبو علي القالي ، والذي حمل معه قدراً كبيراً من مروياته آنذاك ، احتفظ لنا ابن خير الاشبيل بأسمائها جميعاً^(١) .

وقد رأينا من رواة الأندلس من يتصدى لرواة المشرق في مجالس الرواية ويستدرك عليه ، ويصوب له أخطائه على مسمع من الحاضرين ، كما فعل القاضي (منذر بن سعيد) حين راجع أبا جعفر النحاس في بيت لامرئ القيس^(٢) . كذلك يلاحظ أن أهل المشرق كانت تصل إليهم آثار أهل الأندلس ، فكان المتنبي على علم بأن عهد ربه ، وكان يلقبه (مليح الأندلس) كما كان

(١) انظر فهرسة مرويات ابن خير الاشبيل (ت ٥٧٥ هـ) (ط بيروت) بتحقيق ميخائيل عودة .

(٢) نفح الطيب : ٢/ ٢٢٣ .

يستندد رحالة الأندلس أشعاره وآثاره ، حين يفتدون إلى لقائه (١) ، وما ساعد على هذا (التواصل بين المشرق والمغرب) أن أهل الأندلس - كما يذكر ابن بسام في الذخيرة - ، أبوا إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو تنقوا بالآفاق غراباً أو طناً بأقصى الغمام والمراق ذهاباً ، لجنوا على هذا صنماً ، (نقل ذلك كتاباً بحكا ، (٢) .

وتدرد ابن بسام أشعار النابيين منهم إلى أصولها العباسية وهي شهادة هامة من ناقد مؤرخ أندلسي يساندها قرآن ومنها .

١ - لم يذكر ابن شهيد في رسالته : التواضع والزواجر شيطاناً لشاعر واحد من الأندلس ، مع أنه أندلسي .

٢ - جاءت مادة العقد الفريد - لابن عبد ربه - كلها مشرقية ، حتى قال الصاحب بن عباد عنه حين طالعه ، هذه بضاعتنا ردت إلينا .

٣ - ظلت أصول علم الأدب ، حتى عصر ابن خلدون أربعة كتب هي : أدب السكاك لابن قتيبة ، وكامل المهرد ، وبيان الجاحظ ، ونوادر القالي .

٤ - إرسال أبي الفرج الأصفهاني نسخة من الأغاني إلى الناصر بمجرد ظهورها . وقد دأب الأندلسيون على جلب أهال المعارضة بمجرد ظهورها هناك .

٥ - نقل ابن الأشج عن أبي الطيب المتنبي ، ديوانه ، وقرأه في

(١) نفح الطيب : ١٠٤/٥ وانظر بشية الملتصق : ٤٥٦٠٤٦٥ وانظر في استنشاء المتنبي : لواء الأندلس أشعاره : نفح الطيب ١٢٠
٢) الذخيرة ١٠٠ م ١ ق ١ ص ٢ (ط جامعة القاهرة) .

قرطبة على طلابه .

٦ - وقبل ذلك نقل مؤمن بن سعيد ديوان أبي تمام عنه شخصيا ، وقراه طلابه عليه في قرطبة .

٧ - وأخيرا ، فإن تأثير شعراء المشاركة في شعراء الأندلس ، يأتي دليلا حيا آخر يؤكد أمر التواصل بين أدباء المشرق ، وأدباء الغرب المسلم ، وذلك على نحو ما نرى من أثرى المتنبي في ابن هانيء ، وأبي العلاء المعري في ابن شهيد .

الفصل الثاني

رواة القرن الرابع (مرحلة التمدد)

أولا - دواوين الأشعار :

وقد كثرت كثرة ملحوظة في القرن الرابع على الإطلاق ، وتعددت اتجاهاتها وتميزت خلال القرن الرابع بملامح جديدة ، لم تستقم لها فيما قبله .

ويحسن قبل أن نفصل القول بشأن هذه الانجاسات أن نوجز الحديث عن صلة صناعة الدواوين بالرواية الأدبية ، ومنزلة (دواوين الأشعار) بين سائر الدواوين الأدبية والعلمية .

فالدواوين الشعرية وثيقة الصلة بالرواية الأدبية ، لأن الآثار التي تضمها دفنات الديوان ، هي في المقام الأول : ثمرة الرواية ، ثم هي لا تجمع وتحمل اسم الشاعر إلا بعد أن تمر بمرحلة نقد وتمحيص ، قد تكلف العالم أن يراجع هذه الأشعار في مظان متفرقة وموثقة ، ويعقد بينها المقابلة والموازنة ، ويضعها تحت اختبار طويل أساسه الثقة بالناقل ، أو الشك والمعرفة بخصائص الشاعر وسؤال العلماء ، تماما كما فعل أبو بكر الصولي في جمعه لديوان أبي تمام ، وكما فعل من قبل أبو سعيد السكري لدواوين الشعراء (١) ، والقبائل (٢)

(١) الفهرست : ص ٢٢٤ .

(٢) وصنع وراق الجهشيارى نفس الصنيع بديوان ابن الرومي ، إذ جمعه

وإذا كنا ، في تقديمنا للحديث عن الدواوين ، قد أشرنا إلى أنها ذات صلة بالرواية ، فإنها من ناحية أخرى تعد أهم المصادر وأخطرها شأنًا بالنسبة لأثار الشاعر . وقد مضى بيان ذلك عند الحديث عن ظاهرة الرجوع إلى الدواوين وكثرة الاشارات إليها في ثنايا الكتب .

ويمكننا أن نستبين أبعاد الكثرة الهائلة من الدواوين التي صنعها الرواة المختصون ، والرواة الشعراء لتكون بين يدي العثماء والدارسين ، وذلك خلال القرنين الثالث والرابع الهجري ، وسندنا في استبانة أبعاد هذه الكثرة ليس فيما يظهر فقط من الإشارات إلى الدواوين في المراجع ، بل يبدو لنا أيضا في مثل ما ذكره الجرجاني (١) في كتابه الوساطة من أن الشاعر البحتري قد أحرق خمسمائة ديوان للشعراء في أيامه حسدا ، لئلا تشتهر أشعارهم ولا تنتشر في الناس محاسنهم وأخبارهم (٢) .

فأما في القرن الرابع ، فالدواوين أكثر ، بالنظر إلى ما آل إليه من ميراث السابقين ، وبالنظر أيضا إلى متابعة رواة القرن الرابع لجهود سابقينهم ، في جمع الأشعار وتوثيق الأثار ، ثم بالنسبة أيضا للكثرة من الشعراء الذين

من جميع النسخ فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت .

وانظر الفهرست : ص ٢٢٥ .

(١) أبي الحسن علي بن عبد العزيز الحسن الجرجاني ، قدم إلى صاحب بن عباد وهو الذي أسند إليه منصب القضاء ومات ٣٩٢ هـ .

(معجم الأدباء : ٢٤٩/٥ - ٢٥٨)

(٢) أبو عبد محمد بن عمران المزياني ، أحد تلاميذ ابن دريد ، وكان يقال أنه أحسن تصنيفا من الجاحظ توفي ٢٨٧ هـ (تاريخ بغداد : ١٢٥/٣)

صنعوا مسيرة الشعر في القرن الرابع .

فإذا بحثنا عن نصوص تسعفنا بالمزيد من الوقوف على أبعاد الكثرة في الدواوين الشعرية ، وجدنا المرزبانى (١) يقول : بأنه جمع دواوين قريب من ألف شاعر اختار من عيونها ما أراد ، وامتار من متونها ما ارتاد (٢) وذلك عندما أراد أن يصنف كتابه على حروف المعجم بأسماء الشعراء .

دواوين القبائل :

لم يجدَّ جديدٌ بشأنها في القرن الرابع ، بل اكتفى رواية هذا القرن بروايتها وتناقلها ، بعد ما أوفى رواية القرن الثالث على الغاية في صنع وتوثيق هذا النمط الهام من أنماط المصادر الشعرية ، ويدلنا الاستقصاء لأحد كتب الأمدى (٣) وهو (المؤتلف والمختلف) على أنه كان يقتنى جملة كبيرة منها أعانته على تأليف كتابه . وقد بلغ عدد ما رجع إليه من (دواوين القبائل) حوالى ستين ديواناً (٤) .

دواوين الأفراد :

وإذا كنا في (فترة الاتصال) لاحظنا جهود رواية هذه

- (٣) معجم الشعراء (بتحقيق عبد الستار فراج) مقدمة المرزبانى .
- (٤) نفسه - امتار : اختار وانتقى .
- (٢) أبو القاسم الحسن بن الأمدى . توفي ٣٧٠ هـ .
- (٤) منها : أشعار الأزد ، وبنى أسد ، وأسلم ، وأشجع وبنى تغلب ، وبنو كعب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو جهم ، وبنو حنيفة ، وبنو زبيدة ابن ذهل وغيرها . والمؤتلف والمختلف وبحثنا للماجستير (مخطوطة) ٢٥٩ - ٢٥٥ .

ديوانه

حنيفة

وخشعر

المرحلة في صنع دواوين (الأراد)، وفي مقدمتهم (أبو بكر الصولي) .

فالجهد، في (فترة الامتداد) ما تزال متواصلة، غير أننا في هذه المرحلة نلقى رواية ذوى منهج متميز واتجاه مغاير بعض المغايرة، يمثله حمزة الأصفهاني كصنعه بديوان البحترى (٢) وديوان أبي تمام (٣) .

وإذا كان الصولي قد تقدم خطوة بصناعة الدواوين فرتبها على حسب حروف القافية، فإن حمزة الأصفهاني قد تقدم خطوة أوسع، حين صنع لترتيبها إطاراً أساسه الأغراض . وهو اتجاه يخدم المدارس لشعر الشاعر، ويوفقه على فهم الأغراض، حين يجد هذا الترتيب قد يسر له سبيل النظر والدراسة الذي يبدو أن صنيع حمزة الأصفهاني الذي قدم إطاره الجديد في ترتيب القصائد، قد تخلى عنه عندما عمل ديوان أبي نواس، فرتبه على حسب أحرف القافية (٤) . وسر ذلك - فيما يبدو - راجع إلى ما لقيه ترتيب القوافي من إقبال وموافقة للرواة والأدباء .

وحين كان حمزة الأصفهاني يصنع الدواوين، كان يسعى وراء المصادر، ويدأب في الجمع والنقل والرواية . يدلنا على ذلك (ديوان أبي نواس) الذي قام بجمعه (فإنه

قد رتبها

(١) حمزة بن الحسن الأصفهاني، من أشهر رواة بغداد حيث أقام بها، وانظر في ترجمته: بروكلمان ٦٠/١، واسترغ دراسة مفصلة لحياته وآثاره .

(٢) الفهرست: ٢٣٥، وانظر بروكلمان: ٥١/٢ .

(٣) بروكلمان: ٧٥/٢ .

(٤) بروكلمان: ٢٠/٢ .

(١١ - الشعر)

قديم مرارا إلى بغداد باحثاً عن المواد التي جمعها في روايته لديوان أبي نواس ، وكان قدومه للمرة الثالثة إلى بغداد ٣٢٣ هـ (١) وقد تسنى له الاتصال بمهمل بن يموت كثيراً أثناء عمله في ديوان أبي نواس (٢) ، وهناك فارق آخر بين الصولي وحمزة الأصفهانى ، إذ يبدو أن الصولى كان يمثل الراوية الأكثر تمحيصاً لمرويات دواوينه ، وكان في ذلك يفوق حمزة برغم حسن اجتهاده ، ومزيته على الصولى في طريقة الترتيب وغزارة المادة .

على أن ديوان أبي نواس لحمزة قد اشتمل على كثير من الشعر المنحول لأبي نواس أو المشكوك فيه ، (٣) أما الصولى فقد استطاع أن يخلص ديوانه من المنحول (٤) وإلى جانب الاهتمام بدواوين المحدثين من الشعراء ، اهتم رواة هذه المرحلة بدواوين القدامى ، فصنع لنا أبو هلال العسكري ديوان أبي مَحَبَّن الثقفى ، أحد الشعراء الإسلاميين في عصر النبوة (٥) .

بل إن بعض رواة هذه المرحلة قد استطاع أن يزودنا بدواوين لم يكن لها وجود من قبل ، لشعراء إسلاميين ،

(١) انظر بروكلمان : ٦٠/٣ وتوفي حمزة ٣٥٠ هـ .

(٢) ياقوت : معجم الادباء : ١٤٦/١ .

وانظر : ديوان أبي نواس : ١٤٧ ٣٨/١ . وقد طبع هذا الديوان برواية حمزة في القاهرة بعناية إسكندر أصيف ١٨٩٨ ، ثم طبع مرة أخرى بالمطبعة الحميدية ١٣٢٢ هـ كما نشر أفانز فاغنر الجزء الأول ، كما نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٨ .

وانظر نسخاً مختلفة للديوان برواية حمزة في (بروكلمان : ٢٠/٢)

(٣) الدهرست : ٢٢٨ .

(٤) بروكلمان ٣/٢ .

(٥) الشعر والشعراء : ٢٥٦ ، والأغاني : ٢١٠/٢١٠ - ٢٢٠ (بولاق)

فالمُرَبَّاني كان أول من جمّع ديوان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان واعتنى به ، ووصفه ابن خلكان بأنه (صغير الحجم ، يدخل في مقدار ثلاث كرايس (١) وإلى جانب العناية بشعر المحدثين ويصنع دواوينهم ، توجهت عناية أهل الرواية إلى صنع دواوين لأثر شعراء المائة الرابعة ، وهي عناية بلغت شأنا بعيدا ، يمكن أن نتبين مداها بنظرة فاحصة على ما تم صنعه من هذه الدواوين ، في أمثال الفهرست لابن النديم .

ليس
مفرد
صفحة

في موضع منه أصل عقده عن (أسماء جماعة من الشعراء المحدثين ممن ليس بكتاب بعد الثلاثمائة إلى عصرنا هذا) (٢) .

وقد بلغ عدد الدواوين التي صنعت لهؤلاء ، قريبا من خمسة وعشرين ديوانا . ومن هؤلاء الشعراء : عدد كبير من شعراء سيف الدولة الحمداني ، كالمكنويزي (٣) (ت ٢٢٤ هـ) ، الذي عمل الصولي (٤) شعره ، والمتنبّي (٥) الذي عمل ابن جني ديوانه .

- (١) رفيات الأعيان (١ / ٤٧٥ ص) .
- (٢) أي إلى عصر ابن النديم . ولا حظ أيضا أنه يطلق وصف (المحدثين) على شعراء القرن الرابع . ونستخدم نحن وصف (شعراء القرن الرابع) تمييزا لهم عن الشعراء المحدثين في القرن الثالث وما قبله . وانظر الفهرست : ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
- (٣) أبو بكر محمد بن أحمد وقيل أحمد بن محمد بن محمد من الشعراء الوصافين للطبيعة (ريات الوفيات : ٦١ / ١) .
- (٤) الفهرست ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
- (٥) أحمد بن الحسين أبو الطيب الجعفي أشهر شعراء زماننا (ت ٢٥٤ هـ) .

وأذا كان الصولي مثال الراوية المحقق في صنعه
للدواوين ، فلقد كان ذلك دأب أهل الرواية من غير الصولي ،
فإن وراق الجهشيارى حين جمع ديوانا لابن الرومي ، قد
رأى أن يرجع إلى نسخ مختلفة ، وانتهى إلى ديوان
لابن الرومي زادت فيه عدد الأبيات عما في سواه من
الدواوين نحو ألف بيت (١) .

لقد شارك شعراء القرن الرابع في جمع أشعارهم وصنع
دواوينهم ، حتى يتسنى لهم إخضاعها لمزيد من التجريد
والتنقيح: فالسري الرفاء (ت ٣٦٠ هـ) قد صنع ديوان
شعره قبل موته في نحو ثلاثمائة ورقة، ثم زاد بعد ذلك ،
ويذكر لنا ابن النديم أنه (قد عمله بعض المحدثين الأدباء
على الحرف) (٢) .

وأبو فراس الحمداني الشاعر الفارس (٣) (ت ٣٥٧ هـ)
قد رتب ديوان شعره قبل موته بقبيل بعد أن نقده ومحا منه
بعض القصائد ، ويبدو من نسخة ديوانه التي رواها ابن خالويه
(٢) (ت ٣٧٠ هـ) عنه ، أنه كان يدفع بشعره إلى ابن
خالويه ، ويؤثره بآثاره ، ويحظر عليه إذاعة ما يروييه عنه ،
إذ يقول ابن خالويه في مقدمة هذا الديوان : (وما زال

(١) الفهرست : ٢٣٥ .

(٢) الفهرست : ٢٤١ .

(٣) ديوان أبي فراس ابن خالويه (ط بيروت) مقدمة ابن خالويه .
وأبو فراس هو الحارث بن سعيد بن حمدان ، وهو ابن عم سيف
بوفارس أيامه (اليتيمة ٢٢/١ - ٦٢) (ط الصاوي)

رضى الله عنه وارضاه، وكرم منقلبه ومثواه، شديدا لاجابة بحق
الأدب، ورعاية لحق الصحبه وعلماء بأهل المخالصة، يلقي إلى
دون الناس شعره ويعطر على نشره حتى سبقتني وآياه
الركبان فجمعت ما القاه إلى (١) .

ولم يكن رواة القرن الرابع - وهم يصنعون دواوين
أبناء زمانهم ، وشعراء جيلهم - يكتفون بأبناء أقاليمهم ،
بل كانت جهودهم تمتد إلى أبناء الأقاليم الأخرى فيصنفون
دواوين لأثار أبناء تلك الأقاليم ، ممن أمكن لهم أن يتعرفوا
عليهم ، ويقفوا على آثارهم وتصلهم بهم أسباب الألفة عن
طريق الرحلة ، أو عن طريق المكاتبه .

فالقفتي يحدثنا أن ابن خالويه ، دخل إلى اليمن ، وأنه
جمع ديوان شعر ابن الحائك (٢) أحد شعرائها ورواتها
في زمانه ، وأن ابن خالويه لم يكتف بهذا الجمع ، بل أنه
عرب الشعر وأعربه (٣) ، وقد كان ابن الحائك اليمني ،
يكتب - من قبل - رواة بغداد ومنهم ابن خالويه وابن
الأنباري ، بل أنه يتخلف بين صنعاء وبغداد (٤) .

(١) انظر مقدمة ابن خالويه لديوان أبي فراس المقتدم
(٢) أبو عبد الله الحسن بن أحمد ولد بهمدان وقدم بغداد عام ٣١٤
ومن تلاميذ ابن دريد وابن الأنباري ، وشارك في رواة آثار المحدثين في
عصره .
(٣) انباء الرواة (١/٣٨٤)
(٤) انباء الرواة (١/٣٨٤)

الفصل الثالث

أخبار الشعراء

١ - أخبار عامة :

زخر القرن الرابع بنشاط ضخم فى رواية أخبار الشعراء ، وتنوع هذا النتاج ضخامة وقلة ، ومنهجاً ، وهدفاً ، ونحاول فيما يلى أن نسجل بعض الملاحظات على نشاط الرواية الأدبية فى هذا المجال ، ثم نتبع ذلك بثبت يضم شتات هذا النتاج ، أو يقربه ، كما صنعنا بدواوين الشعراء .

فأول ما نلاحظه أن هذا الاتجاه فى الرواية الشعرية كان تقليداً له سوابقه وآثاره التى انتهت إلى القرن الرابع مما سبقه كصنيع ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) وابن سلام فى (فحول الشعراء) .

١ - وكان من أواخر الرواة فى القرن الثالث تأليفاً فى أخبار الشعراء ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) (١) .

٢ - بل أن عناوين بعض كتب القرن الرابع تأتى متأثرة بعناوين كتب ما قبل القرن الرابع وتكاد أن تعارضها ، فإن محمد بن داود الجراح (ت ٢٩٦ هـ) يصنف كتاب

(١) وانظر ثبوتاً بأصحاب (طبقات الشعراء) فى القرنين الثانى والثالث الهجريين فى رسالتنا للماجستير (مخطوطة بمكتبة دار العلوم) ص ١٧٦ .

الورقة (ليستوفى تراجم بعض الشعراء جاعلا كل شاعر في ورقة ، فيأت
الصولي ليؤلف كتابه : (الأوراق) .

٣ - كما أن الاتهامات التي وجهت إلى بعض من روي أخبار الشعراء في
القرن الرابع بالسلو والانتحال ليسكتب أسلافهم قبل القرن الرابع ، هذه
الاتهامات في حد ذاتها ، تأني أيضاً دليلاً على تواصل اليهود بين القرن الرابع
وما قبله . فقد اتهم الصولي مرتين ، مرة بانتحال كتاب للرشدي في أخبار
الشعراء ، وذلك حين ألف الصولي كتاب (الأوراق) ، ومرة أخرى اتهم
أيضاً بانتحال كتاب لدعبل بن علي الخزاعي^(١) في أخبار الشعراء ، وذلك حين
ألف الصولي كتاباً في أخبار الشعراء .

فقد كانت هذه التهم - صادقة أو كاذبة - تضع دائماً ميراث القرن الرابع
المجري موضع المقارنة بميراث ما قبله ، وتصله به وصلادولو استمرضنا
بعض كتب أخبار الشعراء في القرن الرابع المجري لوجدنا كيف تتصل أسانيدنا
برواة هذا النقط الأدبي في القرن الثالث^(٢) بالذات .

ولقد غدا كتاب الأوراق في أخبار وأشعار خلفاء بني العباس نموذجاً
يمتدنى لدى بعض خلفاء بني أمية بالاندلس ، فقد أصدر الحكم المستنصر
الخلافة الأموي أمره إلى بعض رواة الاندلس . وهو عبد الله بن مغيث^(٣)
(١) أبو جعفر الحسن بن علي الخزاعي . قضى أكثر حياته في بغداد ، توفى
٥٢٢ هـ (الشعر والشعراء ٥٢٩) لابن قتيبة .

(٢) أنظر مقدمة محمود شاكر لكتاب (طبقات شعراء) لابن سلام
ص ١٣ وما بعدها حيث أورد نماذج كثيرة لروايات صاحب الأغاني عن ابن
سلام بطريق الفضل بن الحباب المعروف بابن خليفة الجعفي (بغية الوعاة)
٢ / ٢٤٥ .

وأنظر أيضاً أمثلة لاتصال الأسانيد في . ٢٦ - ٢٧ - ٢٧ - ٢٥ - ٥٠ -
٢٠١ - ٢٠١ .

(٣) يعرف بابن الصغار راوية أندلسي كان مشهوراً بالعلم (وتوفى ٥٢٢ هـ) .

للرشدي

بتأليف كتابه في أشعار الخلفاء الأمويين مجازاة للصومالي، وضمن له الحكم المستنصر كل التيسير الممكن لتمام إنجاز ما طلب ويصف لنا الحمدي الكتاب بأنه كان أثيراً على الحكم وقد أهدى ابن الصغار - وتلك كنيته التي اشتهر بها - الكتاب للحكم المستنصر (١)

ثم ملاحظة أخرى: هي أن حركة الرواية لأخبار الشعراء لم تقف عند صقع دون صقع، وإنما اتسعت آمادها عبر المسافات الشاسعة، فألف فيها أهل العراق، وألف فيها أهل أصفهان حيث قدم لنا حمزة الأصفهاني كتاباً في (شعراء أصفهان) (٢).

وقد مضى ذكر كتاب ابن الصغار في شعراء بني أمية بالاندلس، ونضيف ما ذكره ابن الفرضي من تأليف عثمان بن ربيعة الأندلسي كتاباً في (طبقات الشعراء بالاندلس) (٣). وفي مصر ألف أيضاً أبو جعفر ابن أسد كتاباً في (أخبار الشعراء) (٤).

وبمقدار امتداد هذه الحركة عبر المسكان، كان امتدادها على مدى القرن الرابع بداية، وموسمها ونهاية. ففي بدايته أمثال عثمان بن ربيعة، وفي وسطه أمثال حمزة الأصفهاني (٥)، وبعده أبو الفرج (٦)، وفي نهايته نجم المرداني (٧).

- (١) جذوة المقتبس : ٢٥٢، ٢٥٣.
- (٢) معجم الأدباء : ١٧ / ٤٣ : ١٤٤.
- (٣) بنية الملتصق : ٤١١.
- (٤) أنباء : ١٠١ / ١ : معجم الأدباء : ٢٢٨ / ٤.
- (٥) ت ٨٣٥٠.
- (٦) ت ٢٥٦.
- (٧) ت ٨٣٨٤.

هذا إلى تنوع (ارتباطها) وأشكالها ؛ فن (الشعراء العشاق)^(١) إلى (القضاة الشعراء)^(٢) و (الإمام الشعراء)^(٣) ؛ و (الخلفاء الشعراء)^(٤) .
ومما يمكن من قول ، فيما يتعلق بهذا الاتجاه التأليقي من اتجاهات رواية الأدب في القرن الرابع الهجري ، سواء في الكثرة ؛ أو التنوع ، أو الامتداد الزمني والمكاني ، فإن هناك راويين يقفان بين سائر الرواة في هذا القرن بأوفي نصيب من الجهد لجمع أخبار الشعراء :
أولها : أبو الفرج الأصفهاني ، بكتابه الأغاني وسواه ، كالإمام الشعراء وأما الثاني : فهو المرزباني الذي يحظى وحده بقريب من سبعة كتب ، كلها في أخبار الشعراء .

وكان المرزباني راوية مشهوداً له بسعة الرواية والصدق ، حتى قال عنه ابن النديم . (آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين ؛ راوية صادق اللمعة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع)^(٥) كما وصفه القفطى بقوله : (كامل في الرواية ، كثير)^(٦) وبأنه (مقدم في الدول وعند أهل العلم)^(٧) .
ذلك اتجاه هام من اتجاهات رواية الأدب في القرن الرابع . يوقفنا على مدى الجهد الذي بذله رواة هذه الحقبة ، وعلى مدى الثراء في الرواية ، والتنافس في العلم .

(١) مثل كتاب أبي داود الطاهري ، وكتاب أبي الفرج الجبائي (٤٣١٦هـ) المسمى بالحدائق .

(٢) لأحمد بن كامل بن خلف الشجري (ت ٥٣٥٠هـ) .

(٣) لأبي الفرج الأصفهاني .

(٤) لعماد الدين إمام الأديب ولابن الصغار كتابه الذي ألفه للحكم المستنصر ، والمرزباني أيضاً كتاب عنوانه (أشعار الخلفاء) ولعله عرض فيه للأخبار بحكم تخصصه (الفقه) .

(٥) نفس المرجع .

(٦) القبر : ١٩٠ .

(٧) نفس المرجع .

الخطباء

تابع : ثبت بكتب في أخبار الشعراء في القرن الرابع

رقم	الكتاب والمؤلف	مصادر وروده ، مع بعض الملاحظات
١٠	أشعار الجفاه للروائي	في مائتي ورثة الفهرست ١٩١
١١	أخبار القضاة الشعراء لأحمد بن كامل النجدي (ت ٢٥٠ هـ)	بروكلان : ٧٧/٣ ، ديبية الوعاة : ١/ ٢٥٤ ومجمع الأدباء : ١٤/ ١١٥ ، ١٢٦ وتاريخ بغداد : ١/ ٣٥٤ جذوة المقيص : ١٠٥ ، وذكر الجدي أنه ألّفه للحكم المستنصر وعارض فيه كتاب الزهرة لداود الظاهري (ت ٢٩٧ هـ) والفرق بينهما أن كتاب الزهرة في مائة باب وفي كل باب مائة بيت ، بينما كتاب الجاني جاء في مائتي باب في كل باب مائة بيت ولم يورد لغير أندلسي شيئاً ولا حظ ما قلناه بشأن معارضة أهل القرن الرابع لرواة المائة الثالثة .
١٢	الحدائق لأحمد بن محمد بن فرج الجاني	تاريخ علماء الأندلس لابن القرضي : ٦٢ الفهرست لابن النديم : ٢٢٨ .
١٣	محمد بن عبد الرووف الأزدی الأندلسي	الفهرست : ٢٢٠ ، وذكر ابن النديم بأنه (يجيء في عصرنا)
١٤	أخبار أبي نواس والخنثار من شعره ليوסף ابن الداية	
١٥	أخبار أبي نواس وخنثار شعره لأبي الحسن المسيطلي	
١٦	أخبار أبي تمام والخنثار من شعره	الفهرست : ٢٢٠

تابع : ثبت بكتب في أخبار الشعراء في القرن الرابع

رقم	الكتاب والمؤلف	مصادره وروده ، مع بعض الملاحظات
١٧	أخبار عمر بن أبي ربيعة	القيروست : (ط التجارية) ص ٢١٤
١٨	أخبار الأحموص وهما لعل بن محمد بن يسلم ^(١)	
١٩	ابن الخرون : محمد بن أحمد بن الحسين له كتاب الشعر والشعراء	القيروست : ٢٢٠
٢٠	ابن عماد القتي (٥٣١٩ هـ) - أخبار أبي نواس - أخبار حمير بن عدي - أخبار ابن الرومي والاختيارات من شعره - أخبار أبي النخعي	القيروست ص ٢١٢

(١) أحد علماء القرن الثالث الهجري ، ذكره ابن النديم (في أخبار العلماء وأسماء ماصنفوه من الكتب) وذكر أنه كان شاعراً
أديباً من الطوائف الكتابية لا يلم من لسانه أحد . وانظر (القيروست ٢١٤) وأورد ذكره عرضاً صاحب (النشر الفني في القرن
الرابع الهجري) .

تابع : ثبت بكتب في أخبار الشعراء في القرن الرابع

رقم	الكتاب والمؤلف	مصادره وورده ، مع بعض الملاحظات
٢١	ابن طباطبا الذي وله (الشعر والشعراء)	الفهرست : ١٩٦
٢٢	ابن السراج : محمد بن العري البغدادى (ت ٢١٦ هـ) له (الشعر والشعراء)	بقية الوعاة : ١ / ١١٠ و أنباه الرواه : ٣ / ١٤٩
٢٣	محمد بن هشام بن عبد العزيز له كتاب أنه في (شعراء الأندلس)	جذرة القتيبي : ص ٩٦ وانظر الإشارة إليه في بقية الشمس في الترجمة رقم (١٢٦٨) ص ٤٣٧ .
٢٤	الحالديان : أبو بكر وأبو عثمان محمد وسعيد ابنا هشام : أخبار أبي تمام وعائس شعرو	الفهرست : ٢٤١ .
٢٥	الحالديان أيضا : أخبار شعر ابن الرومي أخبار شعر البحري أخبار شعر مسلم بن الوليد	الفهرست : ٢٤١

٢ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) :

أما أبو الفرج ، فهو على بن الحسين ، ولقبه الأصفهاني لا يعنى كونه فارسى الأصل ، فإنما لقبه بالأصفهاني لولادته فى أصفهان . وهو - بعد - عربى يتصل نسبه بمرwan ابن الحكم من بنى أمية ، ومع هذا فهو شيعى المذهب أموى النسب والأرومة .

نشأ أبو الفرج فى بغداد إبان ازدهارها ، حيث آل إليها ميراث البصرة والكوفة ، حين مالت عنهما شمس الفكر والأدب . وانكسرت حدة المذاقفة العلمية ، والسباق الأدبى الذى كان بينهما . وقد كانتا - فيما مضى من زمانها مدة سنتين - متخالفتين مذهبا وطريقة ورجالا .

وكان أبو الفرج من أعيان أدباء بغداد ومشاهير علمائها وأهل الرواية بها . ويصفه التنوخى (ت ٤٤٧ هـ) بعبارة جامعة ، فيقول : (ومن الرواة الذين شاهدناهم أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني ، فإنه كان يحفظ من الشعر والأغاني ، والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ، ما لم أر قط من يحفظ مثله ، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ، ويحفظ دون ما يحفظ منها من علوم آخر ، منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازى ، ومن آلة المفادمة شيئا كثيرا ، مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك (٢))

وهذا الوصف يشعركنا بما اتسمت به المعركة عند

انظر

(١) أنباء الرواة : ٢٥١/٢ .
(٢) نفسه .

أبى الفرج من الطابع الموسوعي ، ذلك الطابع الذى انعكس بوضوح على كل ما صنع ، وفى مقدمة ذلك (الأغاني) ثم يليها تصانيف أخرى مثل : كتاب القيان ، وإلاماء الشواعر وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة الأطباء ، وأخبار جحظة البرمكى ، ومقاتل الطالبين (١) ، والخانات ، وأدب الغرباء (٢) .

كما ألغت مجموعة أخرى من كتب الأنساب ، تشهد كثرتها بسعة روايته فى هذا المجال الهام من مجالات (الأدب والتاريخ) ، وبيضا نسب عيد شمس ، وجمهرة بنى شيبان والمهالبة ونسب بنى كلاب (٣) .

الأغاني :

ولم يبق أحد من أمراء ذلك العصر الا اقتناه ليستغنى به عن سواه (٤) ، ومثلهم الصاحب بن عباد (٥) ، والحكم المستنصر (٦) ، وقد رتب المؤلف أبواب كتابه على مائة صوت من أصوات الغناء العربى الذى شاع على عصره ، كما ذكر لنا أبيات كل لحن ، وعين نغمها ، ومن غناها ، ثم استطرد إلى الترجمة للشاعر الذى نظم الأبيات .

وقد غدا الكتاب بفضل سعة روايته ، من أوفى المصادر

-
- (١) نشره عيسى الحلبى بتحقيق السيد أحمد صقر .
(٢) نشر أخيرا فى بيروت ، وذكر عنوانه الاصلى بروكلمان وهو (كشف الكربة فى وصف الغربة) بروكلمان : ٢٢٦/٣ .
(٣) بروكلمان : ٧١/٣ .
(٤) تاريخ ادب اللغة العربية : ٣٢٦/٢ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) جذوة المقتبس ص ١٣ وبغية الملتبس : ص ١٨ .

الأدبية في ذكر الشعراء وسائر الكتاب وأهل الغناء ، وكذلك الرواة ، وغيرهم ٢٠

هذا إلى ما ضمه من أيام العرب وأنسابهم ، وقبائلهم ، وبلدانهم وما رواه من آثار الجاهلية والإسلام ، ولا سيما ما كانوا يتقنون به ، هذا إلى آداب القوم في طعاعهم وشرابهم وحربهم وسلمهم وسائر أحوالهم .

مصادر الأغاني :

وأولها الرواية ، وعمدته فيها (رواة مرحلة الاتصال)
 مثل أبي بكر الصيرفي ، وابن دريد ونقطويه ، والأخفش
 ومحمد بن عبد العزيز الجوهري (٦) الذي روى عنه
 أبو الفرج مكاتبة ، وأبي بكر الجرجاني وقدامة بن جعفر ،
 وعبد الله بن هارون ، وابن طباطبا العلوي ، وأبي
 عبد الله الحكيمي .

والملاحظ أن هؤلاء الرواة الذين نقل أبو الفرج عنهم ، بعضهم معروف مشهور وبعضهم أقل حظاً من الشهرة ، هذا إلى تنوعهم بين الأخباريين ورواة الأشعار ، وعلماء البلاغة .

بالإضافة إلى أثر مذهبه في روايته ، الذي ينعكس على ظواهر من بينها رواته أنفسهم ، فهو مثلاً - يروي عن إسماعيل بن يونس الشيعي ، الذي يشاركه انتماءه المذهبي ، لأنه شيعي مثله (٢) .

وأبو الفرج - فى كثير من الحالات - لا يسلم تسليماً

(١) أغفلته كتب التراجم وذكره الصولي في الأوراق هي ٢٢٣ د
وهي سنة وفاته فقال : توفي أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، صاحب
عمر بن شبة لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، (وانظر الأوراق : ٦٤)
(٢) لم اعثر له على ترجمة ، وانظر الأغاني : ٤ / ٢٢٠ ، ٢٧٠ ، ٣٣٢
٣٣٣ ، ١٠٦ ، ٨٩ / ٥
٢٨٠ ، ١٧١ ، ١٦٤ / ٦

بالنقل والرواية ، وانما يقرن أسانيده بما يشعر بشكه ،
ويشئ بتجريح من روى عنهم ، أو على الأقل ، التوقف
فى قبول ما يروونه ، مثل قوله .

١ - أبيات خلط الرواة فى نسبتها : ورواه من لا يوثق
به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى (١) .

ب - وفى أبيات ينسبها أبو بكر الصونى الى
يحيى بن مروان : (وهذا غلط قبيح) (٢) .

ج - وفى أبيات تروى لابن البواب : وعلى أن الذى
رواها غلط فى روايتها غلطاً بيناً لأنها مشهورة . (٣)

أما المصدر الثانى الذى اعتمده الأصفهانى فهو الكتاب:
ومنها على سبيل المثال :

١٤٦ - الآداب الرفيعة لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ،
وهو من قريش الخليفة المعتضد ، ومن ذوى المكانة عنده
لثقافته فى فنى الغناء والموسيقى وطول باعه فى الشعر
والرواية وعلوم الأوائل وتوفى فى ٣٠٠ هـ وكتابه المتقدم
قد أثنى عليه صاحب الأغاني فقال : وهو فى النغم
والأغاني (٤) . وهو كتاب مشهور جليل الفائدة ، دال
على فضل مؤلفه (٥) .

(١) الأغاني : ٢٦ / ١٦ ، ٢٧ .

(٢) الأغاني : ١٤٩ / ٧ .

(٣) وانظر فى ترجمة تاريخ بغداد للخطيب : ٣٤ / ١٠ - ٢٤٤ .

(٤) وذكر ابن طاهر وكتابه المتقدم أيضاً بروكلمان : ٦٦ / ٣ .

(٥) الأغاني : ١٤٩ / ٧ .

(الشعر - ١٢)

ب - طبقات فحول الشعراء : وفي ثنايا الأغاني الكثير من الأسانيد اليه ، والواقع ان أخليفة الفضل بن الحباب كان قد روى كتاب (طبقات فحول الشعراء) عن مصنفه ابن سلام . ثم كتب الى أبي الفرج بكل ما رواه عن خاله : ابن سلام . كما كان قد كتب أبا الفرج بمرويات أخرى ، وأجاز أبا الفرج بالرواية عنه .

المصنف
محمود شاكر

ورأى ناشر (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام أن هذه الكتب لم تصل الى أبي الفرج الا بعد اعداد كثير من مادة كتاب (الأغاني) بدليل ان الأصفهاني ، لم يذكر ابن سلام ، ولا طبقاته في كثير من ترجم لهم (١) .

محمود

كما يوثق ناشر كتاب (طبقات فحول الشعراء) ، أبا الفرج في أكثر ما رواه في كتابه الأغاني نقلا عن طبقات ابن سلام ، ويرى أن أسانيد صاحب الأغاني عن أبي خليفة ~~بني سلام~~ ، إنما هي الى كتاب الطبقات نفسه لا غيره في أكثر ما بين أيدينا (٢) .

ج - على أنه من الكتب التي رجع إليها أبو الفرج كتب أخرى ، لا يتسع المجال لحصرها ، أو الحديث عن أكثرها فمنها : « البيان والتبيين » للجاحظ ، وديوان أغاني حكم الوادي ، ورسالة أبي الفرج الأصفهاني في علل النغم ، والتي نرجح تأثره فيها برسالة ابن طاهر « والروضة لأبي العباس المبرد وكتاب اثنيدس في الهندسة ، والأغاني الكبير لاسحاق الموصلي .

وهي مصادر يتضح فيها طابع التنوع ، وسعة الاطلاع ،

شاكر

(١) مقدمة الكبير لطبقات ابن سلام (ط دار المعارف) ص ٣٠ .
(٢) للرجع السابق .

وتعكس بوضوح غنى المكتبة الإسلامية ، في القرن الرابع ،
بالمراجع التي يسرت لأعلام وأهل الرواية سبيل التأليف .

ويبقى بعد ذلك نقطة أثارها ابن النديم ، وهي وثيقة
الصلة بمصادر أبي الفرج من الكتب ، فقد قال ابن النديم :
عن أبي الفرج (وله رواية يسيرة ، وأكثر تعوينه في
تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من
الأصول الجياد) (١) .

وفي قول ابن النديم ، في أوله ، ما يقلل من أهمية
الرواية في أغاني الأصفهاني ، ويقلل بالنسبة من شأن
أبي الفرج باعتباره راوية ، مادامت (روايته يسيرة) في
أكبر تفصنيفه ، وأكبر ما أثر عن القرن الرابع وما سواه
من كتب في الرواية .

والذي ينظر في كتاب الأغاني - متأنيا أو متعجلا -
يتضح له خلاف ما ادعى ابن النديم . وذلك من جملة وجوه
توجز أهمها فيما يلي :

أ - أن عدد الكتب التي رجع إليها أبو الفرج الأصفهاني
في أغانيه لا تزيد على خمسة وسبعين كتابا تقريبا ، وهو
عدد لا يتناسب مع حجم الكتاب ، وضخامة ما حواه من
المواد الأدبية والأخبارية . إذن فلا بد أن يكون معتمده
أساسا على الرواية ، وليس على النقل من الكتب .

ب - أن نقوله من الكتب ، ليست دائما بطريق النقل
المباشر ، فقد تقع بطريق الرواية وقد سبق ذكر ذلك فيما

(١) الفهرست : إلى ١٦٦ ، ١٦٧ ، ووردت عبارة (ع الكتب
المنسوبة) مصحفة إلى (الكتب المنسوبة) وذلك في الطبعة التي رجعت
إليها وهي طبعة التجارية .

(٥٩)

يتعلق بكتاب (طبقات الشعراء) لابن سلام . الذي (٥٩)
أبو الفرج موانه بطريق (المكاتب) عن الفضل
ابن الحباب ابن أخت ابن سلام .

ج - الأسانيد ، وذكره الرواة في ثنايا الكتاب ، فهو
يلتزم الأسناد التزاما لا إخلال فيه ، موثقا بذلك مروياته
التي وقعت له - في الأعم الأغلب - بطريق الرواية .

وكثيرا ما يلجأ أبو الفرج الى رواية الأثر الواحد من
طرق متعددة ، مع المقارنة بينها ضعفا وقوة ، (١) كما ينص
على ما قد يكون في الإسناد من انقطاع ، ملقيا بذلك ظلالا
من الشك على ما يروييه (٢) ، فإذا روى الأثر عن لم يسنده ،
نص أيضا بمثل قوله (حدثني . . . ولم يسنده) (٣) .

ء - أستبعد أن يكون كتاب (طبقات فحول الشعراء)
وحده هو كل ما وقع لأبي الفرج من طريق الرواية ، بل
أرجح أن تكون سائر الكتب التي رجع إليها ، قد وقعت أيضا
بطريق الرواية . إذ كانت هذه عادة أهل عصره ، فمن
المستبعد عن مثل أبي الفرج أن يشذ أو يخرج عن المألوف ،
هذا إلى أنه مع نقوله عن الكتب ، نراه يقرن هذا النقل
بالإسناد ، مما يقوى من هذا الترجيح (٤) .

وفيما نواصل بحثه من ظواهر الرواية عند صاحب

(١) الأغاني (ط دار الكتب) : ٢/٤٠٢٢٤ ، ٢٧٢/٢٧ ، ٢٧/١٢ .

(٢) الأغاني (دار الكتب) : ٢/٣٤٨ ، ٢٦٥/١٢ .

(٣) انظر - مثلا - ٣/٣١٤ (ولاحظ أن الطبعة التي رجعنا إليها من
كتاب الأغاني هي (دار الكتب) فقط .

(٤) 'أغاني : ٩/١٣ هـ ، ٥٢/١٤ ، ٤٠/١٦ .

الأغاني قرائن ترد زعم (الرواية اليسيرة) الذي ادعاه ابن النديم على صاحب الأغاني *

معاييره النقدية : وأهمها :

المعيار الأول - الرجوع الى الكتب : سواء كانت دواوين شعرية ، أو تاريخية ، أو غير ذلك ، ويأتى الاعتماد على دواوين الشعراء ، اذا كان فى مقام توثيق أو تحقيق لأثر شعرى لرفضه أو قبوله *

من قبيل ذلك على سبيل المثال :

١ - عند روايته أخبارا وأثارا لدريد بن الصمة يقول :
(هذه الأخبار التى ذكرتها عن ابن الكلبي مريضوعة كلها ، والتوليد بيّن فيها ، وفى أشعارها ، وما رأيت شيئا فى ديوان دُرَيْد بن الصَّمَّة على سائر الروايات) (١) *

ب - أبيات نسبها يحيى بن على ابن الأعشى ، وقد رد أبو الفرج هذه النسبة ، وقال : (الشعر لابن المولى ، وذكر يحيى بن على ٠٠ أن الشعر للأعشى ٠٠ وذلك غلط ، وقد التمسناه فى شعر كل أعشى ذكر فى شعراء العرب ، فلم نجده ، ولا رواه لأحد منهم ، وجدناه فى شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيدة (٢) *

ج - قصيدة نسبها الرواة لابن هرمة ، وقد رد ذلك بقوله : (ولم أجد هذه القصيدة فى شعر ابن هرمة) (٣)

(١) الأغاني : ١٠ / ١٨٠ *

(٢) الأغاني : ٤ / ٣٧٨ *

(٣) الأغاني : ٤ / ٣٧٨ *

ولا يتورط أبو الفرج الأصفهاني في إصدار أحكام حين لا يسعفه الدليل ، أو يسنده الشاهد ، وإنما يتحفظ حتى لا يسوقه الاندفاع إلى اللوم والمؤاخذه ، من ذلك أبيات يرويها الرواة لعنترة ، فيعلق عليها بقوله : (وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة ، ولعله من رواية لم تنقل إلينا) . إلا أن البيت الأخير اعنترة صحيح لا يشك فيه (١) .

والملاحظ في رجوع أبي الفرج إلى الدواوين الشعرية ، أنه - في كثير من الأحيان - ترد إشاراته إلى الدواوين لتصحيح الروايات أو توثيقها لتكون صورة من صور الجهد العلمي المخلص ، والذي يرقى إلى الاستقصاء والاستقراء التامين ، مثل إشارته إلى الرجوع لشعر كل أعشى (٢) ، وشعر المرتشدين جميعاً . . (٣) .

المعيار الثاني - التاريخ : وهو المعيار الثاني من معايير أبي الفرج النقدية . وأبي الفرج من المهتمين بالتاريخ . واهتمامه به ، وفهمه لقضاياها ، ومسائله ، أعانه على التصديق والتحقيق .

فهو على «سبيل المثال يرفض خبراً يجمع بين الرشيد وواحد آخر لم يدركه ، يناقش الخبر ، ويوجه احتمالاته (٤) .

ويرد خبراً آخر رواه مصعب ، خلط فيه بين قيس بن شماس وقيس بن الحطيم بقوله : (وأحسب هذا غلطاً من مصعب ، وأن صاحب هذه القصة قيس بن شماس ، وأما

(٢) مضى ذلك .

(١) : ٢٣٥ / ٨ .

(٣) الأغاني : ٩ / ٦ .

(٤) الأغاني ٣١ / ٦ .

قيس بن الحطيم ، فقتل قبل الهجرة (١) .

المعيار الثالث : سبق أن أشرنا الى اهتمام أبي الفرج بوصف أسانيده من حيث الضعف والقوة ، ومن حيث الانقطاع والاتصال . ونضيف هنا اشارات الأصفهاني الى الرواة ، وقد مضى احداها بشأن ابن الكلبي ، ونحاول هنا أن نوضح أبعاد موقفه ونظريته من أكثر الرواة استهدافا لتجريحاته ، وهو ابن خرداذبة ، الذي تقدم الحديث عنه بإيجاز : فهو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد ابن خرداذبة ، وكان أحد ندماء الخليفة ، المعتمد (٢) ، والذي يستشف من أخباره أنه كان شغرفا بالمنادمة واللهو . وإذا عرفنا أن خرداذبة كان من ندماء الخليفة ، استطعنا أن نتعرف على شيء هام في حياة ذلك الرجل الذي ضمنت المراجع // بأخبار مستفيضة عنه وكانت وفاته ٣٠٠ هـ .

وأهم ما تركه ابن خرداذبة من كتب هو كتابه في الجغرافية : المسالك والممالك (٣) ، وهو أحد المراجع الهامة في أحوال الأقاليم وكان ثمرة نضج علم الجغرافيا لدى المسلمين في القرن الثالث الهجري (٤) ، وقد ظهر هذا الكتاب حوالي ٢٣٢ هـ ، واعتمد مؤلفه على كثير مما كتبه

(١) الأعمى : ١٠/٣ .
(٢) أحمد بن علي بن لتوكل بن المعتصم ولد ٢٣١ هـ وبويع له بالخلافة ٢٥٦ هـ وتوفي ٢٧٦ هـ ، وكان منصرفا عن أمور الدولة الى اللهو وأحاديث الغناء (محمد الخضري : الدولة العباسية : ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٣١٤) .
(٣) نشرته مكتبة المثنى ببغداد وطبعه المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بطريقة الفوتو أوفست .
(٤) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية القرن الرابع الهجري ٦/٢ .

بطليموس في بيان حدود الأرض ومسالكها (١) على أن سائر كتب ابن خرداذبة تنقسم بالتنوع مما يعكس طابعه الثقافي ، ويعكس بالتالي مفهوم (الثقافة) الذي ساد الفكر العربي خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة .

فإن ابن خرداذبة له من الكتب : كتاب في (أدب السماع) (٢) وكتاب آخر في (الندماء والجلساء) (٣) وكذلك كتاب (اللهو والملاهي) (٤) ، هذا إلى كتاب (الشراب) (٥) وكتاب في الأنواء ، وآخر في الطببخ (٦) .

وهذه العناوين لكتبه التي احتفظ لنا ابن النديم بها ، تؤكد بشكل واضح ثقافة ابن خرداذبة المتنوعة باعتباره نديما ، كما تكشف التشابه الواضح بين تكوينه الثقافي ، وتكوين أبي الفرج ، فيأتي ذلك سببا من جملة أسباب جعلت أبا الفرج يقبل على قراءة كتبه .

أما عن موقف أبي الفرج من (ابن خرداذبة) في أكثر المواضع ، فهو موقف الرقض الذي ينبع من تشككه أو تكذيبه لابن خرداذبة .

١ - فحينما يصفه بأنه (قليل التصحيح لما يرويه ، ويضمنه

(١) نفس المرجع .

(٢) الفهرست : ٢١٣ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه .

(٧) وانظر في موضوع الندامة والندماء .

الجاحظ : التاج (ط الأميرية ببغداد) ففيه كلام مفيد للعناية حول ثقافة الندماء .

كتبه ٠٠ (١) فيأتى وصفه له اتهاماً بعدم التحقيق .
ب - وحينما يصفه بالشذوذ فى الرواية ، والانفراد بما لم يروه سواه كقوله :

(لم يروه أحد سوى ابن خرداذبة وإنما جاء به مجازفة (٢)) .

ج - أو يروى عنه بلفظ (زعم ابن خرداذبة) (٣) .
د - أو بقوله (وذكر ابن خرداذبة ٠٠ وليس ممن يعتمد على قوله) (٤) .

من هنا نستطيع أن نقف على رأى أبى الفرج من ابن خرداذبة ، وهو موقف أساسه التشكيك والتجريح . ولا نحسبه موقفاً مبعثه الهوى ، بل مبعثه خدمة الحقيقة ، والموضوعية فى تحصيلها . ولا أدل على هذا من أن أبا الفرج فى بعض المواقف يأخذ بما قاله ابن خرداذبة دون تجريح أو طعن . وذلك إذا صح لأبى الفرج مظان أخرى موثوق بروايتها إلى جانب ابن خرداذبة (١) ، هذا إلى أن أبا الفرج لم يكن معاصراً لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ) ، فلم يكن أبو الفرج فى سن تسمح له بلقائه أو التعرف عليه . ولو تعاصرا ، لكان هناك شبهة التحامل التى تكون - عادة - بين الأقران المتعاصرين . هذا حين نأخذ بقاعدة أهل الحديث (المعاصرة حجاب) (٦) .

-
- (١) الأغانى : ٣٦/١ وفى موضع قليل التحصيل : ١٥٦/٥ .
(٢) الأغانى : ٣٦/١ .
(٣) الأغانى : ٧٦١/٦ .
(٤) الأغانى : ٢٣٦/٨ .
(٥) انظر مثلاً : الأغانى : الأغانى : ٢٩٤/٦ ، ٣٢١/٨ ، ٢٥/١٥ .
(٦) أى تحجب حسنات العالم عن قرئانه .

فإذا ما أضفنا إلى ما تقدم ، ما نلاحظه من موقف أبي العلاء المعري (١) - وهو ما سوف نعرض له - من طعن على ابن خرداذبة وتشكك فيه ، أمكننا أن تؤكد موضوعية بواعث أبي الفرج وبعدها عن الهوى . على أن موقف أبي الفرج من ابن خرداذبة لم يكن خاصا بابن خرداذبة وحده ، فقد كان هذا دأبه كلما بدت له بوادر الريية ، أو لاحت له لوائح الشك ، كان ذلك موقف أبي الفرج من (ابن الكلبي) (٢) مثلا ، بل من بعض شيوخه الذين روى عنهم واعتمد على قولهم ، مثل ، أبي بكر الصولي (٣) .

أما المعيار الرابع والأخير عند أبي الفرج الأصفهاني ، فهو (مسألة العلماء) وذلك حين لا توافيه سائر المصادر بالرأي الزاجح . كقوله :

- ١ - وجدت في كتاب (أبي عمرو الشيباني) تعرضته على أبي داود فعرفه أو عامته (٤) .
 - ب - رأيت علماءنا جميعا لا يشكون في أن أحسن ما يروى (٥) .
 - ج - عرضته فلم أجد أحدا يعرفه (٦) .
- وبعد فليست هذه كل معايير أبي الفرج ، وإن كانت من

(١) رسالة الغفران : ٥٠٦ .
 (٢) هشام بن محمد الصائبي الكلبي أحد رواة الأخييار وصاحب كتاب (الأصنام) و (أنساب الخيل) (ت ٢٠٤ هـ) .
 راجع أيضا تجريده في الأغاني : ١٩٥/١٢ ، ٤٠/١٠ ، ٢٠٤/١٠ ، ٣٤/١٢ ، ٧١/٩ . (ط دار الكتب) .
 (٣) انظر الأغاني : ١٢ : ٧٩/١٢ ، ٣٠٥/٩ . (ط دار الكتب) .
 وانظر رأي ياقوت الحموي في هشام الكلبي في كتابه (معجم البلدان) ١٥٨/٢ .
 (٤) الأغاني : ٣٣٥/٢ .
 (٥) نفس المرجع .
 (٦) المرجع السابق .

أهمها وأظهرها بين سائر معاييرها ، والتي من بينها المقياس الفني (١) ، الذى يدل على بصر أبى الفرغ بالخصائص العامة لأثار الشاعر ، وهو ما اصطلح على تسميته لدى العلماء المحدثين بالنقد الداخلى للنص . كما اصطلح على تسميتهم النقد الخاص بالمصادر من أسانيد ونحوها باسم (النقد الخارجى) (٢) .

ولا ينبغي ان نختتم حديثنا عن المعايير النقدية لدى صاحب الأغاني قبل ان نشير الى نقطتين ذراعهما مكملتين للصورة :

الاولى . . اثارته العديدة لقضية الانتحال والتفاته الى بعض دواعيه ، مثل تخليط أهل الغناء فى الاشعار اثناء تأديتهم لها .

وقد سبقنا الاشارة الى ذلك ، والثانية المساحة فى الاشارة الى كثرة وقوع الانتحال فى شعر المجنون .

الشعراء والرواية :

ونحاول هنا ان نكشف عن جانبين :

الأول : دور الرواية فى اذاعة ونشر آثار شعراء القرن الرابع ، وبخاصة الفحول منهم .

الثانى : دور الشعراء وتقاليدهم فى توجيه الرواية ، أو تجميعهم ، أو التعامل معهم بأى صورة من صور

(١) الأغاني : ٢٥٦/٦ .

(٢) وانظر نموذجاً لاستخدام النقد الخارجى ، والنقد الداخلى فى : الدكتور يوسف خليل : الشعراء الصعاليك (ط دار المعارف) ص ١٧١ . وانظر بحثنا للماجستير : ص ٧٩ وما بعدها .

التعامل . هذا بالإضافة الى اشتغال الشعراء انفسهم برواية الآثار الشعرية ، وما أحدثه ذلك من وعى بالرواية ، انعكس على اذاعتهم أشعارهم ، وتعهدهم آثارهم .
والنموذج الذى نختاره للدراسة هنا هو أبو الطيب المتنبى .

المتنبى والرواية :

كانت آثار المتنبى فى القرن الرابع عاملا هاما فى تحريك الحياة الأدبية ، وتنشيط الرواية ، فالمتنبى هو الشاعر الذى ملأ الدنيا وشغل الناس .
ولقد كان المتنبى نفسه راوية للشعر ، حتى وصفه الخالديان بقولهما (وكان أبو الطيب المتنبى كثير الرواية جيد النقد) (١) .

كما وصف المتنبى بأنه (كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها) (٢) وبأنه (لا يسأل عن شيء الا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل ان الشيخ أبا على الفارسى قال له يوما : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقال له المتنبى فى الحال (حجلى . وظربى) .
قال الشيخ أبو على : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال ، على أن أجد لها ثالثا ، فلم أجد (٣) .

(١) الشيخ يوسف البديعى (ت ١٠٧٣ هـ) : الصبح المنبى عن حيثبة المتنبى (ط دار المعارف ص ٤٢ ، والخالديان : أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد أبنا هاشم الخالديان ، شاعرا البصرة وراويتها . من شعراء سيف الدولة فى حلب . توفى أبو عثمان سنة ٢٧١ هـ وشقيقه أبو بكر سنة ٢٧٢ هـ)
(٢) الصبح المنبى : ص ١٤٣ .
(٣) الصبح المنبى : ص ١٤٣ .

وكان المتنبي راوية لأثار أبي تمام . لهذا فنحن نشك في بعض عبارات وردت في الرسالة الحاتمية ، تزعم أن المتنبي كان يستخف بأبي تمام ، بل ورد على لسانه - فيها - أنه قال : (أقسمت غير محرج في قسمي أنني لم اقرأ شعرا قط لأبي تمامكم) فقال المتنبي للحاتمي : (السوء قراءة شعر مثله - (٣) فقال له الحاتمي - زعما - (هذه سوء لو سترتها كان أولى) فقال المتنبي للحاتمي : (السوء قراءة شعر مثله (١) .

نقول : نحن نشك فيما زعمه الحاتمي ، بل نتجاوز الشك إلى التكذيب ، وسندنا في ذلك :

١ - أنه ليس من المعقول أن يكون شاعر قد كالمتنبي قد استنكف رواية شعر أبي تمام الذي كانت حماسته وأثاره مشغلة أهل عصره ، وكل عصر ، كما سوف نوضح ، وكما سبق أن اتضح لنا من خلال حديثنا عن الصولي ، ومن خلال (ثبت الكتب المختصة بأخبار الشعراء الذي أوردناه من قبل)

٢ - ما ورد من أن المتنبي سمع بيتا منسوباً لسيف الدولة فقال :

(هذا يشبه قول أبي تمام) ، وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى . يقول الخالديان راوية الخبر :

(فقلنا : قد سررنا لأبي تمام إذ عرفت شعره ، فقال : أو يجوز للأديب إلا يعرف شعر أبي تمام ، وهو أستاذ كل

(١) الرسالة الحاتمية ٢٦٤ (طدار المعارف ملحقه بالآنا عن سرقات المتنبي للعمري (ت ٤٣٢ هـ) والخاتمي هو محمد بن الحسن بن تلاميد ابن دريد كان شاعرا وراوية (ت ٣٨٨ هـ) .
وانظر أيضا - الصريح المنهني : ٢٨ - ١٤٢ .

من قال الشعر بعده فقلنا : قد قيل انك تقول كيت وكيت ،
فانكر ذلك . وما زال - بعد ذلك - اذ التقينا ينشدنا بدائع
أبي تمام ، وكان يروى جميع شعره (١)

٣ - مارواه البيهقي عن يثيق به من (أنه لما قتل المتنبي
وجد معه ديوانا أبي تمام والبحترى بخطه ، وعلى حواشي
الأوراق علامة كل بيت أخذ معناه وسلخه (٢) وأما عن
رواية المتنبي بصفة عامة ، فقد كان دؤبا على الحفظ ، حقا
بالاستظهار على عادة رواة عصره ، وأدبائه ، ومما روى
بشأن قوة حافظته ، قول أحد الوراقين : (ما رأيت أحفظ من
ابن عيدان قط) ، أي المتنبي ، وكان ذلك مما نودي به .

ثم يستطرد راوى الخبر قائلا : (كان اليوم عندي ، وقد
أحضر رجل كتابا نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ
(ابن عيدان) ينظر فيه طويلا . فقال له الرجل : يا هذا ،
أريد بيعه ، وقد قطعتنى عن ذلك ، فإذا كنت تريد حفظه ،
فهذا يكون - إن شاء الله - بعد شهر) فقال المتنبي له .

(فإن كنت حفظته فى هذه المدة ، فمالى عليك ؟) (٣)

قال : (أهب لك الكتاب) قال (فأخذت الدقتر من يده ،
فأقبل يتلوه حتى انتهى الى آخره) (٤) .

(١) الصبح المنبى : ١٤٣ .

(٢) الصبح المنبى : ١٨٦ .

(٣) الصبح المنبى : ١٨٦ .

(٤) الصبح المنبى : ص ٢١٢ ، وابن عيدان ، هكذا بالباء المضاف
التحتية ، لقب المتنبي ، وعيدان أبوه ، وكان يعرف بعيدان السقا ،
وصحفه جورجى زيدان الى (عيدان) بالباء المفردة التحتية ، وانظر
(تاج العروس) مادة (ع - و) .
وانظر : تاريخ اداب اللغة العربية : ٢٨٥/٢ .

ومهما يكن في الخبر من دلائل المبالغة ، فهو لا يفسد مغزاه وإشارته الى ما كان يتمتع به أبو الطيب من داكرة قوية . وهو أمر لو لم نجد عليه الشاهد والدليل لكان علينا أن ندركه بداهة بالنسبة لكل شاعر آنذاك ، ثم يناخذ الأمر ويقوى حين يكون ذلك الشاعر ، هو المتنبي . وبخاصة لو علمنا أن المتنبي كانت توافيه آثار شعراء الغرب الاسلامي ، ومن بينهم ابن عبده ربه ، وأن المتنبي كان يسائل عنه رواة الاندلس المسلمين على الشرق ، ويستشدهم أشعاره .

إذا ما علمنا ذلك كله زدنا يقينا بشغف المتنبي بالرواية ، واحتفائه بها (١) . كما كان المتنبي ينتهج طريق الرواية في اذاعة آثاره يدلنا على ذلك ما ذكره الحاتمي في رسالته ، من أنه حين ذهب الى المتنبي ليحاوره ، ألقى عنده (فتية هناك تأخذ عنه شيئا من شعره) (٢) . على أن قريبا كبيرا من الرواة ، كانوا على اتصال وثيق بالمتنبي ، وبعضهم كانوا من أهل الاندلس (٣) ، وفيما يلي تعريف بجهود أهمهم :

١ - ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي ، تلمذ على أبي علي الفارسي ، حيث لازمه أربعين عاما (٤) ، بل انه لما مات أبو علي الفارسي ، تصدر ابن جنى في مكانه في بغداد ، وأخذ عنه جمع كبير من العلماء (٥) .

(١) نفح الطيب : ١٠٤/٥ .

(٢) وفيات الأعيان : ٤٨٤/٣ .

(٣) انظر أمثلة من ذلك في : نفح الطيب : ٢٨/٤ ، ٤٢١/٣ .

شذرات الذهب : ٧٥/٥ عام ٥٢٥ هـ .

(٤) بغية الوعاة : ١٢٢/٢ .

(٥) بغية الوعاة : ١٢٢/٢ .

وتدل بعض الأخبار على أن ابن جنى كان فى بداية أمره (يحضر عند المتنبي ويناظره فى شىء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أنفة وأكباراً لنفسه) (١) .

ومع ذلك يطالعنا خبر آخر ، يجعلنا على حذر من قبول الخبر الأول ، وهو أن المتنبي مع ما كان يراه من انصراف ابن جنى عنه ، وأنفته أن يروى شعره ، كان يقول عن ابن جنى : (هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس) (٢) ، ومبعث حذرنا فى قبول هذا القول ، ونوقفنا عن تصديق سابقه ، ما نعلمه من أن ابن جنى كان من أوثق العلماء صلة بأبى الطيب ، وأقبلهم على رواية شعره ، حتى قال صاحب (دمية القصر) نفسه عن ابن جنى (أنه كشف الغطاء عن شعر المتنبي) (٣) .

ولقد بلغت عناية ابن جنى برواية آثار المتنبي حدا جعلته يقرأ ديوان المتنبي عليه ، ويرويه عنه رواية جيدة ، حتى استحق شهادة الشاعر له بقوله : (ابن جنى أعرف بشعرى منى) (٤) .

ومن دلائل هذه العناية أيضاً أن ابن جنى قام بشرح ديوان أبى الطيب مرتين (٥) .

(١) الياخرزى : دمية القصر : ٢٩٧ .

(٢) دمية القصر : ص ٢٩٧ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) شذرات الذهب : ١٤/٣ .

(٥) دمية القصر : ٢٩٧/٣ . وانظر الخلاف حول سب اللقب فى

(بروكلمان : ٨٢/٢) .

وانظر - أيضاً - بعض أسانيد ابن جنى فى مرويته عن المتنبي فى

(بيت الدهر : ١١٤/١) (والصبح المنبى : ٢٨٨) .

بل أن ابن جنى قد انفرد برواية بعض أخبار أبي الطيب
ومن بينها قوله (سمعت أبا الطيب يقول : انى لقبت
المتنبى لقولى :

أنا ترب الندى ورب القوافى

وسمام العدو وغيظ الحسود

ب - على بن حمزة البصرى (٣٧٥ هـ) (١) : ويمثل
البصرى رواية من أهم رواة المتنبى . فقد حل أبو الطيب
ضييفا عليه أثناء مقامه فى بغداد ، وأقام عنده عاما كاملا ،
مما مكنته من رواية آثاره وأخباره (٢) .

لكن على الرغم من العلاقة المباشرة بين الشاعر وعلى
ابن حمزة ، فإن بعض الأسانيد توقفنا على أن بعض روايات
البصرى تأتي عن ابن جنى (٣) .
وأهمية رواية البصرى لآثار المتنبى ، تبدو فى كونه قد
أتاح لآثار الشاعر أن تضيع ، ولقوافيه أن تشرذع عبر آماد
المسافة ، فى كل من العراق وصقلية والأندلس (٤) .
فأما العراق ، فلأنه موطن البصرى ، وأبى طيب ، تنبى
على السواء (٥) ، وأما صقلية ، فلأن البصرى كان قد انتقل
إليها ، وأقام بها الى حين وفاته فى سنة ٣٧٥ هـ (٦) .

(١) أبو القاسم على بن حمزة من علماء الأدب ورواته - وانظر
(معجم الأدباء : ٢٠٣/٥)
(٢) معجم الأدباء : ٢٠٢/٢ ، ٢٠٣ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) بغية الملتزم رقم : ٦٢٥
(٥) ولد المتنبى فى الكوفة وقضى بالشام شبابه (يتيمة الدهر :
٧٨/١ - ١٦٢) .
(٦) فهرست ما رواه عن شيوخه ابن خير الاشيبلى : ٤٠٤ .
(الشعر - ١٣)

وأما الأندلس ، فبحكم صلاتها بصقلية من جهة ، ثم عن طريق الرحالة الذين كانوا يقدون الى العراق وغيره من أسقاع المشرق للرواية والأخذ .

١ - أبو على صالح بن رشيد بن (١) :

ذكره صاحب اليتيمة في شعراء مصر والمغرب . قال :

(صاحب المتنبي وروى شعره) (٢) .

وقد كان ابن رشيد بن أحد شعراء مصر ورواتها ذكره الثعالبي في قسم : (شعراء المغرب ومصر) من جهة ، ولأننا من جهة أخرى نعترف في كتاب التكملة لابن الأبار في ترجمة لابن عبد البر على قوله : (سمع شعر المتنبي بمصر من صالح بن إبراهيم ابن رشيد بن) (٣) .

ويعنى هذا أن ابن رشيد بن قد روى شعر المتنبي أثناء وجود أبي الطيب بمصر .

وعدا من قدمنا له ذكرنا من (رواة المتنبي) ، نجد اشارات في ثنايا المصادر لطائفة أخرى من الرواة منهم عبد الله بن محمد بن أبي الجوع ، وكان أحد رواة المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء (٤) ، وهو ممن روى عنه

(١) ذكره صاحب اليتيمة في سطر ونصف السطر فقط ، ووصفه بأنه أحد أئمة الكتاب المهرة في سائر الآداب . وذكر له طائفة من شعره ولم يذكر له تاريخ مولد أو .

(٢) يتيمة الدهر : ٣٥٧/١ .

(٣) ولاحظ أن ابن رشيد بن (إبراهيم) زيادة على ما في اليتيمة .

(٤) - وصفه صاحب اليتيمة بأنه ممن تدهر في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب . وانظر : (اليتيمة : ١ / ٣٥٢) .

بمصر (١) ، ومحمد بن أحمد المغربي راوية المتنبي الذي ألف رسالة (الانتصار المتنبي عن فضائل المتنبي) يرد فيها تهمة السرقة (٢) .

البيغاء (ت ٣٩٨ هـ) :

وهو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي ، لقب البيغاء للثقة كانت في لسانه ، وهو أحد الشعراء الذين اجتمعوا في بلاط الحمدانيين في حلب ، حيث غادرها بعد ذلك عندما توفي سيف الدولة الحمداني (٧) .

وتبدو أهمية البيغاء في رواية آثار أبي الطيب ، في كونه أحد المطلعين على دفاتن أحواله وأخباره ، حتى أثر عن البيغاء قوله : (كان أبو الطيب المتنبي يأنس بي ، ويشكو عندي سيف الدولة ، ويأمنني على غيبته له ، فكانت الحال بيني وبينه صافية عامرة دون باقى الشعراء ، وكان سيف الدولة يفتاظ من تعاضله وتغاضيه ، ويجفر عليه إذا كلمه ، والمتنبي يجيبه في أكثر الاوقات ، ويتغاضى في بعضها (٤) .

ولهذا فنحن نتوقع أن يكون البيغاء أقدر رواة المتنبي على

(١) - بغية الوعاة : ٢ / ٥٤ - وصفه السيوطي بالتحوي الأنيب الوراق المصري وجعل تاريخ وفاته ٣٩٥ هـ ، كما نقل عن السقدي أنه كان محققا للغة والتحرر والبلاغة . . . جيد الخط مقلع الخسيط .
وانظر في رواية المتنبي أيضا بغية الوعاة ٢ / ٩٦ . وانتهاء الرواة : ٢ / ١١٦ .
(٢) - معجم الأدباء ٣ / ١٠٤ ، ٢٢٤ / ٦ - ٢٢٧ .
(٣) - وانظر يتيمة الدهر : ١ / ١٧٣ - ٢٠٥ .
(٤) - انهاء الرواة ٢ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، وانظر الرواية ذاتها وخيرا مماثلا في الصبح المتنبي : ٩٢ ، ٩٣ .

رواية دفائن أخباره ، مما قد يعز على غيره الوصول إليها ،
لأنها من قبيل الخصوصيات التي أثر المتنبي بها صديقه ،
واختصه بها دون غيره من رفقاءه وذوى مودته .

وبعد فتلک أضواء على رواية آثار المتنبي نتبين منها :

- ١ - أن نشاط الرواية لآثار الشعراء قائم في عتفوانه .
- ٢ - أن تقلید الرواة المصاحبين للشعراء الذي عرفناه
في الجاهلية والقرون الثلاثة الأولى للهجرة ما زال ملتزما .

الفصل الرابع

البلاغيون والرواية الشعرية

لعب البلاغيون دوراً هاماً في رواية الأثر الأدبية قبل القرن الرابع : شهدنا ذلك في جهود ابن سلام والجاحظ ، وغيرهم : أولئك الذين أسهموا في وضع علم البلاغة العربية ، وكانوا في الوقت ذاته من أئمة الرواة . ويعزى لابن سلام بالذات ، الفضل في إثارته للانتحال ، ومناقشته للأثر من حيث كونها منتحلة ، وعنايته بتوثيق مروياته (١) .

على أن القرن الرابع قد نضجت فيه علوم البلاغة العربية مع ما نضج من العلوم الأخرى ، وذلك بفضل أمثال : قدامة بن جعفر ، وأبي هلال العسكري ، والمرزباني والآمدی ، وابن طباطبا العلوي ، والقاضي الجرجاني . ومن دلائل العلاقة بين البلاغة والرواية ، الالتقاء بينهما على قضية الانتحال : فالبلاغيون يتحدثون عن (السرقات الشعرية ويتناولون القضية من جهة (اللفظ والمعنى) ، فالسرقة - عندهم - قد تقتصر على اللفظ ، وقد تقتصر على المعنى دون اللفظ أما الرواة ، فعند حديثهم عن الانتحال لا يعنيتهم سرقة المعنى دون اللفظ لأن السرقة - عندهم - تتجه إلى اللفظ ، أي إلى النص الشعري ذاته ، أما موضوع

(١) وانظر دراسة مفصلة ، أحدهما عن الجاحظ ، والاخرى عن ابن سلام في رسالتنا للماجستير .

« المعنى » ، فيقع فى دائرة عناية أهل البلاغة وحدهم .

والبلاغيون ، فى حديثهم عن السرقة الشعرية ، يلتفتون لأقل وجوه التشابه بين النصين ، ولو كان جزءا من بيت ، أما الرواة ، فالانتحال - لديهم - يعتبر (البيت من الشعر) هو الحد الأدنى من السرقة ولا ينظرون الى ما دون ذلك .

ثمة فارق أخيرا بين السرقة ، فى مصطلح البلاغيين والانتحال ، فى مفهوم أهل الرواية . فالبلاغيون يدخلون فى دائرة السرقة كل تشابه فى المعنى أو فى اللفظ ، أو فيهما معا ، سواء كان هذا التشابه عن سرقة مقصودة متعمدة ، أو عن توارد فى الخواطر ، ليس الا ، كما أن السرقة أمر يتصل بالشاعر وحده (١) .

أما عند أهل الرواية ، فإن الانتحال - غالبا - ما يكون عن سوء نية من جهة الشاعر ، حين يسطر على بيت واحد ، أو على قصيدة بأكملها ، ثم هو مريض لا يتصل بالشاعر وحده ، وإنما يتصل بالشاعر ، وبالرواية أيضا . فكما يسرق الشاعر نصوص سواه ويدعيها ، فكذلك قد يخلط الراوية فى الشعر ، ويغلط فى نسبته ، ولهذا ميز الرواة بين الانتحال والنحل : فالأول ادعاء الشاعر ، والثانى غلط ، أو افساد متعمد من الرواية .

ولهذا لاحظنا عند دراستنا لهذه الظاهرة وجوب أن نتناول الشاعر والرواية ، وهما طرفان أساسيان فى القضية .

وإذا كنا في حديثنا عن (معايير النقد العلمي) قد تناولنا (المعيار الفني) فيجب الالتفات الى أن هذا المعيار مشترك بين الرواية والبلاغة ، بل ويعقد أصرة العلاقة بينهما ، لأن هذا المعيار ليس الا أثرا للحاسة الفنية التي تتوجه البلاغة - أساسا - اليها لصقلها وتنميتها .

فإذا أردنا التخصيص في ضوء الواقع التاريخي للقرن الرابع ، لاحظنا ما يلي :

١ - موضوع السرقات - الذي هو من الموضوعات الوثيقة الصلة بمباحث أهل الرواية ، قد كثر التأليف فيه في القرن الرابع بالذات كثرة لم نلقها فيما قبله من القرون الثلاثة الأولى (١) .

ولم يقف الأمر عند حد التأليف في موضوع السرقات بل نجد كتب البلاغة في هذا القرن تلتفت في وضوح الى ظاهرة الانتحال ، وتزخر بشكل واضح بإشارات الى الأبيات المنتحلة ، وتصحيح النسبة (٢)

وتأتي بعض هذه الاشارات على شكل قضايا عامة مثل : (ويقال أن كثيرا من شعراء امرئ القيس ليس له ، وإنما هو لفتيان كانوا يكونون معه مثل عمرو بن قميئة وغيره) (٣) .

(١) وانظر : محمد مصطفى هدارة : مقدمته لكتاب سرقات أبي نواس لمجاهل بن يموت : ص ٨ . وانظر : معجم الأدباء : ٢/٢٤٠ والفهرست : ١٦١ .

(٢) الموشح : ٤٦٥ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٥٠٦ - ٥٥٥ .

(٣) الموشح : ص ٣٧ في موضعين بنظم الصفحة .

٢ - أن المؤلفين في البلاغة كانوا من أهل الرواية والتحقيق . فالمرزباني صاحب الموشح - مثلاً - كان من أئمة الرواة في القرن الرابع الهجري ، وقد وصفه ابن النديم بقوله : (آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين . راوية صادق اللهجة ، واسع المعرفة كثير السماع) بقوله (راوية مكثرة) (٢) ، وبأنه كثير (المشايخ) (٣) . وتصانيفه شاهد : روايته الواسعة ، سواء في عناوينها ، أو في عددها كما أن شيوخ المرزباني هم شيوخ (مرحلة الاتصال) (٤) وفي مقدمتهم أبو بكر الصولي وابن دريد والأخفش ، ومحمد بن أبي الأزهر مستملى المبرد .

٣ - رأينا من أئمة البلاغيين في القرن الرابع الهجري ، من يعنى عناية واضحة ببيان العلاقة بين البلاغة والرواية) ، وذلك عند التعرض لقضية (الابداع الشعري ومقوماته) . فالقاضي الجرجاني يقرر أن الشعر : (علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية ، والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال ، فهو المحسن المبرز والجاهل والمخضرم والأعرابي والمولد) (١) .

- (١) الفهرست : ص ١٩٠ .
 (٢) انباه الرواة : ٣ / ١٨٠ ، ١٨١ .
 (٣) نفس المرجع .
 (٤) عددها في انباه الرواة (ص ٤٢) كتابا : (انباه : ٣ / ١٨٠ ، ١٨١) .
 وذكر ياقوت ما ذكره القفطي وزاد عليها سبعة آخرين (معجم الادباء ١٨ / ٢٥٠ ، ٢٥١) .
 وأما ابن النديم فنذكر له (٤٨ كتابا) من بينها أربعة لم ترد في الانباه ولا في معجم الادباء .
 (٥) القاضي الجرجاني (ت ٣٦٦ هـ) : الواسطة بين المتنبي وخصومه (ط صحيح) : ص ٢١ .

ولا يقف الجرجاني عند حدود هذا البيان ، بل يخص الرواية وصلتها بقضية الابداع الشعري بحديث يكشف لنا عن وعى بها وبضرورتها ، ففى رأى القاضى الجرجاني ، أن الرواية للأثار الشعرية ، عامل أساسى فى صقل الملكة الشعرية وتفجيرها ، يستوى فى ذلك (القديم والمحدث والجاهل والمخضرم والأعرابي والمولد (١) .

لكنه يخص (المحدث) (٢) بمزيد عناية ، فيرى أن (حاجة المحدث الى الرواية أمس (٣) وبأنه (الى كثرة الحفظ افقر) .

كما يقرر بأنه (لا طريق للرواية الا السماع ، وملاك الرواية الحفظ) (٤) ثم يختم القاضى الجرجاني حديثه بما يدل على أن البلاغيين فى هذا القرن كانوا مازالوا مرتبطلين بتقليد عرف منذ العصر الجاهلى . وهو (حاجة الشاعر الى الرواية) ، وما ترتب على ذلك من دور الرواية فى رعاية الموهبة الشعرية . يقول القاضى : (وقد كانت العرب تروى وتحفظ ويعرف بعضها بعضا برواية شعر بعض ، كما قيل أن زهيراً كان راوية أوس ، وأن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جؤية ، فبلغ هؤلاء فى الشعر حيث ما تراهم ، وكان عبيد راوية الأعشى . ولم تسمع له كلمة تامة كما لم يسمع لحسين راوية جرير ومحمد بن سهل راوية الكميت (٥) .

٤ - ومع ما رأيناه فى مستهل القرن الرابع من انتصار راوية مثل الصولى لأثار المحدثين ، وتبنيه لروايته ، وشرحه ، وتهيته الانواق الأدبية لسوغه وقبوله ، أقول :

(١) الوساطة : ص ٢١ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

مع ذلك ، وجدنا في عصر القاضى الجرجانى من عرف
بالتحامل على آثار المحدثين ، ومن بينهم (رياس القيسى)
وجماعته ، وكان رياس أيضا معروفا بالغض من أبى تمام
والبحترى خاصة ويبدو أن رياسا هذا كان من الرواة ذوى
الوزن والمكانة في عصر الجرجانى ، بدليل ما وصفه به
الجرجانى بقوله : (ولا نعرف في زماننا هذا راوية تقدمه)
ولهذا كان لتحامله على آثار المحدثين - وبخاصة البحتري
وأبو تمام - أثر في قلة عناية البعض بهذه الآثار وبخاصة
في العراق ، الذى كان سلطان القديم فيه ما زال قائما *
وليس أدل على هذا مما يذكره القاضى من أن هسخ
الطائيين قُلت بالبصرة لقلة الرغبة فيهما (١) *

(١) الوساطة : ص ٥٦ ، والطائيان المذكوران هما :
أبو تمام ، والبحتري *

الباب الثالث

عصر اليتيم - القرن الخامس

تمهيد :

يقع القرن الخامس الهجرى - تاريخيا - بين العصرين العباسى الثالث والرابع :

فالتالث يقع بين عام ٢٢٤ هـ وعام ٤٤٧ هـ
والرابع يقع بين عام ٤٤٧ هـ وعام ٦٦٥ هـ

أى أن القرن الخامس يكاد يحتل من العصر العباسى الثالث نصفه ويحتل من العصر العباسى الرابع قرابة نصفه أيضا - فهو اذن يمثل فترة من أخطر فترات التاريخ الاسلامى ، سياسيا وحضاريا أيضا : فقد شهد القرن الخامس شطرا كبيرا من عصر الامارات الاسلامية المنقسمة على الخلافة العباسية ، كالمروانية بالاندلس والسامانية، فيما وراء النهر والحمدانية بين النهرين وحلب، والبويهية فى العراق ٠٠٠ الخ كما شهد القرن الخامس أيضا دخول السلاجقة .

وبالرغم من حالات التمزق والضعف التى عانتها الدولة الاسلامية فى ظل الدويلات ، فان ظهور هذه الامارات قد خلق جوا من التنافس الفكرى والحضارى .

وبالنسبة لدولة السلاجقة ، فان ظهورها كان انقلابا خطيرا فى حياة الدولة الاسلامية . ولم تنشأ الدولة السلجوقية فرعا للدولة العباسية ، وانما قامت بها أمة ذات بطش وسلطان . وظهر السلاجقة والخلافة العباسية قد ضعفت بالانقسامات المتوالية ، وضعف أيضا أمر البويهيين الفرس فى العراق وقارس ، والفاطميين العرب بمصر

وهما دولتان شيعيتان كانتا قد تغلبتا على أهل السنة ،
الذين كان أكثرهم - يومئذ - من الأتراك والأكراد
والعرب (١) .

ولقد كان أمراء الدويلات المختلفة - عربيا وأعاجم -
أهل علم وأدب ، ورعاة للعلماء والأدباء . . .

فالويهيون - مثلاً - كانوا يحبون العلم والأدب ،
ولا يستوزرون أو يستكتبون إلا العلماء والشعراء والكتاب
. . . وحسبنا أن يكون من ذوى المكانة من رجالاتها
مثال : ابن العميد ، والصاحب بن عباد .

أما الحمدانيون ، فكان أشهر رجالهم هو أمير حلب :
سيف الدولة ، وكان سيف الدولة نفسه شاعرا ذواقا
للشعر ذا بصر به . وكان - الى ذلك - يقرب الشعراء
وأهل الأدب ، حتى قيل : انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك -
بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعراء .

ولقد اشتهر - خلال القرن الخامس الهجرى - أسس
وبيوتات أغرمت بالعلم وأحببت العلماء كان من بينهم آل
الميكالى فى خراسان ، وكانوا فرسا فى الأصل ثم تعربوا
كما تعرب سواهم من الأعاجم فصار منهم الشعراء والكتاب
كأبى الفضل الميكالى وأبى محمد الميكالى (٢) وغيرهما .

وعنى آل الميكالى عناية كبيرة بالمكتبات الخاصة ، فكان

(١) وانظر تفاصيل مفيدة عن الدولة السلجوقية فى :

محمد الخضرى : الدولة العباسية : ٤١٢ - ٤٢٩ .

وراجع : تاريخ أدب اللغة العربية : ٢ / ٢٦١ وما بعدها .

(٢) زيدان ١ / ٢٢ .

لهم فيها المقتنيات النفيسة ، مما كان تحت يد الثعالبى
(أبى منصور ت ٤٢٩ هـ) صاحب كتاب يتيمة الدهر ،
يفيد منه ، قراءة ودراسة واقتباسا .

على أنه كان لظهور السلاجقة (دور كبير فى تنشيط
الرواية ، بل تنشيط الفكر الإسلامى بصفة عامة . فقد
أسس نظام الملك السلجوقى - أحد وزرائهم أول مدرسة فى
التاريخ الإسلامى ، وكان تأسيسه لها فى بغداد عام
٤٥٨ هـ ، وكان لظهور المدرسة النظامية دور واضح فى
النهوض بالرواية ، وتأكيد تقاليدها ، فقد كان أئمة الرواة
فى القرن الخامس هم المشرفين عليها والمسؤولين عن إدارتها
والتدريس فيها (١) كما سنفصل القول عند الحديث عن
(التعليم والرواية) .

كما كان نظام الملك الوزير السلجوقى معدودا من
العلماء الرواة الأجواد وكان محبا للعلم ، ومجلسه دائما
معمور بالقراء والرواة ، وأهل الخير والصلاح ، وكان
يقول عن رواية الحديث - الذى كان قد اشتغل به - (وائى
لست من أهل هذا الشأن ، ولكنى أحب أن أجعل نفسى على
قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
ويعتبر المؤرخون للفكر الإسلامى والرواية أن أحد
حسنيات نظام الملك ، هو (حجة الإسلام الغزالى) قالغزالى
كان زميلا لنظام الملك فى الطلب والرواية (وبهما ازدانت
طوس ، واختالت على ما سواها من بلاد فارس) (٢) .

ويحسن بنا قبل الدخول فى التفاصيل ، أن نجمل الحديث

(١) وانظر : الخضرى فى الدولة العباسية : ٤٢٦ .

(٢) وانظر : الخضرى فى الدولة العباسية : ٤٢٨ .

فى أهم ملامح الرواية الأدبية واتجاهاتها خلال القرن
الخامس الهجرى .

١ - فأول ما يلفت الانتباه هو أن العناية برواية آثار
المحدثين ، قد سارت جنباً الى جنب مع رواية أشعار
القدماء :

فأبو العلاء المعرى ، قد عنى عناية واضحة بآثار
القدماء ، وهو ما انعكسه « رسالة الغفران » ، وهو فى
الوقت نفسه ، قد عنى بشعر أبى تمام فرواه وشرحه فى
كتاب (ذكرى حبيب) كما عنى بآثار البحتري ، فقدم (عبث
الوليد) وآثار المتنبي ، حيث صنف لها كتاباً جليلاً هو
(معجز أحمد أو اللامع العزيزى)

كان التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) مثلاً آخر يؤكد الظاهرة
نفسها : لقد كان التبريزي تلميذاً للمعري . وقد شرح
حماسة أبى تمام ، كما شرح القصائد العشر ، وناقش
رواياتها ، وبذلك مزج روايته القديم الى عناية برواية
آثار المحدثين .

٢ - فى القرن الخامس الهجرى ، ظهرت يتيمة الدهر
للثعالبي ، وقد جمعت آثار وأخبار المحدثين فى الأصقاع
والأقاليم الإسلامية المختلفة ، فى الشام والمغرب
ومصر وغيرها ، فكانت أول وأكبر موسوعة لآثار المحدثين
شعراء وكتاباً ، فى الشام والعراق ، وفى مصر والمغرب
وفارس . واتخذ الثعالبي منهجاً معيناً فى تبويب كتابه ،
ولغة خاصة فى كتابته ، تميز فيه باتساع الرواية ، وسعة
العناية مما سيكون له أكبر الأثر : حذى لو قلنا : ان أليتيمة

تمثل عصرا هو (عصر اليتيمة) ومدرسة هي (مدرسة اليتيمة) لما جاوزنا الحقيقة ، وهو ما سوف نعتكف على تباينه والتمس الشاهد له تفصيلا .

٣ - في القرن الخامس أيضا ظهرت حركة واسعة في رواية الدواوين ، وصنعتها وتقدمت هذه الصناعة خطوات أخرى ، سنفردها بالدراسة والتجلية وفي مقدمة أصحاب الدواوين التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) والأعلم الشنتمري (ت ٦٤٧ هـ) ونشطت الى جانب هذا الفن جهود الشراح في تقريب الآثار الى الأذواق .

٤ - ظهر الشعراء الرواة ، ليكون وجودهم امتدادا لما سبق ، وكان في مقدمة هؤلاء الشعراء الرواة ، أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) الذي كان لظهوره أثر كبير في تنشيط حركة الرواية الشعرية على نحو ما كان لو جود أبي الطيب المتنبي خلال القرن الرابع .

الفصل الأول أبو العلاء المعري

(الرواة الشعراء)

ونأخذ في دراسة المعري ، باعتباره في رأى هذه الدراسة أهم شاعر راوية ظهر خلال تلك الحقبة . ويعدّه المؤرخون خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث ، كما كان شبيهه أبو الطيب المتنبي فاتحته (١) .

ونسبته المعري كان الى (معرة النعمان) ، وكانت المعرة تحت سلطان الحمدانيين في حلب ، وأميرها يومئذ سعد الدولة أبو المعالي المعري ويبدو من تتبع أخبار أبي العلاء ، أنه ورث العلم عن بيته فقد كان أبوه من رجال الأدب وجده قاضيا (٢) .

وقد تلمذ المعري على والده وتخرج به ضمن من تخرج بهم من شيوخ عصره وعلمائه ، وكان أبوه الى جانب اشتغاله بالأدب - شعرا ونثرا - علما في الحديث واللغة والنحو ، بل كان جده أيضا من رجال الحديث ، وقد روى عنه أبو العلاء كما روى عن والده (٣) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١ / ٢٠٦ .

(٢) بغية الوعاة ١ / ٣١٥ .

(٣) بغية الوعاة ١ / ٣١٥ .

ولقد اختلفت الآراء حول عقيدة أبي العلاء المعري ،
فرمى البعض بالالحاد (١) وذكر بعضهم أنه تاب في
أخريات أيامه (٢) .

وإنه مات على الاسلام (٣) ، وذكر لنا القفطي . أنفاس
أبي العلاء المعري ، وقد بلغت قريبا من خمسة وخمسين
مصنفا ، من بينها كتبه الثلاثة في شروح أشعار أبي تمام
والبحتري والمنتبى ، وديوانا شعره (سقط الزند)
و (لزوم ما لا يلزم) .

وأشار القفطي الى ما رآه بعينه من كتب أبي العلاء
المعري ، وهي نحو تسعة وتسعين كتابا (٤) أما سائر كتب
أبي العلاء ، فيذكر لنا القفطي أن أكثرها قد أعدم ، وأن
ما يوجد منهما هو ما خرج من المعرة قبل هجم الكفار عليها
وقتلهم من قتل من أهلها ونهب ما وجد لهم (٥) فأما
الكتب الكبار التي لم تخرج من المعرة فأعدمت وأن وجد شيء
منها قائما يوجد البعض من كل كتاب (٦) ، ومثل هذه
المعلومات تفيدنا في القاء الضوء على ما لحق بكتب
أبي العلاء من رجوه البلاء ، فقد جنى عليها تهمة الالحاد ،
التي طاردت أبا العلاء حيا ، وميتا ، كما جنى على كتب

(١) مثل ياقوت الحموي . وانظر معجم الادباء ٢ / ١٠٧ - ٢١٨
(٢) الذهبي : العبر حوادث سنة ٤٤٩ هـ وانظر شذرات الذهب
نفس السنة .
(٣) الوعاة ١ / ٣١٦ ، ٣١٧ ، وانظر في الدفاع عن عقيدة المعري
ماذكره السيوطي بشأن تأليف ابن العديم كتابا في الدفاع عن عقيدته
أسماء (دفع التجري عن أبي العلاء المعري بغية ١ / ٣٧١) .
(٤) انباء الرواة ١ / ٦٧ .
(٥) وهم الصليبيون حيث استولوا على الشام من سنة ٤٩٢ هـ
الى سنة ٥٨٢ هـ .
(٦) انباء الرواة ١ / ٦٦ .

أبى العلاء أيضا ما تعرضت له من الغزو الصليبي .
كما تفيدنا هذه الاشارات الى كتب أبى العلاء ، الى
دور الرواة في المحافظة على التراث ، وبخاصة حين
تتصدى له عوامل الافناء والمحو .

رواية المعري : رحل أبو العلاء المعري الى حيث يقيم
العلماء وأهل الرواية : مثل بغداد ، التي وردها في سنة
٣٩٩ هـ ، كما رحل الى طرابلس الشام قبل رحيله الى
بغداد .

ويبدو أن رحلته الى بغداد - بالذات - كانت ذات أثر
كبير في شهرته ، حيث كانت بغداد ما تزال كعبة القصائد
ولا أدل على هذا من أن المعري ما كاد يعود الى بلده
بالشام ، حتى تحلق الناس حوله ، وقصوده ارواية آثاره
والتخرج به ، بل وسار اليه الطلبة من سائر الافاق (١) ،
كما كاتبه العلماء ، والوزراء والفضلاء ، (واختاروا عليه
التصنيفات) ففعل ، وكان - كما وصفه القفطي - (نادرة
زمانه) (٢) .

وفي بغداد تعرف أبو العلاء بأشهر شيوخها ، وقتذاك
وهو أبو احمد عبد السلام بن الحسين البصري اللغوي ،
وكان من أشهر علماء اللغة والقراءات ورواية الأشعار (٣)

ولم ينتفع أبو العلاء بالرواية عن عالم بغداد ، والتي
كان البصري حينئذ يتولى الاشراف عليها ، ويروى ابن أم

(١) انباه الرواة ١ / ٥٠ - ٥١

(٢) انباه الرواة ١ / ٥١

(٣) نزهة الألباء ٣٢٨

مكتوم ، أنه لما وصل أبو العلاء المعري الى بغداد ، اجتمع
بعبد السلام البصري بدار الكتب ، واستعار منه (ديوان
تيم اللات) ، ونسى أن يعيده اليه ، ولم يذكره حتى عاد الى
المعرة فأعاده ومعه قصدة موجه بها (١) .

وتتضافر جملة من الأخبار على أن أبا العلاء قد نشط
فى الرواية وأنه قد كانت له تلاميذ حملوا عنه آثاره
وعلمه التى حصلها أيضا بطريقة الرواية .

فقد قرئ على أبى العلاء بعض مصنفاته ، ومن بينها
(اللامع العزيزى) وهو فى شرح ديوان المتنبى (٢) كما
روى عنه أيضا بطريق الاملاء كتابه (ذكرى حبيب) فى
شرح ديوان أبى تمام ، وطالب المعري من بعض نسائبه
أن يكتب بخطه اعتماد هذه القراءة ومصادقتها وتوثيقها
على طريقة أهل الرواية ، ففعل نسيبه ذلك على ظهر الجزء
الأول من النسخة المروية ، وأثبت عليها سند الرواية
وتاريخها وهو فى المحرم سنة ٤٤٨ هـ (٣) .

كما تدل الأخبار أيضا على أن المعري كانت تجتمع
الطلبة بمنزله ، ولم يكن له من السعة ما يبرهم به (٤) فكان
يعتذر عن ذلك فى مرارة بالغة .

وفى انبأه الرواة الذى وافانا مصنفه بالكثير عن
(رواية المعري) نعثروا على وثيقة تفيدنا للغاية فى موضوع
رواية شيخ المعرة وهى عبارة عن ثبت بأسماء تصانيفه ،

(١) انباء الرواة ٨ / ٥٥
(٢) انباء الرواة ١ / ٥٦
(٣) انباء الرواة ١ / ٥٤
(٤) انباء الرواة ١ / ٥٤

كان بعض أهل بغداد قد أحضره إلى القفطي أثناء مقامه بالشام (١) ، ومن أوائل ما ورد بها (قال الشيخ أبو العلاء رضى الله عنه : لزمت مسكنى منذ سنة ٤٠٠ هـ واجتهدت أن اتوفر على تسبيح الله وتحميده ، إلا أن اضطر إلى غير ذلك فأمليت أشياء تولى نسخها الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أبي هاشم ٠٠ (٢) .

ومن دلائل الرواية أيضا في الوثيقة المتقدمة قول القفطي :

(ومن الأما إلى التي لم تتم ، ولم يفرد لها اسم ، ما مقداره مائة كراسية) (٣)

تلاميذه : كان لأبي العلاء المعري تلاميذ تخرجوا به ، ونسبوا إليه ، فقليل لهم (المعريون) (٤) . وأشهر تلاميذ المعري اثنان . هما التنوخي والتبريزي ، والأول هو التنوخي أبو القاسم على بن الحسن التنوخي صاحب (نشوار المحاضرة) (٥) ، وقد ولد على في سنة ٣٦٥ هـ . وتوفي في سنة ٤٤٧ هـ (٦) ، وأما لقاءه بالمعري فقد تم في بغداد أثناء رحلة أبي العلاء إليها ، والتنوخي هو

(١) انباء الرواة ١ / ٥٦

(٢) انباء الرواة ١ / ٥٦

(٣) انباء الرواة ١ / ٦٦

(٤) انباء الرواة ١ / ٦٩ في خبر بشأن رواية المعري لمكتاب (اصلاح المنطق لابن السكيت)

(٥) من أشهر كتب الاختيار في القرن الرابع نشر أخيرا في بغداد وصدر عن مكتبة المثنى بتحقيق عبود الشالحي المحامي العراقي .

(٦) وانظر : وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣ وانظر أيضا معجم الأدباء ١٤ / ١١٠

راوى الخبر الذى حدد لنا تاريخ هذه الرحلة وهو سنة ٣٣٩ هـ (١) فأما ما رواه التنوخى عن أبى العلاء ، فهو دواوين الشعراء ، ولم يذكر لنا الخبر واسناده الى التنوخى على وجه التحديد هذه الدواوين ، ولا عناوينها (٢)

كما تدل الأخبار واسانيدھا المختلفة على أن التنوخى قد روى عن أبى العلاء آثاره الشعرية ، ومن بينها - على سبيل المثال - قصيدة أبى العلاء الشهيرة فى رثاء صديقه أبى حمزة الفقيه الحنفى (٣) .

ومن أهم تلاميذ المعرى أيضا (أبو زكريا التبريزى) صاحب شرح القصائد العشر ، وصاحب شرح الحماسة . وقد قرأ على المعرى بعض كتب اللغة التى اختص بروايتها ومنها كتاب ابن السكيت (٤) ، وطالب الشيخ بسند الرواية فأعذر ، كما روى عنه - بطريق القراءة - معجم الازهرى (٥) المعروف بتهذيب اللغة ، وقد كان صاحبه معه فى مخرلاته عندما شد الرحال الى معرة النعمان للرواية عن شيخها الأشهر وسماعه .

كما روى التبريزى أيضا عن أبى العلاء المعرى جملة من آثاره الشعرية .

(١) انباء الرواة ١ / ٤٧

(٢) انباء الرواة ١ / ٤٧

(٣) وانظر القصيدة فى سقط الزيد ٩٧١ وانظر انباء الرواة ١ / ٤٧

(٤) أبو يوسف يعقوب من علماء اللغة فى القرن الثالث وتوفى سنة ٢٤٣ فى خلافة المتوكل (نزهة الاياد ١٧٩)

(٥) أبو منصور محمد بن أحمد .

وعن طريق أبي العلاء المعري توثقت أسباب المودة بين
التنوخى والتبريزى حتى قال ابن خلكان عنهما (كان
بينهما مؤانسة واتحاد بطريق أبي العلاء المعري) (١) .

ولقد تقاطر الرواة على أبي العلاء المعري في بلدته
التي غدت قبلة الوافدين بفضله أبي العلاء ، فرحل اليه
من (أبهر) : أبو المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهري
النصوى (٢) .

ويذكر لنا القفطى أن (الأبهري) المذكور قد لازم
أبا العلاء (٣) (وأخذ عنه جميع فنون الأدب) (٤) . وأنه
عندما عاد الأبهري إلى بلده حمل إلى قومه ما رواه .
كما رحل من الرواة إلى المعري ، ابن قورجه ، أحد علماء
قارس الفضلاء ومن الأندلس والمغرب رحل اليه جملة أيضا
من الرواة حملوا عن شيخ المعرة علمه وأثاره (٦) .
كما حملوا إلى المغرب جملة من علماء المشرق .

ولعل من أهم أولئك الرواة المتوافدين على شيخ المعرة
(أبو الفضل البغدادي) (٧) . وكان قد قدم إلى المغرب
الإسلامي بعد عام ٤٣٥ هـ وأقام في القيروان حيناً ، ثم
انصرف إلى الأندلس (ولهذا الرجل أثر عظيم في بث
شعر أبي العلاء ونشره في الأندلس) وعن أبي الفضل

(١) وفيات الأعيان : ٣ / ٣٠٣

(٢) ترجم له القفطى ولم يذكر له مولدا ووفاة (انباه ٢ / ٢١٦)

(٣) انباه الرواة : ٢ / ٢١٦

(٤) انباه الرواة : ٢ / ٢١٦

(٥) انباه الرواة : ٢ / ٢١٦

(٦) حمد بن محمد من أئمة اللغة ورواية الشعر في عصره (ت ٤٨٠ هـ)

(٧) وانظر أمثلة من ذلك في التكملة لكتاب الصلة ٢ / ٥٩٠ ، ٩٠٣ ،

٩١٠ ، ويغية الرواة ١ / ٣١٢ وتفتح الطبيب ٣ / ٢٨٥ .

(٧) ابن بشكوال : الصلة ص ٩٠٠ .

هذا روى ابن السيد البطليموسى (٥٢١ هـ) اشار
المعرى (١) .

رسالة الغفران :

ولو رجعنا الى رسالة الغفران ارأينا كيف كان شيخ
المعرى ريان بلشعر وأثار القدماء ، متمرسا بالتحقيق ،
مقتدرا على طرح المنحول من المرويات ، الزائف من
الاشعار ، فيورد ما يرويه نقيا موثقاً :

فأبطال شيخ المعرة الذين صنع لهم عالمه المتخيل ،
ليسوا فقط طائفة من الشعراء ، بل فيهم أيضا جملة من
أئمة الرواة أمثال أبى عبيدة والأصمعى ، فأبو عبيدة فى
عالم الغفران يطالعنا (صافى الطوية لعبد الملك بن قريب)
أبى الأصمعى (٢) وهو بهذه الاشارة الطريفة يومئ الى
ما كان بين الشيخين الكبيرين أبى عبيدة والأصمعى من
وجوه المناقضة والخصومة .

كما نرى أبى العلاء فى غفرانه يحدثنا عن مذاكرة
أبى عبيدة للقوم بوقائع العرب ، ومقاتل الفرسان ،
ومذاكرة الأصمعى لهم بالاشعار .

فهذه اشارة الى ابرز ما تميز به كل من الراويين من
سمة فى الرواية : فأبى عبيده راوية لأيام العرب وجلاد

(١) انظر مقدمة : الانتصار لمن عدل عن الانتصار لابن السيد
البطليموسى - بتحقيق الدكتور حسان عبد المجيد .
(ط المطبعة الاميرية سنة ١٩٥٥ م) ص (و)
(٢) نشره المستشرق بيفان سنة ١٩٠٢) .

فرسانها كما نلاحظ ذلك في شرحه للنقائض (١) ، بينما الأصمعي مشهور برواية الآثار الشعرية .

وقد سبق أن أشرنا إلى ما حفلت به رسالة الغفران من مواضع المنحولات ، وبخاصة رفضه لما نسب إلى آدم وحواء وولديهما من أشعار ، وما نسب إلى الامام علي بن أبي طالب من نبوءات .

ولم يقف أبو العلاء المعري عند مناقشة الروايات المتعلقة بالخلاف في النسبة بل ناقش الخلاف اللفظي وحقق بعض مسائله (٢) .

والى جانب رواياته لآثار القدماء - وقد زخرت بها رسالته (٣) وصنع لأخبارهم ورواية آثارهم فلكا قصصيا أبدعه خياله : فقد روى لنا أبو العلاء بعض أخبار أستاذه المتنبي الذي تخرج بشعره وأثاره ، ومحض بعضها ، ونفى منها ما لا يسيغه فكر العالم وعقل المحقق ، لم يمنعه من ذلك حبه لأبي الطيب شيخه ، وهو يدل بهذا على نزعة عقلية حرة تميز بها مسلكه العلمي والأدبي (٤) .

(١) نشرة المستشرق بيفان في سنة ١٩٠٢ .
(٢) رسالة الغفران : ٢٠٢ - ٣٠٥ - ٣١١ - ٣١٣ - ٣٣٥ ومواضع أخرى .
(٣) منهم : النابغة الجعدي والراعي النميري وجران العرد النميري وأمرؤ القيس وأبو كبير الهذلي ، والحسين بن الضحاک وطهيل الغنوي .
(٤) انظر مثلا : ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ . (رسالة الغفران)

وكما وقف أبو الفرج موقف التجريح من ابن خرداذبه ،
فكذلك كان موقف أبي العلاء في (رسالة الغفران) : فقد روى
لنا خبرا أسنده اليه بشأن سماع عمر بن عبد العزيز وكذلك
الامام مالك ، ثم علق على الرواية بقوله :

(هكذا ذكر ابن خرداذبه ، فان يك كاذبا فعليه كذبه) (١)

(١) رسالة الغفران : ٥٠٦ .

الفصل الثاني أخبار الشعراء

(مدرسة اليتيمة)

الثعالبي : (ت ٤٢٩) :

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، نسب إلى (الثعالب) ، لأنه كان يتجر في فراء الثعالب . ونيسابور ببلاد فارس . ولم يحفظ التاريخ لنا شيئاً عن أسرته ولا نشأته (١) ، وابن خلكان - على عنايته - بإيراد أنساب من يترجم لهم كاملة لم يذكر إلا جده اسماعيل ويتساءل أحد ناشري اليتيمة بقوله (ولا ندري كيف بتر نسبه هكذا ؟) (٢) . ثم يعزو ذلك - احتمالاً - إلى أن أسرته كانت غير عربية فلم تعن بحفظ نسبها (٣) .

ولم يورد له معجم الادباء ترجمة . رغم كثرة نقوله عنه ، وشدة إعجابه به ، والسبب أن ترجمته قد ضاعت فيما ضاع من (معجم ياقوت) .

والثعالبي - في عصره - خاتمة مترسلي هذا العصر (٤) . لأنه أكثرهم أثاراً وأوسعهم مادة ، وهو

(١) انظر مقدمة ناشر اليتيمة (ط الصاوي ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م)

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

(٤) تاريخ ادب اللغة العربية ٢ / ٣١٩ ، ٢٢٠ .

الذى ترجم لهم ، وذكر أخبارهم وأقوالهم وكان فى عصره
(راعى تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس
المؤلفين وأمام المصنفين) (١) .

وليس أدل على ذلك من أن مؤلفات الثعالبي قد جاوزت
الثلاثين عدا وتميزت بالتنوع ، بين الاخبار واللغة والرواية
للأثار الأدبية فى الشعر والخطابة والرسائل والامثال
والكنايات وسائر الاقوال الماثورة .

وقد أكثر ياقوت الحموى من انقل عن الثعالبي ، وأثنى
عليه كثيرا ، وعد كتابه اليتيمة أحد مصادره التى اعتمد
عليها (٢) .

وكتاب اليتيمة يعد أهم مصدر أدبى فى القرن الخامس ،
يرصد لنا الحركة الأدبية أثناء القرن الرابع ، وبخاصة فى
بلاد الشام . حيث بدأ الكتاب بها ، فخص بها القسم الأول
وهو (فى محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من
أهل الشام ، وما يجاورها من مصر والموصل ولسع من
أخبارهم)

وبدأ هذا القسم (فى فضل شعراء الشام على شعراء
سائر البلدان وذكر السبب فى ذلك) .

كما ذكر اعجاب الصاحب بن عباد بأدب الشام وبطريقة
أهله (التى هى طريقة البحتري فى الجزالة والعذوبة ،
والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من
أشعارهم ويستملئ الطارئين عليه من تلك البلاد ما

(٥) تاريخ أديب اللغة العربية : ٢ / ٣٢٠ .
(٦) وانظر معجم الأديباء : ٢ / ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٦ - ١٧٤ -
١٧٧ - ١٨٤ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٥ / ٦٤ ، ٦ / ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٦١ ،
١١ / ١٨٤ - ٢٠٥ - ٢٠٨ - ٢٠٩ .

يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترا ضخما الحجم عليها ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملا أحد منه عينه غيره وصار ما جمعه منه على طرف لسانه ، ورأس قلمه (٢) .

وكتاب اليتيمة قد أخضعه صاحبه - قبل خروجه بصورة نهائية - لعدد من المحاولات . إذ يذكر الثعالبي في مقدمة كتابه ، أنه كان قد تصدى لتأليف الكتاب سنة ٢٨٤ هـ (والعمر في اقباله ، والشباب بمائه (٢) فافتتحه يومئذ باسم بعض الوزراء مجريا اياه مجرى ما يتقرب به من أهل الأدب الى ذوى الاخطار والرتب (٤) .

ثم لاحظ الثعالبي بعد أن ألف اليتيمة في تلك الآونة أنه قد كتبه على عجل (في مدة تقصر عن اعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوقيته شرطه (٤) .

ثم لاحظ المؤلف - وكان ذلك حافزا آخر لمراجعة كتابه - أن الناس مقبلون على كتابه استعارة ونسخا ، ورواية ، ثم ما اكتسبه الكتاب من صيغة التداول والذيوغ ، برغم تأليفه اياه على عجل . وعندئذ بدأ الثعالبي محاولاته نحو اليتيمة ، بالمراجعة والتنقيح والتجويد ، بالاضافة والتعديل والتحصيل لمزيد من الآثار من اقواء الرواة الذين أتيح له بهم لقاء .

(١) يتيمة الدهر : ١ / ٩
(٢) يتيمة الدهر : المقدمة : ٢
(٣) يتيمة الدهر : ١ / ٤ (المقدمة)
(٤) يتيمة الدهر : ١ / ٤ (المقدمة)

ولقد استغرقت محاولات الثعالبي الدائمة الدائبة لتجويد كتابه شطرا كبيرا من حياته ، اذ يحدثنا في مقدمته بأن تلك المحاولات قد استمرت حتى (عصر السنن والحنكة) (١) ، وشارف (أوان الثبات والمسكة) (٢) ٠٠ وعندئذ وفي سن الشيخوخة ، تناول المؤلف كتابه بتغيير شامل في تبويبه ، وترتيبه ، الى أن اطمأن الى الصورة التي انتهى بها المطاف الى اهل الأدب والرواية ، وحملت بشكل نهائى اسم رأوية نيسابور ودانت بالانتساب اليه .

وسوف نشير الى أثر هذا التعهد الدائب للكتاب بالتنقيح والمراجعة فيما اتسمت به اليتيمة من حسن التبويب ، وجودة الترتيب . الامر الذى جعله أمام جمهور الرواة والمصنفين نموذجا حريا بالاحتذاء لأنه فتح امامهم نهجا جديدا فى الرواية والتصنيف .

واذا كان الكتاب - كما أصدرنا القول بدءا - يعد مصدرا هاما من مصادر التاريخ الادبى فى القرن الخامس الهجرى ، فلقد نطق الكتاب بأصالة مؤلفه من وجوده نوجزها فيما يلى : -

١ - عناية المؤلف عناية كبيرة بالعنصر المكانى فى التاريخ ، اذ يختص كل قسم من أقسام اليتيمة بأدب اقليم . فالقسم الأول فى شعراء آل حمدان وغيرهم من اهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب مع لمع من أخبارهم . والقسم الثانى (فى محاسن أشعار اهل العراق والدولة

(١) اليتيمة : ١ / ٥

(٢) اليتيمة : ١ / ٥

الديلمية ٠٠ ، والثالث فى أشعار أهل الجبل وفارس
وجرجان وطبرستان وأصفهان ٠٠ والرابع فى أشعار أهل
خراسان ، وما وراء النهر ٠

٢ - صفة التنقيح والتجريد وقد أشرنا إليها ، ونورد
هنا نصوصا صريحة تدل عليها ، منها : أنه بعد تمام الكتاب
بانتهاى الباب العاشر منه يقول الثعالبي : وبقي على ذكر
قوم من أهل نيسابور لم تحضرنى أشعارهم وهم (٠٠) (١)
ثم يقول بعد أن أورد أسماء هؤلاء الشعراء : (وسيتفق
لى أو لمن بعدى الحاق ما يحصل من ملح أشعارهم بهذا
الباب ان شاء الله تعالى) (٢) ٠

وفى الوقت الذى فتح فيه الباب أمام كل اضافة مفيدة
يقدمها عالم أو يزيد لها رواية بشأن آثار أهل نيسابور ، نجد
بعد الزيادة التى أوردها فى ذكر أسماء (قوم من أهل
نيسابور ٠٠) يجيز زيادة قدمها الامير أبو الفضل
عبيد الله بن أحمد الميكالى (٣) ٠٠ اذ نجد بعد الختام
ما يلى : وهذه زيادة الحقها الامير أبو الفضل عبيد الله
ابن أحمد الميكالى (رحمه الله تعالى ٠٠ لبعض
تلاميذته أو ان القراءة وقد أجزت ما فعله الأمير
وان شئنا أن تثبته فى موضعه من الكتاب فافعل فقد

(١) البيئمة : ٤ / ٤١٠ ٠
(٢) البيئمة : ٤ / ٤١٠ ٠
(٣) البيئمة : ٤ / ٤١٠ ٠

أجرتك بذلك (١) .

٣ — عنابة الثعالي بالديباجة ، وتأنقه في لغة تأليفه للقيمة فهو يستخدم العبارة المسجوعة ، ويتأنق ، وهو بذلك يضع معلماً آخر من معالم منهج جديد في التأليف ، اختص به ، فتح الباب إليه لأجيال بعده من أهل الرواية والدراسة .

٤ — الكتاب مصدر هام لأنار أدباء القرن الرابع ، الذين لم يضمهم قبل القيمة كتاب .

ومعنى هذا كله أن الثعالي قد أحدث تحولاً كبيراً برواية الأنار الشعرية ، حين لفت أنظار جيله إلى مرويات أدباء القرن الرابع ، بعد أن كانت مجرد دواوين ، أو مدونات خاصة أو أنار محفوظة متناثرة هنا وهناك على السنة الرواة .

مصادر القيمة :

أولاً : الرواية

١ — الأخذ من أفواه الرواة :

وقد نص الثعالي — صراحة — على هذا المصدر الهام من مصادر مروياته ، كما دلت عليه أساتيدته في تضاهيف القيمة ، فعند روايته — مثلاً — لأنار أبي القاسم الباهي الشاعر يصرح بقوله : (ولم يقبح إلى شعره مجموعاً ، وإنما

(١) القيمة : ٤ / ١٠ زيادة عشر عليها بإحدى النسخ ناشر نسخة القيمة التي اعتمدنا عليها وهو المرحوم إسماعيل الصاوي في سنة ١٣٥٢ - ١٩٣٤ م .
(١٥ — الشعر)

تطرقته من أفواه الرواة واستفدته من التعليقات . . (١) ونحن يعقد باباً في ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرق أشعارهم . . .) يقدم له بقوله .

(هذا باب كثرت عليه غرر تلففتها من أفواه الرواة وتطرقتها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة) (٢) .

وإذا علمنا أن هذه صفحات هذا الباب تبلغ الخمسين وأن معتمده فيه على الرواية ، فأننا نصيف ببدأ هاماً من أبعاد الرواية لدى علامه نيسابور .

وأما الرواة الذين أسند الثعالب إليهم . فهم كثر يطول بذكرهم حديث مفصل . وإنما نكتفي هنا بإيراد أسماء أكثرهم ، مع اختصاص أهمهم بشيء من العناية .

وهؤلاء الرواة هم :

- ١ - البيهقي .
- ٢ - الصابي = أبو اسحاق
- ٣ - ابن عاتق
- ٤ - أبو بكر الخوارزمي
- ٥ - ابن فارس
- ٦ - أبو الفضل الميكالي

(١) يتيمة النمر : ١ / ١٩٨

(٢) يتيمة النمر : ١ / ١٩٨

- ٧ - أبو الحسين محمد بن أبي موسى الكرخي *
- ٨ - أبو علي محمد بن عمر الزاهر *
- ٩ - ابن جني *
- ١٠ - أبو نصر سهل بن المرزبان *
- ١١ - أبو سعيد نصر بن يعقوب دوست *
- ١٢ - المصيصي = أبو الحسن *
- ١٣ - علي بن محمد الشاسي *
- ١٤ - عبد الرحمن بن وهب *
- ١٥ - أبو حفص عمر بن علي الفقيه *
- ١٦ - أبو منصور سعيد بن أحمد البيردي *
- ١٧ - أبو طاهر محمد بن عبد الصمد الكاتب *
- ١٨ - أبو الحسن الأفريقي *

والذي يستلقت النظر في هؤلاء الرواة جملة - ليس

فقط - عددهم ، بل تنوع أقاليمهم وجنسياتهم بين الشام والعراق وفارس وبخارى *

ونتناول هنا بالدرس راوية واحدا من أهم رواة اليتيمة
نكشف عن جرائب شخصيته انكزية وأهمية مروياته ، وهو :

أبو بكر الخوارزمي (٢٢٣ - ٣٨٢ هـ) :

وهو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر
الناثر وأبوه كان من خوارزم ، وخال أبي بكر هو الطبري
المؤرخ الشهير (١) ، فلا غرو أن بلغ ما بلغه من العلم

والفضل بحكم هذه الوشيحة التي تربطه بواحد من أجمل العلماء والرواة في القرن الثالث الهجري .

وقد تقلب أبو بكر في أقاصى الأرض ، ومارس الرحلة على عادة علماء ورواة عصره . فخرج من بلده خوارزم إلى العراق والشام وعاش في كنف أمير حاب : سيف الدولة في بلاطه الحافل بأهل الأدب والعلم والرواية . كما رحل إلى بخارى ، فصحب بها طائفة من علمائها وورد نيسابور ، فأتى له أن يلقي الأمير أبا نصر الميكالي ، ومدحه ، ثم توجه إلى سجستان فأصيبهان ثم شيراز (١) .

وبديهي - وتلك رحلته التي بلغت من الاتساع ما رأيناها - أن يكتسب من مجانى الأدب ما يؤهله لمثل مكانته العلمية كاتباً ذائع الصيت ، وراويّة ثقة في روايته .

كما اتاحت له هذه الرحلة أن يوطد علاقته بذوى المكانة والسلطان في عصره ، إذ يذكر الثعالبي وهو يترجم له ، أنه (كان يتعصب لال بويه تعصباً شديداً ، ويغض من سلطان خراسان ، ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه) (٢) .

وتدل أخباره وما وصفته به المراجع على أنه كان من أروى علماء عصره . فصاحب اليتيمة يقول عنه ، أنه كان (يملئ ويشعر ريروى ويقسم أيامه بين مجلس المدرس ومجالس الأنس) (٣) ، ويصفه بعد أن يروى عنه جملة

(١) يتيمة الدهر : ١ / ١٩٢ - ١٩٥

(٢) يتيمة الدهر : ١ / ١٩٥

(٣) يتيمة الدهر : ١ / ١٩٥

صالحة من الآثار بأنه (يفصح بها عن اتساع روايته
وكثرة محفوظاته) (١) .

كما يصفه صاحب شذرات الذهب بأنه كان (أماما في
اللغة والأنساب) . ويسرق بشأن أبي بكر الخوارزمي خبرا
طويلا يتعلق بلقاء أبي بكر بالصاحب بن عباد يقيدهما
يدل على سعة رواية الخوارزمي ، وشهرته بها بين أدباء
عصره (١) .

ومن هنا ندرك القيمة العلمية التي تنطوي عليها أسانيد
أبي بكر في اليتيمة ، وندرك أيضا سر كثرة هذه الاسانيد
واستفاضتها .

وأما مروياته فتتميز - فضلا عن غزارتها وسعتها -
بالتنوع ، فهو يروي لشعراء الشام وبخاصة أولئك الذين
عاشوا في بلاط سيف الدولة أمير حلب .

ومن بين هؤلاء الشعراء : الناشئ الأصغر ، والخليع
ولهذا كثرت أسانيد الخوارزمي في القسم الأول الخاص
بشعراء الشام (٣) .

فإذا انتقلنا إلى شعراء الموصل ، لاحظنا أيضا أسانيد
للخوارزمي ، تدل على طول باعه وعظم قدره في الرواية

(١) شذرات الذهب : ٣ / ١٠٥

(٢) شذرات الذهب : ٣ / ١٠٥

(٣) اليتيمة : ١ / ٢٥ - ٨٥ - ٨٧ - ١٩٧ - ٢٢٤ - ٢٣٥ - ٢٢٦ - ٢٤٤ .

حتى أن الثعالبي عندما روى آثار السري الرفاء وأخباره جعل أبا بكر الخوارزمي مصدره الأول (١) ، ويليه بعد ذلك ديوان السري نفسه .

ولقد أفاض الثعالبي في الثناء على أبي بكر ، والاشادة بجهوده في الرواية وحرصه عليها ، فقال عنه (كان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنقوان أمره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام بها ما أقام مع أبي عبد الله بن خالويه وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء ، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي العباس النامى وغيرهما في فحولة الشعراء ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن الفاظ يستفيدها ، وشعراء وأشعار يصيدها . كما أقر له الثعالبي بالفضل في امداده بالآثار التي حفلت بها كتابه فقال : (وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني مما يضمن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها ماء الظرف وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب القسم) .

وهكذا كان الخوارزمي مصدرا من أهم مصادر الرواية للثعالبي وكان محفوظه ، معيننا ثريا نهل منه صاحب اليتيمة ، ليس فقط فيما يتعلق بالشام ولكن فيما عدا الشام من الأصقاع والأقاليم ، ومن بينها العراق وخراسان (٢) .

(١) اليتيمة : ٢ / ١٠٣ .
(٢) اليتيمة : ٤ / ١٦ - ١٢٩ - ٢٢٧ .

٢ - الذاكرة عند الثعالبي :

وكما كانت (أفواه الرجال) مصدرا للثعالبي من مصادر الرواية ، فكذلك كانت ذاكرته ، وهي ريانة موفورة الآثار ، فعند ذكره لآثار الخبز أرزى (٢) يصرح باعتماده على ما علق بحفظه (٣) ، ونفس الأمر عند روايته - مثلاً لبعض آثار (الزاهر) (٣) ، أو لآثار لعلي بن أبي على العلوي (٤) .

وعدا اعتماده على ذاكرته في ترجمته لأفراد من الشعراء ، كانت ذاكرته مصدرا في روايته لفصول كاملة تضمنت اشتاتا من فنون الشعر حدودها بقوله : (ما علق بحفظي في فنون شتى (٥) .

٢ - الكتب عند الثعالبي :

تعد الكتب المصدر الثاني من مصادر اليتيمة ، وتتنوع هذه الكتب مادة ومنهجاً ومصدراً ، وأهم هذه الكتب : -

(١) دواوين الشعراء :

وهي المصدر الأول الذي اعتمده أبو منصور الثعالبي ،

(١) هو مصدر بن أحمد وكان من شعراء البصرة ، سمي كذلك الخبز أرزى (لأن حرفه كانت خبز الخبز المصنوع من دقيق الأرز) ت ٣٢٧ هـ

(٢) يتيمة الدهر : ٢ / ٢٣٧ .

(٣) وهو غير (الزاهر) بالياء المثناة ، وانظر أخباره في اليتيمة

٣٨٠ / ٤

(٤) أحد شعراء فيسبادور في القرن الثالث ، ترجم له الثعالبي في

اليتيمة ٣٨٤ / ٤ ، ٣٨٥

(٥) يتيمة الدهر : ٤ / ١٠٥

فى نقله وروايته لأثاره من أورد لهم فى اليتيمة ذكرا ورواية .
ومن أمثلتها فى اليتيمة ديوان المتنبى ، وديوان الواواء
الدمشقى (١) وكان ضمن ما كان أبو نصر سهل بن المرزبانى -
صديق الثعالبى ونزيل بلده ينسابور - قد حرص على جلبه
من الأقاليم الأخرى من الدواوين والكتب ، وقد وصف لنا
الثعالبى ديوان الدمشقى الذى وجدته فى خزانة صديقه
بأنه (فى دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم) (٢) .

ويعد أمر الدواوين أحد المعالم الهامة فى «يتيمة الدهر»
الذى احتفظ لنا بأسماء الكثير من دواوين شعراء
القرن الرابع الهجرى ونقل عنها ، ووصف الكثير منها ،
فأعاننا بذلك على تتبع ما قد ضاع منها ، وتجدد الأمل فى
امكان العثور على بعضها فى مظانها المذكورة بها عند
الثعالبى ، وبخاصة حين نشهد من الثعالبى هذا الاهتمام
الواضح بالبحث الدائم والتنقيب الدائب عن الدواوين
كقوله مثلا عن ديوان « سيدوك » : (ديوان شعره ضالتي
المنشودة ودرتى المفقودة ولا يأس من حصوله) (٣) ،
ويقول عن ديوان على بن المحسن التنوخى : (أخبرنى
أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد
أكبر حجما من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حال
بينه وبين تحصيله ، حتى قاته ، واشتد الأسف عليه . ولو
تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة ، لكنت أتفلسف

(١) يتيمة الدهر : ١ / ١٠٧

(٢) يتيمة الدهر : ١ / ٢٣٥ والواواء = أبو الحسن على بن الحسن
اللحام الحرائى أحد شعراء الدولة السامانية وكان يقيم فى بخارى العاصمة

(٣) يتيمة الدهر : ١ / ٢٣٥

في الانتخاب منه (١) *

ولقد استطاع الثعالبي بفضل جمعه بين (الدواوين)
والرواية ومواصلة الجهد الدائم للجمع والتوثيق ، أن
يحقق بعض الإضافات لعل من أهمها وأجلها روايته
لبعض القصائد (لشعراء البيتية) ليست مجردة في
دواوينهم ومنها قصيدة للمتنبى (٢) ، وأبيات للسري
الرفاء (٣) *

(ب) فأما الكتب التي تلى الدواوين الشعرية في أهميتها
كمصادر فأنها تشمل كتباً في الأخبار مثل كتاب (الفرج بعد
الشدّة) لأبي علي الحسن التنوخي (٤) (ت ٣٨٤ هـ) ،
أو كتباً في التاريخ مثل كتاب أبي اسحاق الصابي (٥)
(ت ٣٨٤ هـ) (في أخبار الدولة الديلمية) وكان عند الدولة
البويهية قد أمر أبا اسحاق بتأليفه ، واسمه (التاجي)
هذا إلى كتب الاختيارات الشعرية (٥) ، أو في أخبار
الشعراء والندماء (٧) *

-
- (١) بيتية الدهر : ٢ / ٢٤٢ وسيدوك هو أبو طاهر الواسطي ، من
شعراء العراق ، (ت ٣٦٣ هـ) - وانظر في ترجمته البيتية ٢ / ٣٤٢ ،
رفعات الوفيات لابن شاکر الكوفي (ط مجيئ الدين : ٢ / ٥٣٧)
(٢) بيتية الدهر : ١ / ٩٣
(٣) بيتية الدهر : ٢ / ١٠٣
(٤) هو نفسه صاحب (نشوار الحاضرة وأخبار المذاكرة) وكان من
أهم رواة الأخبار في القرن الرابع
(٥) إبراهيم بن هلال وكان من أشهر كتاب عصره ، وجعله عن الدولة
البويهية كتاب ديوانه ، وهو من الصافية ، وانظر أخباره في البيتية
٢ / ٣٢١ *
(٥) بيتية الدهر : ١ / ٢٥١
(٦) انظر البيتية ٤ / ٣٦١ *

ولقد كان من أهم العوامل التي هيأت للثعالبي قدرا حسنا من المصادر - وبخاصة الدواوين الشعرية - هو علاقته بأبي نصر سهل بن المرزبان وكان من الأدباء المشهورين في نيسابور ، التي استوطنها بعد (أصبهان) - بلده الأصلي - ويبدو من عبارات الثعالبي في ترجمته ، أنه كان أشهر أهل نيسابور حبا للثقافة والأدب ، من حيث اهتمامه الشديد بجمع الكتب ، وبخاصة دواوين الشعراء ، حتى أنه قصد بغداد أكثر من مرة لجلب الكتب والدواوين ، وأنفق في سبيل ذلك المال الكثير (١) .

ولا أدل على ما بذله (أبو نصر المرزبان) من جهد غير عادي في سبيل جمع واقتناء الكتب ، وعنايته الفائقة في نسخها من قول الثعالبي : (وليس اليوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجري مجرى التحف ، ولا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف إلا ومن عقده اذتثر ومن يدهه انتشر ، ولا بها سواء ومن تسمو همته على يساره) لارتباط الوراقين في داره (٢) .

كما كان ابن المرزبان من المؤلفين ، وتوثقت علاقة الثعالبي به ، حتى أن ابن المرزبان ألف لأبي منصور كتابا في (أخبار ابن الرومي) ايستعين به الثعالبي ، ويتخذ منه مرجعا في تأليفه (٣) .

(ج) التعاليق : تختلف التعاليق عن الكتب ، في كونها

(١) يتيمة الدهر ٤ / ٣٦٠

(٢) يتيمة الدهر : ٤ / ٣٦٠

(٣) يتيمة الدهر : ٤ / ٣٦٠ .

بمثابة مذكرات خاصة للمؤلف أو الأديب أو لأقرانه من العلماء وأهل الأدب ، يرجع إليها في نقوله وتأليفه ، ليجد في ثناياها ما ثبت فيها من المرويات أو مما نقله أو نسخه من الكتب .

وقد استعان الثعالبي في تأليفه ببعض هذه التعليقات وقد سبق أن أشرنا الى عبارة صدر بها ما جمعه من آثار شعراء الشام وهي قوله (باب كثرت على غرر تلقفتها من أفواه الرواة وتطرفتها من أثناء التعليقات) (١) . هذا الى استعانته بهذه التعليقات في مواضع أخرى من كتابه كقوله : (وجدت بخطي أبي بكر الخوارزمي) (٢) ، أو قوله (ثم وجدت في بعض التعليقات) (٣) . وواضح أن بعض ما رجع اليه أبو منصور الثعالبي من التعليقات كانت من نسخ غيره من العلماء والرواة الذين تهيأت له أسباب .

الرجوع اليها بحكم صلته بهؤلاء العلماء ، كقوله :

كتب لي بخطه صدرا منه (٤) .

(وجدت على ظهر دفتر عراقى) (٥) .

الثعالبي والنقد العلمي :

ومن الحق أن نعترف بأن الثعالبي أهم (راوية) في القرن الخامس الهجرى ، عنى بأثر أهل المائة الرابعة من النثرين والشعراء ، ومن الحق أيضا أن نعترف له بفضل

(١) يتيمة الدهر : ١ / ١٤٦

(٢) يتيمة الدهر : ١ / ٧٥

(٣) يتيمة الدهر : ١ / ٧٣

(٤) يتيمة الدهر : ٤ / ٣٨٨

(٥) يتيمة الدهر : ١ / ٨٦

التحقيق لمروياته ، ونقله وحسن تمحيصه لها فى مواضع كثيرة ، وتوثيقه اياها سواء منها ما نقله أو تلقفه من أفواه أهل الرواية والسماع .

ودليل ذلك نستقيه من اشاراته التى يزخر بها كتابه مثل :
(١) نعوته للرواة ، بما يفيد تجريحهم ، أو يشير الى توثيقهم وتعديلهم كقولهم كقولهم وهو غير ثقة فى الرواية والحكاية) . ولعل من أهم ما نعثر عليه من نصوص فى يتيمة الثعالبي . ذلك النص الذى أثبتته عند رواية وأخبار (الوأء الدمشقى الشاعر) فقد اعتمد فيما أثبتته لهذا الشاعر على الرواية الشفوية والنقل من ديوانه معا .

فعند نقله من الديوان (١) ، لاحظ بعض الزيادات التى اضافها اليه أبو نصر بن المرزبان ، فتوقف عن الأخذ بها ، لأن ابن المرزبان قد كان استعمل هذه الزيادات من رواية غير ثقة ، وقد رفض الثعالبي أن يطلق على هذا الرجل أفظ (الراوية) بل سماه (١) - القوال - ووصفه بأنه (غير ثقة فى الرواية والحكاية) (٣) .

(ب) من دلائل تحقيقه وتمحيصه أيضا تصريحه بما يفيد شكه فى المرويات ذاتها من حيث نسبتها الى قائلها ، كقوله فى أبيات نسبت الى عضد الدولة البويهى) . (وما ينسب اليه وإذا أشك فيه) (٤) وفى شكه - نراه حيناً يسوغ هذا الشك ويعلل أسبابه ودواعيه ، كما فى المثال المتقدم ،

(١) وهى المخطوطة التى استعارها من صديقه أبى نصر ابن المرزبان
(٢) يتيمة الدهر : ١ / ٢٣٥
(٣) يتيمة الدهر : ١ / ٢٣٥
(٤) يتيمة الدهر : ١ / ١٣٤

وحينا يدعم حكمه بالدليل كتعليقه على أبيات منسوبة الى
المحسن التنوخي بقوله : (وأنا مرتاب به لفرض جسوده
وارتقاعه عن طبقته) (١)

(ج) - كذلك عنايته بتوثيق مروياته عن طريق (الاسناد)
أن كانت رواية ، أو ذكر المصدر ان كانت نقولا ، مع
العناية بالاشارة الى أن الأبيات - مثلا - موجودة في ديوان
الشاعر ، أو غير موجودة فيه ، أو أنه مما لم يسمعه من
راوي ، ووجده في التعليقات الى غير ذلك (٢) .

تلك أمثلة قليلة انتقيناها من كثر مفرق في اثناء اليتيمة
وهي ناطقة بحرص أبي منصور على تقاليد أهل الرواية
وتحريه لمروياته ونقوله :

الثعالبى والانتحال :

سبق - في فصل افردناه لقضية الانتحال - أن تحدثنا
عن موقف كان - من وجهة نظرنا - من أهم مواقف النسطور
الأدبي في القرن الرابع الهجرى ، وذلك هو حيلة السرى
الرفاء الشاعر في دسه أشعارا للخالديين في ديوان
أبي الفتح كشاجم لعداوة كانت بين (السرى والخالديين) ،
ولرغبته في الوقت ذاته في رواج نسخ الديوان التى كان
يشتغل بتوريقها ولرغبته - وذلك الأهم - في السرد على
الخالديين الذين دأبوا على سرقة بعض آثار السرى ذاته .
كما سبق القول . والقضية على هذه الصورة بالغة
التعقيد من حيث أن السرقة فيها متبادلة بين طرفين . ومن

(١) يتيمة الدهر : ٢ / ١٣٠ وأنظر أيضا ٤ / ٩٠

(٢) أنظر مواضع مختلفة من اليتيمة مثل : ٤ / ٧٣ ، ٨٦ ، ١٠٧ ،
١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢ / ٢٠٢ ، ٤ / ٥٩ ، ١٢٨ ، ٣٨٨ ، الخ .

حيث ما فيها من الانتحال والنحل ، وفى الجملة فالجواهر فيها بالغة التعقيد .

أما بالنسبة للثعالبي فأن معاصريه لأطراف القضية ، واشتغاله بجمع آثارهم وأثار معاصريهم ثم حرصه على التحرى ، والانصاف العلمى مع تعدد مصادرهم وتباين وسائله . كان ذلك كله مما أعانه على أن يفصل فى القضية ، وأن يدلى فيها بقول واضح الحجة ، نقى المتقصد وتفصيل ذلك :

١ - أن الثعالبي قد تمكن من العثور على نسخة من ديوان كشاجم الشاعر ، واكتشف ما فيها من أشعار كشاجم المدسوسة ، وأمكنه أن يتعرف على خط السرى الرفاء ، وقد كان التعرف على الخطوط من الوسائل التى يجب أن تستقيم للعالم المحقق .

٢ - عثر الثعالبي على جملة من الدواوين التى تعينه على المقابلة والتحقيق العلمى وهى : -

(أ) ديوان الخالديين

(ب) ديوان السرى الرفاء

٣ - اكتشف جملة من الحقائق ، انتهى الى نتائج هامة نوجزها فيما يلى :

(١) اكتشف بالفعل سرقة الخالديين أبياتا من شعر السرى الرفاء ، وفى ذلك يقول (وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدى . . وأخيه أبى بكر محمد بن هاشم ، ورأيت فيها أبياتا كتبها أبو عثمان لنفسه وأخرى كتبها لأخيه ، وهى بأعيانها للسرى بخطه (١) .

(١) يتيمة الدهر : ٢ / ١٠٤

(ب) ولكني يؤيد ذلك ويدعمه ، جعل فصلا لشعر السرى في ذكر سرقة الخالدين منه وإغارتها عليه^(١) .

(ج) اكتشف في شعر أحد الخالدين - وهو أبو بكر - بعض القصائد التي دسها السرى الرقاء على كشاجم ، وذلك في إحدى النسخ التي أتتبع له العثور عليه^(٢) .

وبذلك أدلى الثعالبي بقول أولى التحقيق والانصاف في قضية من أغرب قضايا السرقة الأدبية التي شغلت أوساط الأدباء في عصره .

ومع كل ما قدمنا من ملاحظات نقف بها إلى جانب الثعالبي

فلا بأس - انصافاً للحقيقة العلمية أن نسجل عليه بعض الملاحظات ونوجهها فيما يلي :-

(أ) قلّة عنايته بالجانب التاريخي : إذ يغلب دائماً جانب الجمع الآثار على جانب ذكر التاريخ المتعلق بها كالمولد والوفاء والعصر . ولهذا نجد في كثير من الأحيان يورد بعض السطور العامة القليلة عن الشاعر ، مما لا طائل ورائها ، ثم يتبع ذلك بمرويات من آثاره^(٣) . بل قد يروي دون أدنى تعريف بالشاعر أو الكاتب^(٤) .

(ب) تساهله في بعض آثار أدباء الاندلس ، واعتماده

(١) بقيمة الشعر : ٢ / ١٦٨

(٢) بقيمة الشعر : ٢ / ١٠٥

وأحمد سميد المرادي ١ / ٩ والوزير ابن دريس ٢ / ٩ ، والصبي ٢ / ٢٥ وديرم كثير في الجزء الثاني بالذات .

(٣) أنظر مثلاً الوزير بن جهور ٢ / ٣ وابن عديم ٢ / ٥ .

(٤) أنظر مثلاً : هو الفهرقة بختيار : ٢ / ١٩٧

على مصادر ضعيفة ، جعلته موضع مؤاخذه أهل التحقيق من رواة العرب المسلم : من هذا مثلاً نسبته أبياتاً للحكم المستنصر الخليفة الأموي الأندلسي ، وليس له ، ثم زعمه بأن هذا الشعر من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر . ولقد استدرك ابن الأبار الأندلسي ذلك على الثعالبي ، فقال معقلاً على روايته تلك : وهذا من أغلاط أبي منصور وأوهامه الفاحشة^(١) ثم هلل سر هذا الغلط من الثعالبي بقوله عنه :

(حكى - لبعده مكانه - ما لم يحقق ، وروى عن لا علم له بشأنه ما لم يضبط)^(٢) .

ثم انتصر ابن الأبار لبعض المصادر الأندلسية في طهجة لا تغفل من عصبية عن نفس الأثر :

(مثل هذا النظم الفائق لم يكن لينيب عن أبي فرج صاحب (الحدائق) ، ولم يكن لينيب أيضاً عن أبي مروان ابن حيان جبهة أخبار المروانية ومؤرخ أخبارها السلطانية)^(٣) .

(ج) لم ينزه أبو منصور الثعالبي مروياته عن فاحش الآثار ، وبلى الأسماء ، فروى منها ما يعف العالم عن ذكره وتضمينه كتيبه^(٤) .

(١) الحلة السرياء (ط الشركة العربية ١٩٦٢) وبتحقيق الدكتور حسين مؤنس (١ / ٩) .

(٢) نفس المرجع والموضوع

(٣) الحلة السرياء : ١ / ١٠٩ (بتحقيق الدكتور حسين مؤنس)

(ط الشركة العربية ٦٤)

(٤) انظر مثلاً - البيعة : ١ / ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٢٧٧

الفصل الثالث

البلاغيون والرواية الشعرية

ابن رشيق : (ت ٤٥٠ تقريباً) ، وكتابه العمدة

تعريف :

هو أبو علي الحسن بن رشيق ، أحد علماء المغرب ورواته . وقد وصف في ترجمة له بأنه (أحد الأفاضل البلغاء) (١) . وقد كان ابن رشيق شاعراً نحويًا لغويًا أدبيًا حاذقًا عروضيًا كثير التصنيف حسن التأليف (٢) . وهو - في الأصل - من أهل مدينة من مدن إفريقية تعرف بالمحمدية . وأما أبوه رشيق ، فهو مملوك رومي لرجل من أهل المحمدية (٣) . ثم رحل ابن رشيق من المحمدية إلى القيروان وامتدح صاحب القيروان المعز ابن باديس الصنهاجي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ .

وعندما غزا العرب مدينة القيروان حيث يقيم ابن رشيق اضطر إلى التحول عنها إلى صقلية بطريق البحر ، ونزل بمازر - إحدى مدنها - فأحسن أميرها وفادته (٤) ، ثم

(١) شذرات الذهب : ٢٩٧/٣ .

(٢) معجم الأديباء : ٢١٠/٨ - ٢١٢ .

(٣) انباء الرواة : ٢٩٨/١ .

(٤) انباء الرواة : ٢٩٩/١ .

والمعز بن باديس تولى إفريقية وما والاها من الغرب ، وكان مملوكًا مدحا ورعيسا جليلا جوادا ، خلع طاعة خائفه بصر من يثر عبده وخطب للعباسيين (النجوم الزاهرة ٧١/٥) (ط دار الكتب المصرية) (١٦ - الشعر)

روى عن ابن رشيق مصنفاته قراءة عليه ، ومن بينها كتابه (العمدة) ، واسمه (العمدة فى صنعة الشعر) ، وظل ابن رشيق فى مدينة مازر الى أن مات بها فى حدود سنة ٤٥٠ هـ (١) .

وقد اتخذ أبو على ابن رشيق رواية له هو (أبو الحسن التميمى البزاز) المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (٢) .

العمدة والرواية :

العمدة فى المقام الاول كتاب نقد وبلاغة ، وصلته بالرواية تأتى من ناحيتين :

الأولى : أن الرواية قد صارت عمدة أهل الدراية من علماء البلاغة واللغة والنحو وغيرها . من حيث انها هيات لهم مصادر دراستهم ومادتها . ثم من حيث أن أهل الدراية من العلماء لا يستعينون الا بالمرويات الموثقة . ويلتزمون فى ذلك بتقاليد . الرواية لأنها عندهم أساس كل المعارف والعلوم .

الثانية : أن علماء البلاغة قد عرضوا الكثير من مسائل الرواية ، وربطوا بينها وبين علم البلاغة ، ومن ذلك ما قدمناه بشأن الانتحال ، ودور الرواية فى صقل الملكات الفنية . وهو ما لمناه منذ الشعاعات الأولى لفجر الرواية الشعرية خاصة .

ومظاهر الرواية فى العمدة تبدو فيما يلى :

(١) انباه الرواة ٣٠٢/١ .

(٢) على بن ربيعة المصرى البزاز ، وانظر فى ترجمته شرات الذهب ٣٦٤/٣ .
(العبر فى أخبار من ١٥٠/٣) وقد ترجمنا له فى حوالى سنة ٤٤٠ هـ

١ - في المقدمة : فيذكر انه قد عول في تأليفه للكتاب على القريحة فيما عدا النصوص التي رواها ، فقد اعتمد فيها على الرواية ، يقول ابن رشيق :

(وعولت في أكثره على قريحة نفسح ، ونتيجة خاطري خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، الا ما يتعلق بالخبر وضبطته الرواية ، فانه لا سبيل الى تغيير شيء من لفظه ، ولا معناه ليؤتى بالأمر على وجهه (١) .

٢ - كذلك من دلائل الرواية في كتاب العمدة عناية المؤلف بالحديث عن الحفظ في كثير من مواضع الكتاب ، وهو يجعل كلمة (الحفظ) مرادفا لكلمة (الرواية) .

ثم ان ربطه بين الحفظ - الذي هو الرواية عنده - وبين الفن هو تأكيد لمبدأ طالما سعى الرواة والبلاغيون معا الى تأكيده ، كما كررنا القول مرارا .

ومعنى هذا ان الرواة والبلاغيين منهم ما يزالون حتى هذه الحقة الزمنية متفقين على تلك الحقيقة .

يقول ابن رشيق موضحا أهمية الرواية بالنسبة للشاعر:

(وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريد من ذكر الآثار وضرب الأمثال ، وليلحق بنفسه بعض أنفاسهم ويقوى طبعه بقوة طباعهم) (٢) .

٣ كذلك ربط ابن رشيق بين الرواية وبين مصطلح

(١) العمدة مقدمة المؤلف (ص (٢) ط هندية)

(٢) العمدة ١/١٣١

(الفحولة الشعرية) فجعل الاولى اساسا للثانية : فالشاعر
الفحل هو الشاعر الراوية .

وهذا النوع من (التصور البلاغى) يؤكد أن مفاهيم
الرواية التى قررها أوائل الرواة ما تزال تعمل عملها فى
توجيه حركة الابداع الشعرى حتى هذه الحقبة المتأخرة من
احساب التاريخ . .

فان مصطلح (فحولة الشعراء) كان من المصطلحات
التي قررها أئمة الرواية الأدبية منذ القرن الثانى الهجرى :
رأينا ذلك مثلاً عند الأصمعى (ت ٢١٤ هـ) حين بنى على
هذا التصور النقدى كتاباً له أسماه (فحولة الشعراء) (١)
ومعنى هذا أن خط الارتباط بين (الرواية والبلاغة)
ما زال قائماً منذ أوائل حركة الرواية - مروراً بالقرنين
الثالث والرابع (٢) - حتى هذه الحقبة الزمنية ، يقول
ابن رشيق :

(فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل
أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار والتلمذة بمن عوفه
من الشعراء ، فيقولون : فلان شاعر راوية يريد أنه اذا
كان راوية عرف المقاصد . وسهل عليه مأخذ الكلام
ولم يضق به المذهب) (٣) .

(١) نشره عبد النعم خفاجى وطه محمد الزينى (ط الميرية) ، ويرى
بروكلمان أن هذا الكتاب هو جملة من التقييدات كتبها أبو حاتم السجستاني
من أجوبة شيخه الأصمعى على أسئلته ، وانظر بروكلمان ١٥٠/٢ .
(٢) وهو ما تجده عند ابن سلام فى طبقاته وابن تترية فى الشعر
والشعراء والجاحظ فى البيان وابن الأثيرين المعطب فى طقاته . واقتضى
الرجائى وغيرهم .
(٣) العدد : ١٣١/١

وابن رشيق ايضاً يجعل مصطلح (الشاعر الراوية)
مقابلاً لمصطلح آخر ، هو (الشاعر المطبوع) ، فالشاعر
(اذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث
لا يعلم ، وربما طاب المعنى ، فلم يصله ، وهو مائل بين يديه
لضعف آله ، كالمقعد ، يجد في نفسه القوة على النهوض
فلا تعينه الآله (١) . ومصطلح (الشاعر المطبوع)
المقابل لمصطلح (الشاعر الراوية) أخذه ابن رشيق من
القاضي الجرجاني ، الذي تأثر به في مواضع (٢) .

٤ - كذلك من دلائل الرواية عند ابن رشيق اعتماده
على الحفظ في مواضع من كتابه ، كقوله في صدر فصل
عقده في اخبار ملوك العرب (وأنا ذاكر في هذا الباب من
ملوك العرب من أخذه حفظي ، وبلغته روايتي على شريطة
الاختصار والتخليص) (٣) .

وفي مواضع ترد اشارة أخرى الى اعتماده على الذاكرة ،
التي لم تسعفه دائماً ، كقوله في موضع آخر (قد
كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر
وشحن القرية له فلم أثق بحفظي حتى صححته ، فأثبتته
بمكانه من هذا الباب (٤) .

ابن رشيق والتحقيق العلمي :

وكان موضوع (الانتحال) من أهم الموضوعات التي

(١) العمدة : ١٣/١ ، وانظر في موضوع النحولة اقوالاً لرؤية
ابن الحاج ويونس بن حبيب في العمدة ١٣١/١ ، وانظر ايضاً المزهـر
للسيوطي ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥ ففيه كلام حسن عن صلة الرواية بالشاعرية .
(٢) انظر - مثلاً - الرسالة (مقدمة القاضي الجرجاني)
(٣) العمدة ١٧٥/٢ .
(٤) العمدة : ٢٩/٢ .

طرحها ابن رشيق في (العمدة) وربط بين الانتحال ،
وبين السرقات الشعرية ، بما يشكل دلائل امتزاج
الرواية بالبلاغة في نهج صاحب العمدة (٤) .

وقد أورد ابن رشيق عددا من المصطلحات ، جعلها
أنواعا للسرقة ، منها : الاضطراب ، والاختلاب ، والاغارة ،
ثم الاغارة والغصب والمرافدة ، والاختلاس . ثم جعل
(الانتحال) أحد أقسام السرقة الشعرية (٢) .

وقد شرح ابن رشيق هذه المصطلحات وحددها .
فالاضطراب : هو أن يعجب الشاعر بببيت من الشعر
فيصرفه الى نفسه .

فإذا صرفه اليه على جهة المثل ، فهو اختلاب واستلحاق
وإن دعاه جملة فهو انتحال ، ولا يقال (منتحل) إلا لمن
ادعى شعرا لغيره ، وهو يقول الشعر . وأما أن كان
لا يقول الشعر فهو مدح غير منتحل . وإن كان الشعر
لشاعر أخذ منه ، غلبة فتلك الاغارة والغصب ، وبينهما
فرق (٠٠٠) (٣) .

وقد كان ابن رشيق في تصحيحاته وتصويباته العديدة
يستخدم معايير متباينة مثل : المعيار الفني الذي هداه الى
حسن استخدامه بصره بدروب البلاغة ومسالك الرواية
معا ، فاستطاع به أن يميز شعر الشاعر من غيره ، وأثار
المحدثين من آثار القدماء ، ويسهم في تخليص الآثار الشعرية

(١) نفسه .

(٢) وانظر الصفحات : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ من الجزء الثاني
لنقف على الشواهد ومزيد تفصيل .

من فوضى الفساد والتخليط (١) . ومن الملاحظ أن ابن رشيق قد توسع في استخدام هذا المعيار . كما اعتمد معايير أخرى سوى المعيار الفنى مثل (شهرة الرواية وتداولها بين شيوخ الآثار) (٢) .

ومن معاييرها أيضا استخدام (الضوابط المتعارف عليها عند أهل اللغة) كقوله (المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشبيب الا قصيدة دريد ابن الصممه) (٣) .

وهكذا يتأكد لنا أن الرواية ما تزال قائمة نشطة في القرن الخامس الهجرى . وأن البلاغيين في هذه الحقبة كانوا من شيوخ الرواية الذين تمارسوا بها ، واستخدموا تقاليدها .

(١) انظر - مثلا - ١٨٥/١ ، ٣٢/٢ ، ١٢١/٢ ، ١٩١ ، ٢٢٥ .

(٢) انظر ١٠١/٢ .

(٣) العمدة : ١٢١/٢ .

الفصل الرابع

صناع الدواوين والشرح

تميز القرن الخامس أيضا بظاهرة النشاط الملحوظ في شرح ورواية دواوين الشعراء ، وكان من أكثر الدواوين اهتماما من جانب الرواة الشراح ، دواوين أبي تمام والمتنبي ، التي شرحها أمثال المعري وأبي المظفر الهروي ، وأبي حكيم الخبزي ، وغيرهم .

كما عني الشراح الرواة أيضا بالاختيارات الشعرية ، تلك التي تمثلت في حماسة أبي تمام ، واختيارات المفضل الضبي الشهيرة ، ومن أشهر الرواة الشراح عناية بهما أحمد بن محمد المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) .

كذلك اتجه الرواة الشراح اتجاهات أخرى شملت بعض المصادر الأدبية الهامة في القرن الرابع الهجري ، مثل : نوادر أبي علي القالي ، التي عني بشرحها أبو عبيد البكري . ولم تنوِّف حركة (صنع الدواوين) ، بل اتخذت خلال المائة الخامسة شكلا جديدا هو أن يصدر الشاعر أكثر من ديوان له ، كل ديوان يضم جملة من قصائده ، ويحمل عنوانا معيناً ومحددا .

وقد كان أبو العلاء المعري أبرز من اتجهوا تلك الوجهة الجديدة ، حين أصدر ديوانيه : الزند ، ولزوم ما لا يلزم . وإلى جانب الشرح والتجميع ، وجد الاشتغال المتخصص

برواية الدواوين ، كما فعل أبو سعيد بن دوست الذى ذكر صاحب البغية فى ترجمته أنه (سمع الدواوين وحصلها) كما يمر ذلك فى ثبت الدواوين . . .

وعندما نلقى نظرة على ما أمكن جمعه من الدواوين والآثار الأخرى شرحا ورواية يستوقفنا جملة من الملاحظات يمكن أن نوجزها فيما يلى :

(١) ما زال الاشتغال برواية الآثار الشعرية قائما ونشيطا خلال القرن الخامس الهجرى .

(٢) - ان العناية بالدواوين تمثل تيارات ثلاثة :

(أ) تيار العناية بآثار القدماء عامة والجاهليين خاصة .

(ب) تيار العناية بآثار المحدثين وبالذات (أبو تمام) والمتنبى والبحتري .

(ج) تيار المعاصرين لرواة القرن الخامس . كالمعري وابن حزم الظاهري .

٣ - أن الشراح من الراة يمثلون اتجاهاً متميزاً خلال القرن الخامس . حيث كثرت فيه الشروح وكثرت فيه الرواة الشراح وأهمهم التبريزي والمرزوقي والمعري والبطلينوسي .

٤ - لا نلاحظ أثراً لمنهج حمزة الأصفهاني الذى وضعه فى ترتيب القصائد حسب الأغراض ، وإنما ظل النفوذ السائد لمنهج (ترتيب القصائد على حروف القافية) .

٥ - الشعراء يصنعون دواوينهم بأنفسهم ، ويختارون لها عناوين خاصة ، ويجعلونها فى أكثر من جزء ، فأبو العلاء

المعري يضم أشعاره في (سقط الزند) (١) و(لزوم ما لا يلزم) يضم الأول آثار شبابه ، ويجمع الثاني أشعار ما بعد الشباب .

وهذه ظاهرة جديدة كان المعري هو البادئ بها .

٦ - ظاهرة أخرى جديدة بالملاحظة : وهي أن بعض الشعراء قد أثر أن يضم قصائده في نسختين ، أحدهما معربة والأخرى مجردة من الأعراب ، كما فعل أحمد بن المطرف بديوانه (٢) .

٧ - كذلك تنوعت اتجاهات العناية بالآثار ، فالى جانب الدواوين ، وجدت الاختيارات ، ووجدت أيضا القصائد المفردة .

فأما الاختيارات ، فمنها ما هو قديم مأثور كالمفضليات وحماسة أبي تمام . . ومنها ما هو مستحدث ، عمله رواة القرن الخامس ، مثل (مختار الأشعار والآثار) الذي صنعه البيروني (ت ٤١٢ هـ) .

وأما القصائد المفردة ، فإن من أشهرها قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) ، التي تمثل عناية رواة القرن الخامس بلون خاص من الآثار ، سيوثنونه تلامذتهم ومن خلفهم الشعراء ، فيما بعد القرن الخامس .

هذه العناية تتمثل في قصيدة كعب التي سيشغل بها رواة الشعر الديني ثم يظهر أثر روايتهم أياها في حركة الابداع الفني في الشعر الديني ممثلا في قصيدة (بردة

(١) انظر مقدمته لديوان سقط الزند (تحقيق لجنة احياء آثار أبي العلاء .
(٢) ذكر ياقوت أن ديوانه (يكون في ألف ورقة) معجم الادبياء / ٦٤ .
ونقل البيهقي ترجمة ابن المطرف عن ياقوت ولم يتعرض لتكرار الديوان وانظر بغية الوعاة ١ / ٢٩١ .

البوصيرى) وما جاء على شاكناها . وسيرد ذلك بمزيد تفصيل .

٨ - لم يكن من ورد لهم ذكر فى (رواة الآثار الشعرية) هم كل من عرفهم القرن الخامس من الرواة . فعداهم آخرون ، لكن لم يقدر لهم من الشهرة ما قدر لاولئك المذكورين . والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين لم يتردد ذكرهم كثيرا قد اقتصرنا على الرواية فيما يبدو ، دون أن يخلقوا وراءهم مصنفات تلفت الانظار اليهم .

من هؤلاء (ابن الخالة) والذى يعرف ايضا بابن بشران وهو محمد بن أحمد النحوى ، وكان من علماء العراق فى القرن الخامس . (توفى بواسط عام ٤٦٢ هـ) (١) . ونحاول فيما يلى دراسة جهود أشهر الرواة الشراح خلال تلك الحقبة .

ابو زكريا التبريزى :

وفى هذه الدراسة محاولة فيها بعض التفصيل لتناول جهد أبى زكريا التبريزى ، الذى نعهده - من وجهة نظرنا - فى مقدمة (الرواة الشراح) فى القرن الخامس ممن أثرت عنهم مؤلفات : فهو أوفى نصيبا من المؤلفات كما يتضح مما ذكرناه فى الثبوت الذى صدرنا به هذا الفصل ، كما جمع بين الدواوين والاختيارات والقصائد المفردة .

وهو أبو زكريا يحيى بن على بن محمد بن الخطيب التبريزى . ويرى ياقوت الحموى فى معجمه أن لقب (الخطيب) الذى اشتهر أبو زكريا به إنما هو من قبيل الغلط .

وقد كان أبو زكريا التبريزى أحد الأئمة فى النحو واللغة والأدب ، كما وصفه ياقوت بأنه كان حجة ثبوتا ، وعنه نقل ذلك

(١) انظر فى ترجمة معجم الادباء : ١٧ / ٢١٤ وبغية الوعاة : ١ / ٢٦ .

صاحب (بغية الوعاة) .

أما شيوخه : فإن أشهرهم أبو العلاء المعري كما قدمنا - من قبل - وكان التبريزي قد رحل اليه في معرة النعمان ، وروى عنه . كما تخرج التبريزي - أيضا - بشيوخ سوى المعري ، من بينهم عبد القاهر الجرجاني وابن الدهان وابن برهان والمفضل القصباني .

وقد تخرج التبريزي بالحديث عن عادة علماء العربية ، الذين كانوا يرون في الحديث مدرسة تكسبهم الثقة ، وتدريب فيهم ملكات التمهيص والتحري والضبط . وتكسبهم من الورع والحرص ما يجنبهم عثرات كثيرة وكان من أشهر شيوخ التبريزي في الحديث عالمان :

أولهما : الخطيب البغدادي محدث عصره وصاحب تاريخ بغداد ورسالة (تقييد العلم) في أدب الرواية .

والثاني : هو أبو القاسم التنوخي الذي تعرف به عن طريق أبي العلاء المعري ، كما سبق القول .

وأما أشهر تلاميذ التبريزي فهو (أبو منصور الجواليقي) شيخ أبي البركات بن الانباري (ت ٥٧٧ هـ) وصاحب (المعرب) الذي لم يعمل في جنسه أكبر منه (١) ، وواحد من أكبر أهل الرواية في القرن السادس الهجري .

والتبريزي إلى ذلك كله ، عالم بالأنحور واسع العلم فيه عميق البصر بمسائله ، متمرس بدرويه وخلافاته ، يتضح ذلك لمن رجع إلى شرحه لحماسة أبي تمام ، أو إلى شرحه للقصائد العشر . حيث تزخر بالكثير من المناقشة والتوجيه

(١) كانت وفاته سنة ٥٢٩ في خلافة المقتضي لأمر الله تعالى (نزهة الألبا ، ٢٩٧ ، ٢٩٨) .

والنأويل والتجريح ، مما اشتهر به أولو الدربة من النحاة (١) .

ونتداول هنا كتابه (شرح القصائد العشر) على سبيل الشاهد والمثال لجهد أحد الرواة الشراح في القرن الخامس . ففى مقدمة الكتاب أوضح لنا مصدحه الخطوط الرئيسية التى تشكل اطار شرحه ومنهجه وهى :

١ - اضافته قصيدة عاشرة الى القصيدتين اللتين كان أبو جعفر النحاس (ت ٢٢٨) قد أضافهما فى القرن الرابع ، وهما قصيدتا الديباجى الدالية ، والأعشى اللامية . وأما قصيدة عبيد بن الأبرص البائية - وهى تمام العشر - فهى التى زادها التبريزى فى مجموعته .

ومعنى ذلك أن جهد الرواة الأوائل كان له امتداد الى هذه الحقبة ، فحماد يجمع (القصائد السبع) فى القرن الثانى فيضيف إليها أبو جعفر النحوى المصرى قصيدتين ، وذلك فى القرن الرابع ، ثم يضيف إليها - فى القرن الخامس - أبو زكريا التبريزى قصيدة . وذلك يعنى أن الجهود متواصلة ، والرواية متصلة وأثر القدماء ما تزال تعبر أجواز الزمن ، وتلقى من ضروب العناية من الرواة الشئ الكثير .

٢ - أن التبريزى فى شرحه ، قد خالف نهج السابقين واختط لنفسه طريقاً متميزة : فشروح السابقين قد طالت بإيراد اللغة الكثيرة والشواهد عليها . بينما يأتى نهج التبريزى ليقى بغرضه الأساسى من شرحه وهو :

(١) معرفة الغريب .

(٢) سيورد ذلك فى شواهد فسوقها .

- (ب) معرفة المشكل من الاعراب .
- (ج) ايضاح المعاني .
- (د) تصحيح الروايات وتبيينها .
- (هـ) ايراد ما لا بد منه من الشواهد .

٣ - هذا مع الاقتصاد والاعتدال ، فلاتطويل يمل ، ولا
تقصير بالغرض يخل (١) .

تلك هي الخطوط الرئيسية لشرح التبريزي سقناها
مجملة . ثم نتناول بضعها فيما يلي بشيء من التفصيل

فالنحو - مثلاً - تأتي مسأله على النهج التالي :

(١) أن يأتي على صورة اعراب لتوضيح أسباب
الضبط ، كتوضيح سبب مجيء الفعل (نيك) ، هكذا محذوف
الياء في قول امرئ القيس (قفا نيك) ، والسبب أنه مجزوم ،
لأنه جواب الطلب ، والجيد أن يقال : نيك جواب شرط مقدر
كان التقدير قفا ان تقفا نيك لأن الأمر لا جواب له في
الحقيقة .

(ب) أن ترد مسائل النحو على صورة (تخريج لما
خالف ظاهرة القاعدة) . مثال ذلك في قول الشاعر لبيد في
معلقته :

باتت وأسبل واكفا من ديمة
يروى الخمائل دائماً تسجامها

(١) مقدمة المؤلف (ص ٤٥) .
(٢) شرح القصائد العشر (ص ٤٩) ، تحقيق محمد يحيى الدين
عبد الحميد .

فإن لبيد في هذا البيت لم يأت بخبر الفعل (بات) • وهنا يحاول التبريزي أن يلتمس لذلك وجوها من التخريج : فيقول (فالمعنى باتت بهذه الحال ، ثم حذف لعلم السامع ويجوز أن يكون (باتت) بمعنى (دخلت في البيت) فلا تحتاج الى خبر ، كما تقول (أصبح) اذا دخل في الصباح ، ونصب (دائما) مع أنه حال من المضمرة الذي في « يروى » ورفع تسجামها بدائم ، ويجوز رفع دائم على أنه خبر الابتداء قدم ، ويكون المعنى « تسجامها دائم » ، ويجوز أن تنصب دائما على الحال من وجه آخر • ويكون المعنى يروى « تسجامها » دائما • وهكذا يسرف التبريزي في التماس التخريجات وذكر الأوجه • لأنه كان يحرص على الربط بين مسائل النحو وتفسيره للآبيات (١) •

(ج) أنه - أيضا - يروى البيت الواحد بروايات مختلفة ويشير لأوجه التخريج لكل رواية على حدة ، وبخاصة اذا كان البيت الذي يعرض لرواياته وتخريجاته من شواهد النحويين •

ومثال ذلك في شرحه لقول امرئ القيس :

وان شفاثي عبرة مهراقة

فهل عند رسم دارس من معول

هنا يذكر التبريزي أن سيبويه قد روى البيت (وان

(١) شرح القصائد العشر (ص ٢٧٦) •

• شفاء عبدة)

وقد روى سيبويه البيت على هذه الصورة شاهداً على أن النكرة يخبر عنها بالنكرة (١) •

ومما ورد في قصيدة طرفة - من شواهد النحو - قوله :
ألا أيهذا اللأثمى أحضر الوغى •

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فالبيت يروى بفتح (أحضر) وبضمها • يقول التبريزي :
(فمن رواه على النصب ، فهو على اضممار (أن) • وأعمله ، فكأنه أضم بعض الاسم •

ومن رواه بالرفع ، فهو على تقديرين : أحدهما أن يكون قدره (أن أحضر) ، فلما حذف (أن) رفع • والقول الآخر في رفع (أحضر) أن يكون في موضع الحال ، وأن يكون (وأن أشهد) معطوفاً على المعنى •

وهكذا يروى التبريزي أبياتاً من القصيدة بروايات مختلفة ، ملتصقاتها وجوها من التفسير والتخريج ، مستعينا بمسائل النحو ، وهو - بها - ريان ممثلي •

ولا يقف التبريزي عند الخلاف اللفظي لأروايات ، بل

(١) شرح القصائد العشر (بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ص ٨٩ وانظر مواضع مماثلة في ١٠٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٠ ، الخ •

الى (الروايات الزائدة للأبيات) ، ويناقشها ، ويشير الى المنحول منها والصحيح .

مثال ذلك اشارته الى أبيات أربعة ، أثبتتها بعض الرواة وفى معلقة امرئ القيس بعد قوله :

كان الثريا علقت فى مصامها

بأمراس كتان الى صم جندل

فانه يعقب على هذه الرواية بقوله (وزعموا أنها لتأبط شرا) ، كما أشار الى زيادات أخرى فى معلقة طرفه برواية جرير ، وعددها بيتان ، ثم قال (وقيل :أنهما لعدى بن زيد) .

ولم يكن التبريزى - فيما أورده من الروايات ، وما أثاره من مناقشات للروايات - يتقيد بمذهب معين . ولا أدل على هذا من أنه روى عن أبى عبيدة ، والأصمعى ، على ما بين الراويين من خلاف فى رأى : كما يجتمع بين روايات بصرية وأخرى كوفية وثالثة بغدادية .

هذا الى اسناده لرواة من عصور مختلفة فى القرن الثانى وما بعده . من أمثال : الأصمعى ، وأبى عبيدة ، وابن الأنبارى ، وأبى جعفر النحاس .

وبعد . فالكتاب مصدر هام للروايات المختلفة فى القصائد العشر الجاهلية ، ومصدر أيضا لتخريجاتها وتفسيرها .

لكن يؤخذ على التبريزى - فيه - اغراقه فى مسائل النحو (١٧ - الشعر)

واللغة ، وعرضه لوجه الخلاف * وبذلك ، لازمه العيب الذى
لازم جمهور الرواة الشراح للأثار الشعرية ، وهو عدم الالتفات
لمواطن الجمال التعبيري ، والاقتصار على الشكل اللغوى ،
الذى يباعد بين القارئ وروح النص *

ثبت بالداوين والشروح في القرن الخامس الهجري

الأثر	مصادره وملاحظات
لزوم ما لا يلزم سقط الزند (كلاهما للمعري)	والديوانان جميعهما للمعري ، وذكرهما صاحب إنباء الرواة وروى أنه شاهدهما بنفسه ضمن مجموعة كبيرة من كتب أبي العلاء واقفانا بها في كتابه : (إنباء ١ / ٦٧) .
ديوان شعر أحمد بن مطرف المصقلاني (ت ٤٤٣ هـ)	جمعه بنفسه على نسختين ، وروى عنه قبل موته إتساراً ومناولة وإذنا : (معجم الأدباء ٥ / ٦٤ وبقية ١ / ٢٩١)
ديوان القسطلي الأندلسي (ت ٤٦٧ هـ)	جمعه المرقسطلي : أبو صالب محمد بن إبراهيم القيسي عاش إلى سنة ٤٩٠ هـ ورتبه على حروف المعجم ، وزاد فيه كثيراً على ما بأيدي الناس (التكملة لابن الأبار ١ / ٤٠٤) وقرر ابن الأبار أنه شاهد نسخة منه بخط المرقسطلي .
الحسن بن المظفر ديوان شعره (ت ٤٤٢ هـ)	شيخ الزمخشري وراوية حوازم في عصره . بقية الوعاة ١ / ٥٢١
أبو سعيد بن دوست (ت ٤٣١ هـ)	سمع الداوين وحصلها (بقية ٢ / ٨٩)

كتب بالدواوين والنروح في القرن الخامس الهجري

الأثر	مصادره وملاحظات
القصباني = أبو القاسم الفضل بن محمد (ت ٤٤٤هـ)، وله (الصفوة في أشعار العرب).	وانظر بنية الوعاء ٢ / ٢٤٦.
ديوان ابن حكم الغزال واسمه يحيى بن حكم (ت ٢٥٠هـ)	وتد جمع هذا الديوان جيب بن أحمد التلمجيري القرطبي (ت ٤٣٠هـ تقريباً) ورتبه على الحروف (جذوة المقتبس ١٩٩).
شرح ديوان الخاسه لثابت بن محمد الجرجاني (ت ٤٣١هـ) من أهل خرناطة.	معجم الأدباء لياقوت ٣ / ٢٩٨ بنية الوعاء ١ / ٤٧٢.
البطايوس = أبو بكر عاصم بن أيوب (ت ٤٩٤هـ) شرح ديوان الشعراء الستة الجاهليين	ذكره بروكلمان في موضعين = ١ / ٨٨، ١٠٠ وذكر صاحب البنية (٢ / ٢٤) أنه شرح المعلقات.

ثبت بالدواوين والشروح في القرن الخامس الهجري

الأثر	مصادره وملاحظات
المعري = أبو العلاء أحمد ابن عبد الله التنوخي (ت ٤٤٩ هـ) شرح الحماسة ودواوين المتنبي والبعثري وأبي تمام	بغية الوعاة ١ / ٣١٧ .
سلمان بن عبد الله الحلواني (ت ٤٩٤ هـ) شرح ديوان المتنبي	بغية الوعاة ١ / ٥٩٥ .
البيروني = محمد بن أحمد أبو الريحان رت (٤٢٢ هـ) شرح شعر أبو تمام ولم يتمه	بغية الوعاة ١ / ١٥ .
ابن الأفلح = أبو القاسم إبراهيم بن محمد شيخ الأهل الشلمنري ومساعدته في تصنيفه (ت ٤٤١ هـ) شرح ديوان المتنبي	وفيات الأعيان ٢ / ٤٦٥ . وانظر معجم الأدباء ١ / ٣١٦ . انظر بغية الوعاة ١ / ٤٢٦ . انظر شذرات الذهب ٣ / ٢٠٦ .

ثبت بالدواوين والشروح في القرن الخامس الهجري

الأثر	مصادره وملاحظات
شرح حاسة أبي تمام لأبي القاسم الفسوي (ت ٤٦٧هـ)	بغية الوعاة ١ / ٥٧٣
شرح ديوان المتنبي لأبي عبد الله بن أبي طالب النحوي	بغية الوعاة ٢ / ٥٩٥
أبو حكيم الخبزي (ت ٤٧٦هـ) شرح الحاسة وديوان البحترى والمتنبي والرضي والموسوي	بغية الوعاة ٢ / ٢٩ إنباه الرواة ٢ / ٩٨ تلخيص ابن مكنوم ٨٨ كشف الظنون ٦٩٢ ، ٧٧٩
أبو عبيد البكري (ت ٤٧٧هـ) شرح نوادر القالي	بغية الوعاة ٢ / ٤٩
المرزوقي = أحمد بن محمد ابن الحسن الإمام المرزوقي (ت ٤٢١هـ) شرح أشعار هذيل والمفضليات والحاسة	بغية الوعاة ١ / ٣٦٠ معجم الأدباء ٥ / ٢٣٤ وذكر ياقوت أنه وجد خط المرزوقي على كتابه (شرح الحاسة) وقد قرئ عليه في شعبان سنة ٤١٧هـ .

ثبت بالدواوين والشروح في القرن الخامس الهجري

الأثر	مصادره وملاحظات
ابن سيده = أبو الحسن على بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) شرح المتنبي وهو مختصر من شرح المعري المسمى (اللامع العزري)	روكبان ٢ / ٨٩٠
الأنبى في شرح الخواصة	شذرات الذهب ٣ / ٣٠٦
أبو المظفر الهروي = محمد ابن آدم بن كمال (ت ٤١٤ هـ) - شرح ديوان المتنبي - شرح ديوان الخواصة	بغية الوعاة ١ / ٧
أبو الحسن محمد بن عبد الله الدلقى (٤٦٠ هـ) وصحفه ناشر الصبح المتنبي إلى الدلقى بالقاف والتصويب من ياقوت والبغية	بغية الوعاة ١ / ١٢٨ وانظر معجم الأدباء ١٨٠ / ٢٠٧ الصبح المتنبي ٢٠٨
الخيدى = أبو عبد محمد بن (ت ٤٧٨ هـ) صنع ديوان ابن حزم (ت ٤٥٠ هـ)	والديوان على حروف المعجم وانظر جزوة المقيس ٣٠٩

الفصل الخامس القرن السادس

لا يكاد القرن السادس الهجرى يختلف فى ملامحه التاريخية عن القرن الخامس ، فالاحداث التاريخية ذات الشأن تمتد على المدى الزمنى للقرنين معا . فالحروب الصليبية ظلت - فى مرحلتها الاولى - ما بين عام ٤٩٢ هـ الى عام ٥٨٢ هـ ، واحداث السلاجقة العظام ، وكرمان والشام والعراق وكردستان وبلاد الروم ، قد ظلت ثلاثة قرون وهو عمر دولتهم على الاجمال .

واذا علمنا أن بداية هذه الدولة كان فى عام ٤٢٩ هـ وأن نهايتها فى عام ٧٠٠ هـ ، استطعنا أن نثبت أن دولة السلاجقة ممتدة أيضا عبر القرنين الخامس والسادس، منتهية مع نهاية القرن السابع .
كذلك عندما ندرك أن العصر العباسى فى دوره الثالث قد بدأ فى عام ٤٤٧ هـ ، وانتهى عام ٦٥٦ هـ ، أدركنا الى جانب هذا ، مدى اندراج القرنين معا فى اطار تاريخى واحد .

فاذا اتجهنا صوب (الفكر والأدب) فى القرن السادس لاحظنا نشاطا ملحوظا فى هذا القطاع الحضارى المتميز فى تاريخ الأمة الاسلامية ، يتمثل ذلك - فيما يتمثل - فى كثرة

التأليف الأدبية ، وفي مقدمتها تلك التي مشيت في ركاب
يتيمة الدهر وحاذتها ، وانتهجت نهجها ، فقد ظهرت دمية
القصر « للباخرزى » ذيلا على « اليتيمة » و (زينة دمية
الدهر) ذيلا على الدمية وذلك في القرن الخامس . ثم تأتي
الخريدة في النهاية ذيلا على الزينة ، وذلك من خلال القرن
السادس الهجرى .

وسوف نرى أن هذه السلسلة من التأليف ، تمثل ظاهرة
الاتصال العلمى ، الذى حققته الرواية .

أما الرواية ، فإنها بقيت محتفظة بوجودها ونشاطها ،
بل جد فيها جديد يؤكد وجودها ونشاطها . فهناك رواة
الدواوين وصناعها والرواة للأشعار تزخر بهم الحياة فى
أنحاء مختلفة ، وبخاصة العراق والأندلس ، وهؤلاء الرواة
للآثار الشعرية ، سوف نلاحظ أن بينهم من اختص بالرواية ،
ومنهم من مارسها غير مختص بها ، وإنما دفعه الى ذلك
شغف بالأدب ومجاعة لعناية أهل صقعه بالرواية .

وسوف نلاحظ ظهور رواة حققوا فى مجال الرواية
الأدبية أثارا بعيدة المدى ، ويقف فى مقدمة هؤلاء الرواة
أبو طاهر السلفى . وإذا كانت الحروب الصليبية قد
أثمرت أثارا شعرية فى أغراض ترتبط بتأثيرها ، فإن الرواية ،
الأدبية لم تتخلف عن حفظ هذه الآثار وتوثيقها وحملها على
متن التناقل والذبوع ، وسيلعب (أسامة بن منقذ) وال
منقذ بصفة عامة دورا كبيرا فى رواية مثل هذه الآثار ،
ولم تقتصر العناية على آثار المعاصرين فى القرن
السادس الهجرى ، بل عنى الرواة بنوعين آخرين من الآثار

أولا : آثار القدماء فى الجاهلية والإسلام .

ثانيا : آثار الحديثين ، وفى مقدمتهم البحتري وأبو تمام

والمتنبى . كما لقيت حماسة أبى تمام أيضا عناية خاصة من
رواة المائة السادسة .

ولا ينبغي أن نترك الحديث التمهيدى عن الرواية فى
القرن السادس الهجرى ، قبل أن نشير الى ظاهرة جديدة
كل الجدة فى مجال رواية الآثار الأدبية . . .

تلك : هى محاولة التأليف فى أصول الرواية الأدبية وتقرير
هذه الأصول والقواعد وتأكيدهما فى الأذهان على نمط
ما فعل المحدثون فى علم مصطلح الحديث ، وقد حقق هذا
الاتجاه كمال الدين بن الانبارى (ت ٥٧٧ هـ) فى كتابه
(لمع الأدلة) .

وسوف نرى كيف أن « لمع الأدلة » للانبارى ، قد كان
مسبقا بمحاولة أخرى لابن جنى فى القرن الرابع . لكنها
محاولة ضئيلة للغاية ، لا تكاد تقاس بما قدم صاحب اللمع .
كما وجد أيضا فريق من الرواة كانوا يختصون بالانشاد
أثار الشاعر بين يدى الكبراء ، وكان هذا الفريق يشكل
أحد المصادر التى رجع العلماء الجماعون اليها للأخذ
والرواية . ويحدثنا صاحب الخريدة عن أحدهم فى معرض
استناده اليه فيقول : أنشدنى الشيخ المؤدب المقرئ
أبو اسحاق إبراهيم بن المبارك البغدادى سنة ٥٥١ هـ ، وكان
رواية الشعراء ، ينوب عنهم فى الانشاد بين يدى
الكبراء (١) .

(١) خريدة القصر لابن العماد (قسم العراق بتحقيق العلامة بهجة
الأثرى ط بغداد)

كذلك كان لظهور شاعر الأندلس ابن خفاجة دور كبير في تنشيط حركة رواية الآثار الشعرية ، فقد ذكر ابن الأبار بعضهم ، وترجم له (١) .

كما رحل الى ابن خفاجة رواة من شتى أصقاع الأندلس فحملوا عنه ديوانه ، واذاعوه في الافاق وقد ذكر ابن الأبار بعضهم أيضا (٢)

وفيما يلي من المواضيع دراسة مفصلة لأبرز اتجاهات الرواية التي ظهرت في تلك الحقبة ، نأخذها بقدر من العناية .
أحد أثر أخرى بادئين باتجاه الأصوليين .

أولا : الأصوليون :

أبو البركات كمال الدين بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) .

ونعني بالأصوليين أولئك الذين بدأوا يؤلفون في أصول رواية الأدب ، وأول ما ظهر ذلك كان في القرن السادس الهجري على يد كمال الدين بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) .

ونقول أول ما ظهر ، لأن ما كان قبل كمال الدين بن الأنباري لم تكن كتباً مؤلفة في الأصول ، وإنما هي مجرد عبارات وإشارات وجيزة في تضاعيف الكتب لا تعدو أن تكون أحكاماً بشأن بعض الرواة : بالحكم لهم

(٢) انظر : التكملة ٧٨/١ (ابن جروطة) و (ابن عباد)

١٥٢/١ (ابن قرقول) .

(١) انظر التكملة : ٣٠٥/١ (ابن غبون) ت ٥٨٩ هـ .

٣٢٦/١ (أبو ربيع ابن سالم شيخ ابن الأبار)

٧٢٥/١ (الأركش) ت ٥٨٦ هـ .

وانظر أيضا : المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٣١٦/٢ .

تفح الطيب للمقرئ ٤١٣/٢

توثيقاً وتعديلاً ، أو بالحكم عليهم طعننا وتجريحاً .

ولا نعلم أنه قد كتب منه شيء قبل الذي أورده الجاحظ في تضاعيف كتبه ، وهو قد توفي سنة ٢٥٥ ، وليس غيره أولى بأن يكون أول من اقتحم هذا الباب من الكتابة (١) وإن كان ما أورده قليلاً لا حفل به ولا قدر له .

ثم جاء بعد الجاحظ اصحاب كتب الطبقات ، كالمررد (ت ٢٨٥ هـ) في (علماء البصرة) ، وأبى الطيب اللغوي (٢) (ت ٣٣٨ هـ) في (مراتب النحويين) والسيرافي (ت ٣٦٨ هـ) في (طبقات النحاة البصريين) (٣) . وأبى بكر الزبيدي الاندلسي (ت ٣٧٩ هـ) صاحب (طبقات النحاة البصريين) .

وآلى جساب طبقات اللغويين ضللت كتب أخرى في تضاعيفها إشارات وجيزة حيناً أو مطولة أحياناً عن ٠٠٠ أحوال الرواة كالذى فعله أبو احمد العسكري (ت ٣٨٢ هـ) في التصحيف والتحريف (٤) ، والزهري في مقدمة تهذيب اللغة (٥) ، وابن جنى في كتابه الخصائص (٦) ٠٠٠

(١) الرافعي : تاريخ اداب العرب (بعناية المرحوم محمد سعيد العمريان) ٤٠٦/٧ وانظر مصابغة كسلاّم الرافعي في البيان والتبيين ٣٤٧/٩ .

(٢) ص ١٠٣ وما بعدها .
ص ٤٠ وانظر فصلاً عن التوثيق والتجريح في رسالتنا .
للماجستير ص ٦٧ وما بعدها وانظر كلاماً مفيداً للغاية في جريد الرواة في التأليف عن أحوال اللغات ورواتها جرحاً وتعديلاً ، أورده السيوطي في (المزهر) (ط صبيح) ٧٢/١ في الفصل الخاص بمعرفة المتأثر والآثار .
(٤) مضى بعض ذلك مفصلاً في حديثنا عن التصحيف والتحريف .
(٥) حققه ونشره الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر تهذيب اللغة ١٩/١ وما بعدها .
(٦) انظر ٣١٢/٣ وما بعدها .

فظهر كتاب (لمع الأدلة) - وهذا عنوان الكتاب - يمد ظاهرة علمية لها شأنها بالنسبة لرواية الأدب : أنه هو دليل على وجود الرواية الأدبية وقيامها ، بل ودخولها مرحلة جديدة من مراحل النضج العلمى .

المؤلف :

هو أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانبارى ، وهو أحد ثلاثة انتسبوا الى (الأنبار) فأوقعوا بهذا التشابه فى اللبس - أحيانا - فأول الثلاثة هو : (أبو محمد القاسم بن الانبارى) والد أبى بكر بن الانبارى ثانى هؤلاء الثلاثة . وأما الثالث فهو الكمال بن الانبارى الذى نتناوله بالدراسة هنا ، وهو أكثر هؤلاء (الانباريين الثلاثة تصنيفا) (١) برغم تأخره ، زمنا ، وهو تلميذ لأبى منصور الجواليقى (٢) ، ولذلك يروى عنه ويسند فى الرواية اليه ، بمثل قوله (وحكى شيخنا) (٣) .

وقد تخرج ابن الانبارى فى المدرسة النظامية التى كان قد أنشأها الوزير نظام الملك السلجوقى، ثم صار ابن الانبارى معيدا ، فمدرسا فى هذه المدرسة (٤) ، التى لعبت دورا كبيرا فى تنشيط الرواية ، ورعاية تقاليدها . وقد كان ابن الانبارى من علماء النحو ذوى التأليف الشهيرة فيه ومنها (الانصاف فى مسائل الخلاف) (٥) وكان الفضل فى تفوقه فى النحو يرجع الى شيخه

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم = مقدمة تحقيقه لكتاب نزهة الألباء ،

(٢) ابن أحمد أحد أئمة اللغة والرواية فى القرن السادس

وتلميذه التبريزى (ت ٥٣٩ هـ) .

(٣) نزهة الألباء بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ص ٢٩٧ .

(٤) بغية الوعاة ٨٦/٢ ،

(٥) حققه مشرعه المرحوم محمد محبى الدين عبد الحميد .

أبى السعادات الشجرى (١) الذى يصفه ابن الأنبارى نفسه بقوله : (فأما شيخنا أبو السعادات الشجرى فإنه كان فريد عصره ووحيد دهره فى علم النحو) (٢) ، ولهذا وصف ابن الأنبارى بأنه (لازم ابن الشجرى) حتى برع وصار من المشار إليهم فى النحو ، وتخرج به جماعة (٣) .

أما فى الرواية ، فسوف يرد عند حديثنا عن كتابه (لمع الأدلة) ما يدل على تفوقه فيها ، هذا الى ما ورد بشأنه فى ثنايا كتب التراجم وكلها شاهدة له بهذا التفوق :

فهو يوصف بأنه « كان إماماً ثقةً صدوقاً » (٤) . وبأنه قد روى الكثير من كتب الأدب » (٥) . وبأنه (برع فى الأدب حتى صار شيخ وقته . . وتردد الطلبة إليه وأخذوا عنه) (٦) .

هذا بالإضافة إلى أنه كان من أئمة القرن السادس الذين اقتصوا بالرواية والشرح لدواوين الشعر وغيرها فقد شرح ديوان المتنبى ، وشرح حماسة أبى تمام ، وشرح السَّبْع الطَّوَال .

هذا الى كتابه (نزهة الألبا فى طبقات الأدباء) وقد حوى (١٨١ ترجمة) لعلماء فى علوم مختلفة بدأهم ابن الأنبارى بأبى الأسود الدؤلى (ت ٩٩ هـ) وختمهم بشيخه

(١) ت عام ٥٤٢ هـ فى خلافة المقتدى العباسى .

(٢) نزهة الألبا / ص ٤٠٤ .

(٣) بغية الوعاة ٨٦/٢ .

(٤) بغية الوعاة ٨٦/٢ .

(٥) بغية الوعاة ٨٦/٢ .

(٦) أنباه الرواة ١٧٠/٢ ، ١٧١ .

(٧) بغية الوعاة ٨٧/٢ .

ابن الشجرى ، وضمن كتابه طائفة من الأحكام توثيقاً وتجرياً ، وتميز فيه بالاعتدال والإيجاز المفيد ، (الذي جعله مرجعاً لا غنى عنه ، فتح كثرة أمثاله من كتب التراجم .

لمع الأدلة :

وقد ورد فى مراجع شتى يوثق نسبته إلى الكمال بن الأنبارى ، فذكره - على سبيل المثال - الصقدي فى الوافى بالوفيات (١) ، والسيوطى فى بغية الوعاة (٢) كما نقل عنه السيوطى كثيراً فى كتابه (المزهر) (٣) ، والمرضى الزبيدى فى (تاج العروس) (٤) ، ذاكرين نسبته للأنبارى .

وقد حاول ابن الأنبارى فى (لمعه) أن يتحدث عن درجات النقلة فى اللغة ، ويقسم هذه الدرجات ويحدد كل درجة منها تحديداً دقيقاً ويورد آراء لبعض علماء اللغة ويوجه هذه الآراء ، حتى جاء كتابه - فى النهاية - جازياً على سمت كتب علماء مصطلح الحديث .

فالنقل - عنده - ينقسم إلى قسمين : (تواتر ، وآحاد) : فالتواتر : هو لغة القرآن فى المقام الأول ، ثم يلى ذلك فى

(١) انظر حاشية (آراء الرواة) ١ / ١٧٠

(٢) انظر ٢ / ٨٦ .

(٣) انظر مواضع مختلفة فى ١ / ٦٨ وغيرها .

(٤) انظر مقدمة الزبيدى على (تاج العروس) ص ٣ و١ يمدحها والزبيدى هو أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالمرتضى الزبيدى الحنفى الواسطى . نزيل مصر . ولد بالهند مسنة ١١٤٥ هـ وأخذ من علمائها ومات فى عام ١٢٠٥ هـ (×) طبع هذا الكتاب فى بيروت سنة ١٩٦٣ م ، وذكره السيوطى فى كتابه . المزهر باسم (لمع الأدلة فى أصول النحو) ١ / ٦٨ .

(درجته) التواتر « السنة الشريفة » (١) ، ثم يلي ذلك
« لغة العرب » وهذا القسم قطعى الدلالة « يفيد العلم » .

وقد حاول ابن الأنبارى أن يقتصر لنا المراد بهذا العلم ،
ونذكر خلافاً للعلماء فى ذلك . وأدخلنا فى مناقشات باللغة
التعقيد بدا فيها متأثراً بغيره من العلماء ، وبخاصة علماء
أصول الفقه ، وساق هذه الآراء دون أن يحددها لنا أسماء
معينة . ادّعت هذه الآراء . ومن هذه الدعوى (التواتر فى
اللغة) (لا يفضى إلى علم البتة) (٢) ، وسند أصحاب هذا
الرأى (شبهه ضعيفة) (٣) ، وهى أن العلم لا يحصل بنقل
كل واحد منهم ، فكذلك بنقل جماعتهم (٤) .

وقد علق ابن الأنبارى على الدعوى الأخيرة ، وعلى
الشبهة التى ستندد إليها أصحابها بأنها (شبهة طحيرة
الفساد) ، لأن الجماعة التى يتواتر بينها الخبر هى جماعة
متضامنة ، وهم فى تضامنتهم يشبهون من يتعاونون على
رفع حمل ثقيل ، لو أراد كل واحد بمفرده أن يحمله لعجز ،
فاذا تضامنوا جميعاً قدروا على رفع ذلك الحمل (٥) .

وقد عرض لنا ابن الأنبارى المعدد الذى ينبغي أن يبلغ
(حد التواتر) (٦) فذكر لنا آراء العلماء فى ذلك :
(١) ففريق لا يرى ذلك محدداً بعدد معين (٧)

-
- (١) لمع الأدلة من ١٣ ط بيروت سنة ٤٣ .
(٢) لمع الأدلة من ٢٠ .
(٣) لمع الأدلة من ٢٠ .
(٤) لمع الأدلة من ٢٢ .
(٥) لمع الأدلة من ٢٣ .
(٦) لمع الأدلة من ٢٤ .
(٧) لمع الأدلة من ٢٥ .

(ب) وفريق يرى التحديد العددي ، به مذهب إسبانيين^(١) ، وبمذهبهم بأربعين ، وبمذهبهم بأثنى عشر ، وذهب آخرون إلى أن شرطه أن يبلغوا خمسة^(٢) .

ووافق ابن الأنباري الفريق الأول الذي لا يرى تحديداً عددياً وإنما يرى (أن يبلغ حدالثقة إلى حد لا يجوز هل مثلهم الاتفاق على الكذب^(٣) وأما الأحاد : فتعريفه أنه : (ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر)^(٤) ، وقد ذكر ابن الأنباري أن غير الأحاد من الأدلة المأخوذة بها في علم اللغة ، ثم عرض لنا آراء العلماء المختلفة في درجة أفادته .

وهذا الأسلوب الجدل ، يتضح نهج الأصوليين في التأثير بالمنطق الأرسطي ، إذ يعرض لنا ابن الأنباري سائر الأنواع الأخرى للنقل كالمسئل والمنقطع والمفصل والمعنن والتريب ، وهو يعرض (المصطلح) فيحدده ثم يسوق الآراء ، ويناقشها ، ويتهي إلى رأي خاص به^(٥) .

وكما ذكر ابن الأنباري (أنواع الأسانيد) ، كذلك ذكر شروط الرواية ، ومنها العدالة ، فإنه يشترط (أن يكون ناقل اللغة عدلاً ، رجلاً كان أو امرأة ، حراً كان أو عبداً ، كما يشترط في نقل الحديث)^(٦) .

والسبب أن اللغة هي الوسيلة التي تفهم الحديث

(١) لمع الأدلة ص ٢٦ .

(٢) لمع الأدلة ص ٢٩ .

(٣) لمع الأدلة ص ٢٢ .

(٤) لمع الأدلة ص ٣٠ .

(٥) وانظر لمع الأدلة مثلاً ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ومواقع أخرى .

(٦) لمع الأدلة ص ٣٩ .

منهج البحث
الدراسي
الوصفي

الشريف ، وتبين على فهم معناه ، ولهذا (اشترط في نقلها ما اشترط في نقله) ، وإن لم تكن اللغة بطبيعة الحال في درجة الحديث في « الفعيلة » (١) .

وأجاز ابن الأنباري نقل العدل ، ولو كان هذا العدل واحداً ، فرأى أنه « لا يشترط أن يوافقه غيره في النقل » .

ولقد كان مما اشترطه ابن الأنباري في الرواية للأثر القوي ، ألا يكون مجهولاً ، لأن الرواية ، إذا كان مجهولاً ، جعل الدلائل حاله ، حيث صدقه أو كذبه ، ولهذا رفض رأى من أجاز قبول رواية المجاهيل من الرواة (٢) .

وإذا كان كمال الدين قد جرى علماء مصطلح الحديث في تقسيماته للرواة ، وشروط أهل الرواية ، وفي أسلوب نقاشه وعرضه للأراء ، فإنه في بعض موافقه كان واقعياً ، فلم يشترط كل ما اشترطه المحدثون في الرواة . ومن هذا مثلاً قوله (نقل أهل الأهواء مقبول في اللغة وغيرها ، إلا أن يكونوا عن يتدينون بالكذب كالحطابية من الرافضة (٣)) ، فهو - إذن - لا يرد رواية ذوى البدع والأهواء ، لكنه يرد رواية الكذبة ، ومن تمسوا بالكذب . ولهذا رفض رواية ذوى الأهواء والبدع ، في حالة ما إذا كانت يدهم ذات مطمئن في صدقهم ، فقال عن رواية المبتدع : « إذا لم تكن بدعته حاملة على الكذب ، فالظاهر صدقه » (٤) .

وهكذا وضع ابن الأنباري هذه الأصول ، لتكون في

(١) لمع الأدلة ص ٣٩ .

(٢) لمع الأدلة ص ٤٢ .

(٣) لمع الأدلة ص ٤٥ .

(٤) لمع الأدلة ص ٤٤ ، ٤٥ .

كتاب مستقل لأول مرة * وإن استفاد ممن جاء قبله من العلماء (١) ، فوضع بذلك أساسا لمحاولات أخرى جاءت بعده ، وتابعت جهده ، حتى نضجت على يد جلال الدين السيوطي في القرن العاشر الهجري *

ثانيا : رواة الدواوين :

ظلت حركة الاهتمام بالدواوين الشعرية دائبة انسياط الى القرن السادس الهجري ، وبعده بقرون ، ما بين جمع وصناعة لهذه الدواوين ، أو رواية المجموع منها : الباعث على الاهتمام في هذه الحقبة ، هو الباعث ذاته في كل حقبة سبقتها ، أو جاءت أثرها وهو (حفظ آثار الشاعر عن طريق جمعها في ديوان يغدو فيما بعد مصدرا هاما لأثاره) *

واحتفظت الدواوين - في القرن السادس - باتجاهات محددة كانت مسبوقة بها في القرون السابقة ، ومع هذا - فهي من جهة أخرى - قد حققت اضافات جديدة :

فهناك الشعراء الذين صنعوا لأنفسهم دواوينهم مثل ابن أفلح (ت ٥٣٧ هـ) (٢) * وقد صنع ابن أفلح ديوان شعره الذي جمعه بنفسه مقدمة ، كما رتب الديوان حسب أحرف القافية ، وذكر عدد ما في كل قافية من بيت ، واعتنى بديوانه وهذبه (٣) *

(١) سبق ذكر ذلك ونضيف الى من تقدمنا فقه اللغة (ابن فارس مقدمة المؤلف) *
(٢) جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح العباسي (وفيات الاعيان ٦٨ / ٣) *
(٣) وفيات الاعيان ٦٨ / ٣ *

والجديد هنا هو تلك المقدمة التي صنعها
ثم في ذكره لعدد الابيات في كل قافية من قو
الى وجوه أخرى من العناية والتهذيب
ابن خلكان ، الذي قرر أنه رأى ديوان شعره (١) .

كذلك من الرواة الذين عنوا بجمع دواوين أشعارهم
أبو المظفر الأبيوردى ، الذي وصفه ابن السمعاني بأنه أوجد
عصره ، وفريد دهره ، في معرفة اللغة والانساب وغير
ذلك (٢) ، وهو وصف إذا أضيف اليه ما ذكره المؤرخون له
من تصانيفه ، تأكد لنا أنه كان من أئمة أهل الرواية في
زمانه (٣) .

أما ديوانه الذي جمعه بنفسه ، فإنه قسمه الى اقسام :
منها العراقيات ، والتجديات ، والوجديات ، الى غير ذلك من
الاقسام ، كما ذكر ابن خلكان (٤) .

ويضيف القفطى مزيد توضيح لمنهج الأبيوردى في تقسيم
ديوانه فيقول : وشعره كثير ، قد فنه فنونا على البلاد ،
فمنه العراقيات ، ومنه التجديات الى غير ذلك (٥) .
والإضافة الجديدة في هذا الديوان ، هو منهج التقسيم ،
حيث قسم القصائد حسب البلاد .

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٦٨ .

(٢) نقله عنه القفطى في انباه الرواة ٢ / ٤٨ - ٥١ والسيوطى في
بغية الوعاة ١ / ٤٠ .

(٣) من هذه الكتب : المختلف والمؤتلف وما اختلف واختلف في انساب
العرب ، وانظر انباه الرواة ٣ / ٥٠ .

(٤) وفيات الأعيان ٤ / ٧٦ .

(٥) من هذا الديوان عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية . وطبع
بالطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣٢٢ هـ . كما نشرت أجزاء منه مستقلة ،
وانظر تاريخ اداب اللغة العربية (١٩/٣) وحاشية انباه الرواة ٣ / ٥١ .

كذلك ممن حرصوا على جمع دواوينهم من الشعراء :
أبو الفتح محمد بن عبد الله ، المعروف بابن التعاويذي
(ت ٥٨٣ أو ٥٨٤) ، وهو أحد شعراء العراق . قال فيه
ابن خلكان : كان شاعرا وقت لم يكن فيه مثله . . وفيما اعتقد
لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه (١) .

وقد جمع ^{أبو} ابن التعاويذي ديوان شعره ، قبل أن يكف بصره ،
ثم بدا له أن ^{رتب} على أربعة فصول ، وأضاق اليه بعد ذلك
زيادات ، ولهذا كان ديوانه يوجد بروايتين : أحدهما
بالزيادات ، وأخرى من غيرها ، كما أنه كتب لديوانه مقدمة
أيضا ، والجديد هنا : هو التقسيم الذي ، وإن كنا لا نعرف
نوعه ، إلا أنه ليس حسب القوافي على الأقل كما كان دأب
سواه من جماعى الدواوين .

ومعنى هذا أن القرن السادس الهجري قد تأكد فيه نهج
جديد في ترتيب قصائد الدواوين ، وهو ترتيب تتنوع طرائقه ،
ولكنه يتفق على شيء واحد هو (عدم الترتيب حسب
القوافي) . ويزداد هذا الحكم تأكدا عندما يلوح لنا أن شعراء
آخرين ، عدا من قدمنا ذكرهم ، قد رتب قصائد دواوينهم ،
بمعرفة سواهم من الأدباء ومن ذلك ديوان الأسطرابي (٢)
الذي جمع ديوانه ابن حجاج ، ورتبه على ١٤١ بابا ، وجعل
كل باب في فنون من شعره (٣) .

وبالإضافة الى حركة (جمع الدواوين) في القرن

(١) وفيات الاعيان ٤ / ٩٦ . ٩٧ . وانظر ايضا شذرات الذهب

٢٨١ / ٤

(٢) أحد من ذكرهم ابن شاذان في فوات الوفيات (ت عام ٥٣٤ هـ) .

وانظر فوات الوفيات ٢ / ٦١٥ .

(٣) فوات الوفيات ٢ / ٦١٥ .

السادس قامت حركة أخرى استهدفت روايتها ، تراها
فيما أثبتناه في صدر هذا الفصل وغيره من المراجع (٣) .
وانما خصصنا بالذكر والتفصيل ظاهرة الاهتمام
(بالترتيب الموضوعي) ، وهو ترتيب خرج على المعهود
الشائع ، وكان حمزة الاصفهاني قد بدأه ، ولم يقدر له حظ
من الاتساع في تطبيقه (إلا في المائة السادسة) .

انظر مثلا تكملة ابن الجار ٥٣٧/٢ ، ٥٥٦ ، وفيات الاعيان ٣٥/٣ ،
بغية الوعاة ١٧٥/٢ ، معجم الادباء ٥٧٦/٤ .

ثالثا : الشراح :

كذلك ظهر خلال القرن السادس جمع من شراح الدواوين ،
وغيرها من الآثار . وغير خاف ان الشراح كان دائما مقرونا
بالرواية ، وقد اتجهت عناية (الرواة الشراح) الى دواوين
المتنبي وحماسة ابي تمام والمفضليات وغير ذلك ، كما ظهرت
ايضا العناية بشرح ورواية القصائد المفردة .

والتي منها مقصودة ابن دريد ، وقد شرحها كمال الدين
الانباري ضمن ما شرحه من دواوين الشعر للمتنبى وغيره .

ومن القصائد المفردة ايضا لامية العرب ، للشنفرى ،
التي كان من شراحها جابر الله الزمخشري المتوفى
عام ٣٥٨ هـ .

وبالإضافة الى عناية علماء وأدباء القرن السادس
الهجرى بدواوين أشعارهم ، وأشعار قرنائهم فى الحقبة ، فقد
عنوا أيضا بدواوين القدماء المتقدمين عليهم فى العصر ،
وانصرفوا ، فى الاعم الأغلب الى ديوان ابي الطيب المتنبي .

ونذكر على - سبيل المثال - من هؤلاء الرواة للدواوين
أبا الحسن على بن عبد الرحيم ، احد الرواة وعلماء اللغة
فى القرن السادس الهجرى (ت ٥٧٦ هـ) ، ومن تلاميذ
ابن الشجرى والجوالقى (١) ، وقد كان ابن عبد الرحيم
عارفا بديوان المتنبي علما ورواية ، وقرأه عليه جمع كثير
فى العراق والشام ومصر » (٢) .

(١) وفيات الاعيان ٢٥/٣ .
(٢) وفيات الاعيان ٢٥/٣ ، وانظر فى ترجمة ابن عبد الرحيم :
معجم الأدباء (١٤/١١ - بغية الوعاة (١٧٥/٢) .

رابعاً : الرواة في الحفاظ :

وهم أولئك الرواة الذين دأبوا على الحفاظ ، وبخاصة حفظ آثار المتقدمين من الشعراء . وأهم ما عني به هؤلاء الرواة لآثار المتقدمين : لدى الرمة ، وشعر رؤية ابن العجاج وأرجازه - وأشعار الهذليين - وكان الدافع إلى الحفاظ هو ما في هذه الآثار من الغريب ، وما حوته من اللغة .

ونأخذ هنا مثالين لأولئك الحفاظ من الرواة : أحدهما من المشرق والثاني من الأندلس : فمن المشرق : ابن زهر الأشبيلي (١) ، الذي انفرد بالإمامة في الطب في وقته ، وكان في الوقت نفسه من أشهر شعراء الأندلس ووشاحيه في زمانه ، وأحد شيوخ ابن رحية الكلبي ، صاحب كتاب (المطرب من أشعار أهل المغرب) (٢) والذي جمع فيه طائفة من مرويات شيخة ابن زهر .

وقد كان - كما نقل عنه تلميذه ابن رحية - يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث اللغة ، كما حفظ أيضاً الأشعار الجاهلية ، وأشعار الإسلاميين وأشعار المولدين ، مع المشاركة في سواها (٣) .

وأما الراوية الحافظ في المشرق فهو (أبو العباس) التوماني (٤) ، أحد رواة العراق ، وعلمائه وممن روى عن

(١) انظر شذرات الذهب ٣٢٠/٤ . معجم الأدباء ٢١٦/١٨ . التكملة لابن الأثير ٢٧٠/١ . نفح الطيب ٢٧٠/١ .
(٢) انظر ص ٣٠٣ وما بعدها (ط الخراطوم) .
(٣) انظر المطرب ص ٢٠٣ وما بعدها .
(٤) وانظر (وفیات الأعيان ٦١/٤) .

ابى منصور الجواليقى ، وأبى السعادات الشجرى (١) .

وكان التوماثى يحفظ المجمل وشعر الهذليين وأخبار
الاصمعى وشعر رؤية بن العجاج وذى الرمة ، وغيرهما من
المخضرمين وأهل الإسلام والجاهلية (٢) .

(١) انباء الرواة : ٣٥٦/١ .

(٢) انباء الرواة : ٣٥٦/١ .

والتوماثى : هو الخضر بن شروان . وتوماث إحدى قرى الموصل
بالعراق . وقد لقبه ياقوت الحموى - كما روى ذلك فى عام ٥٤٤ هـ - ولم
ينكر له تاريخ وفاة : وانظر معجم الأدباء ٤٣١/٢ - ٤٣٢ وبغية الوعاة
٥٥٦/١ - ٥٥٢ .

ثبت بالدواوين والشروح في القرن السادس

الأثر وراويه	المصدر والملاحظات
ملك النخاعة = أبو نزار الحسن بن صافي بن عبد الله (ت ٥٦٨)	معجم الأدباء: ١٢٣/٨ - ١٣٩
- ديوان شعره .	بقية الوعاء: ٥٠٤/١ - ٥٠٥
ابن ثروان التوماني = الخضر بن ثروان بن أحمد (ت ٥٤٤)	مر بتفصيل وانظر بقية الوعاء: ٥٥١
- حفظ شعر الهذليين	
- حفظ شعر ربيعة	
- حفظ شعر ذي الرمة	
الوأواء = عبد القاهر بن عبد الله الحلبي النحوي (ت ٥٥١ هـ)	بقية الوعاء: ١٠٦/٢
- شرح ديوان المتنبي ورواه	
ابن الأخضر الأشبيلي (ت ٥١٤ هـ)	بقية الوعاء: ١٧٤/٢
- شرح ديوان أبي تمام	
- شرح ديوان الخنساء	
أبو المحاسن البيهقي = مسعود بن علي الملقب بفخر الزمان (ت ٥٤٤ هـ)	بقية الوعاء: ٢٨٤/٢ معجم الأدباء
- شرح الخنساء	١٤٧/١٩
المبداني صاحب مجمع الأمثال (ت ٥١٨ هـ) شرح المفضليات	معجم الأدباء: ٤٥/٥
علي بن عبد الرحيم (ت ٥٧٦ هـ)	بقية الوعاء: ١٧٥/٢ ومعجم الأدباء
- عارف بدوايان المتنبي	١١/١٤

ثبت بالدواوين والشروح في القرن السادس

المصدر والملاحظات	الأثر وروايه
	أبو دباب (ت ٥٦٢ هـ) حفظ عدد دواوين من شعراء العرب
معجم الأدباء ١٨٠ / ١٠	كمال الدين بن الأنباري (ت ٥٧٦ هـ)
وفيات الأعيان ٢٥ / ٣	- ديوان المتنبي شرحه
بغية الوعاة ٨٧ / ٢	- شرح السبع الطوال
	- شرح الخناسة
	- شرح مقصودة ابن دريد
	محمد بن أحمد (كان حياً سنة ٥٥٧ هـ)
بغية الوعاة ٤٩ / ١	- تكملة على شرح أبيات سيويه
	- شرح مقصودة ابن دريد
	محمد بن خلف الأشبيلي (ت ٥٨٦ هـ)
الوافي بالوفيات ٤٦ / ٣	- شرح الأشعار الستة
بغية الوعاة ١٠١ - ٢١١ / ١	محمد بن المعلى (المائة السادسة)
بغية الوعاة ٢٤٨ / ١	- شرح ديوان تميم بن أبي مقبل
معجم الأدباء ٥٥ / ١٩	ابن منذر الأشبيلي (ت ٥٨٤ هـ)
	- شرح الخناسة
	أبو الغنائم الضرير = حبشي بن محمد
بغية الوعاة ٤٩٣ / ١	الشيبياني (ت ٥٦٥ هـ)
إنباء ٣٣٨ ، ٣٣٧ / ١	سمع كثيراً من كتب الأدب ودواوين العرب
(ولم يذكر القفطى روايته)	

ثبت بالدواوين والشروح في القرن السادس

المصدر والملاحظات	الأثر وروايته
وكلمها وقعت للبطلاني	البطلاني = ابن السيد (ت ٨٥٢)
برواية الأبريزي = يحيى بن زكريا	- ديوان المتنبي
الخطيب (ت ٥٠٢ هـ)	- ديوان سبط الزند
وانظر :	- ديوان امرئ القيس
- بروكلمان في (تاريخ الادب	- ديوان النابغة الذبياني
العربي) ٨٥٠ ، ٨٠٠ ، ٧٩ ، ٧٤ / ١	- ديوان الخامة
١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٠ ، ٨٩	- قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير
	- المفضليات
الصبح المنبي ٢٦٨	- لامية العرب للشنفرى
	- القصائد العشر
وكلمها رواية الأعلام الشنفرى =	- شرح ديوان المتنبي
يوسف بن سليمان الشنفرى الأندلسي	- ديوان زهير بن أبى سلمى
(ت ٤٧٦ هـ) وانظر	- ديوان النابغة الذبياني
- بروكلمان (في تاريخ الادب العربى)	- ديوان علقمة الفحل
٩٧ ، ٩٠ ، ٨٩ / ١	- ديوان المتنبي
- الصبح المنبي ٢٦٨	- ديوان الخامة
- وفيات الأعيان ٧٩ / ٤	- قصيدة ذى الرمة
برواية وشرح الزوزنى = الحسين بن	- المعلقات السبع
أحمد (ت ٤٨٦ هـ) وانظر بروكلمان	
في (تاريخ الادب العربى)	
٢١٣ ، ٧٠ / ١	

ثبت بالدواوين والشروح في القرن السادس

المصدر والملاحظات	الأثر وراوييه
تسكلة الصلة ٥٣٧ / ٢	ابن عفيون المديني = محمد بن أبي بكر أبو عبد الله (ت ٥٩٦ هـ) - جمع شعر ابن جبير لمحمد بن عبد الله العجلي أبو الحسن النجوى (ت ٥٤٦٠ هـ بمصر) - شرح ديوان المتنبي الخوارزمي = أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٤٢٥ هـ) - شرح ديوان المتنبي علي بن عبد الرحيم = مهذب الدين ابن المصارع (ت ٥٩٦ هـ) - عارف بديوان المتنبي - شرح لامية العرب للشاذلي (أعجب العجب في شرح لامية العرب)
بنية الوعاء ١٢٨ / ١	
بنية الوعاء ١٧٢ / ١	
بنية الوعاء ١٧٥ / ٢	
(معجم الأدباء ١٤ / ١١)	
بروكلان ١٠٧ / ١	

خامسا : مدرسة اليتيمة (العماد الأصفهاني والخريدة) :

تحولت (يتيمة الدهر) ، التي ألفها الثعالبي الى مدرسة ، فتحت بابا على مصراعيه لنمط معين من التصانيف الادبية والرواية ، وكانت الخريدة حلقة اتصال وتواصل باليتيمة ، كما سبق أن أوضحنا - صدر هذا الباب -

ولم يكن هذا الباب ، الذي فتحت اليتيمة قاصرا على من احتذى نهجه من رواة المشرق فحسب ، بل امتد ايضا الى رواة المغرب ، حتى رأينا ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) في احد اقسام الذخيرة (١) يقول في مقدمة القسم الرابع : (وقد أثبت ايضا آخر هذا القسم طرفا من كلام أهل المشرق ، وإن كانوا لم يطأوا على هذا الاقحاذ أبو منصور الثعالبي ، فإنه ذكر في يتيمة نفرا من أهل الأندلس ، فعارضته أو ناقضته ، والأدب ميدان يليق به المتاح ، ويستحسن فيه الجراح) (٢) .

العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧) :

هو أبو عبد الله محمد ابن صفى الدين الملقب عماد الدين الأصفهاني ، وزاد ابن خلكان في ذكر اسمه ونسبه لفظ (الكاتب) قبل لفظ صفى الدين الملقب « عماد الدين الاصبهاني » (٣) ، وزاد (الاصبهاني) (٤)

(١) هو كتاب : « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشافعي والكاتب طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة (٣٦٣ هـ = ١٩٤٢ م)

(٢) القسم الرابع / المجلد الاول من ٢

(٣) زيدان : ٦٧/٢

(٤) وفيات الاعيان : ٢٣٨/٤

كما وصفه ابن العماد في صدر ترجمته له بالوزير العلامة^(١) . وقد ولد العماد بأصبهان بلده الذي إليه نسب ، ثم تفقه ببغداد في مذهب الشافعي وأتقن الفقه والخلاف والعربية^(٢) ، ثم تقلد العديد من المناصب ما بين ديوان الإنشاء ، وغيره من الوظائف ، حتى توفقت صلته بصلاح الدين الأيوبي ، بعد أن استولى على الشام ، حتى صار العماد في عهد من « الصدور المدودين كالوزراء العظام »^(٣) ، إلى حين وفاته عام ٥٩٧ هـ .

علمه وثقافته :

وصفه البعض بأنه « كان واسع العلم في الأدب والشعر والتاريخ والفقه »^(٤) كما استحق أيضاً أن يلقب « مؤرخ العصر الأيوبي »^(٥) وسنرى كيف تأكدت هذه الصفات من خلال دراستنا لكتاب الخريدة ، الذي حشده فيه العماد آثاراً مشرقية وأثاراً مغربية .

كما تتضح لنا هذه الصفات من خلال مصنفاته التي أثرت عنه ، ومنها :

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ، وقد وصف فيه فتح صلاح الدين بيت المقدس .

(٢) البرق الشامي ، ترجم فيه لنفسه ، كما بسط شيئاً

(١) شذرات الذهب ٤ / ٢٢٢

(٢) شذرات الذهب ٤ / ٢٢٢

(٣) زبدان ٣ / ٦٧

(٤) زبدان ٣ / ٦٧

(٥) جمال الدين الأتومي : مقال له بمجلة الأدب اللبنانية (١١ نوفمبر

سنة ١٩٧٢) ص ٤٥ .

من أخبار صلاح الدين وانتصاراته .

(٣) نصرة الفطرة وعصرة الفطرة - وهو في تاريخ السلاجقة ووزرائهم .

الخريدة :

خلدت الخريدة شعراء القرن السادس الهجري ، وروى من أخبارهم وأشعارهم ما ، وت ، وم كثر في هدم ، كثيرة أشعارهم ، زخرت بهم الأرض الإسلامية ما بين خراسان وفارس في أقصى الشرق ، حتى المغرب هل متغاف المحيط الاطلنطي ، فالاندلس في جنوب غربي أوروبا وصقلية في البحر المتوسط (١) .

وقد دفعه وفائده لأمراء وإعجابه به وقد قضى شطراً كبيراً من عمره ، وتلقى العلم به في ساحة المدرسة النظامية . إحدى مماله الفكرية البارزة ، دفعه ذلك كله إلى أن يختص إقليم العراق بنحو ثلث الكتاب ، وبلغ بمدد من روى آثارهم من شعراء العراق وأدبائه (٢٨٨ شاعراً) بينهم من يتداد وحدها (١٩٣) شاعراً ، فيهم الخلفاء والأمراء والوزراء (٢) .

هذا من الوجهة المسكانية لمرويات الكتاب ، وأما من الناحية الزمنية أحدى الفترة الزمنية التي روى فيها العماد لأصحابها ، فنحن ندع للعماد نفسه الحديث هنا بلفظه ، يقول : وقد ذكرت أهل عصر آبائي وأعمامي

(١) مقدمة ناشر الخريدة (قسم العراق) ١ / ٤ .

بتحقيق العلامة محمد بهجت الأثرى (ط العراق) .

(٢) المرجع السابق .

فالكتاب مشتمل على العصرين : السالف الماضي والحاضر
النامي . واكثر ما أوردته شعر من أروى عن واحد عنه ،
ان لم يكن أدركته وسمعت منه (١) .

مصائبه :

(١) الرواية

فاذا كان الشاعر من معاصريه ، ومن أتيج له لقاءه ،
والاجتماع به روى عنه مباشرة ، والاروى عن واحد عنه كما
اوضح لنا في مقدمته السابق ذكرها .

وقد أسند العماد مباشرة - بالفعل - الى شعراء اتيج
له أن يلقيهم ، بما يؤكد روايته عنهم دون واسطة (٢) .
كما أسند عن واحد عن شاعر في أكثر من موضع أيضا (٣) ،
ومن الملاحظ أن أولئك الذين روى العماد آثارهم بواسطة
الغير ، هم من ذوى القرابة للراوية الذي نقل العماد عنه ،
فمنهم من يروى عن والده ، أو عن خاله ، أو عن عمه (٤) .
وهكذا يؤكد ان « عامل القرابة » ما زال يلعب دوره ،
مذبوأكير الرواية والى القرن السادس الهجرى على الأقل .
وقد وضع هذا العامل في قسم شعراء العراق ، بالذات ،
وبخاصة عند رواية آثار بعض العائلات مثل (بنو مزيد
الاسديون) النازلون بالحلة السيفية على الفرات ، وقد

(١) مقدمة العماد (القسم العراقي » ص ٧ - ٨
(٢) انظر مثلا (قسم العراق) ٧/٤ ، ٢٤ ، ١٢٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ،
٢٤٧ وغيرها .
(٣) انظر ١٤١/٢ ، ١٤٣ ، ١٨١ ، ١٩٦ وغيرها .
(٤) انظر : ٢٠٤/٤ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٣ ،
(١٩ - الشعر)

ترجم العماد لرجال من هذا البيت (١) .

ومن ناحية عناية العماد بهذه العائلات المتأدبة اتضح لنا حقيقتان ترتبطان بظاهرة الرواية : الأولى دور العائلات المتأدبة في تنشيط الحياة الأدبية عن طريق الرواية والثانية دور الرواية في تحقيق « التواصل الفكري » بين الاجيال المتعاقبة لهذه العائلات ، حيث يروى الابن عن الجد ، والحفيد عن هؤلاء جميعا ، فتتصل داخل العائلة الواحدة سلاسل الاسانيد ، وتتصل معها عرى الرواية والتواصل بين باحثينا وتلك حقيقة بحاجة الى درس مفصل يتناول مثل هذه العائلات المتأدبة ممثلة في آل زهير في الجاهلية والاسلام ، ثم (آل المنجم) ، واليزيديون ، وآل التنوخي وآل العديم . . . وآل منقذ (٢) الخ .

(٢) المصادر المدونة

وتتنوع كثرة وقلة حسب الأقسام ، وطبيعة الرواية فيها . فهو في قسم العراق - مثلاً - يغلب عليه الاعتماد على الرواية الشفوية ثم يلي ذلك قسم الشام . أما المغرب والأندلس ، فيغلب عليه الاعتماد على المدونات ، ويقل الاعتماد على الرواية الشفوية (٣) والسبب في ذلك واضح ، فهو يروى حيث تتاح له اللقيا والرواية

(١) ١٥٣/٤ الى ١٨٢ .

(٢) أشرنا في بحثنا للماجستير الى الرواية الشعرية عند « زهير من أبي مهدي » واثار حامل القرابة في امتداد الرواية وامتداد خصائص زهير من جهة اخرى . ولكن ما تزال ظاهرة العائلات المتأدبة ، بحاجة الى جهد علمي ينهض به بعض دارسينا للكشف عن ابعاد تلك الظاهرة الهامة في مجال الرواية والانتاج الادبي على السواء .

(٣) انظر : مقدمة الناشر لقسم شعراء المغرب ص ٧ (ط تونس)

وهي متاحة أكثر ما تكون في العراق - حيث مقامه - وكذلك في الشام . أما في المغرب والاندلس ، فالفرصة امامه قليلة ، بل هي نادرة (١) .

ومدونات العمداء تتنوع وتختلف فيما بينها :

بين كتب التاريخ ودواوين الاشعار ، فاما كتب التاريخ ، فان من اهمها ذيل السمعاني ، وذيل ابن الهمداني (٢) وبالنسبة للدواوين الشعرية ، فان العمداء لم يقتنع بالنقل عنها ، وانما دعم نقله بالرواية الشفوية (٣) .

ومن الملاحظ ان العمداء - وبخاصة في القسم العراقي - الذي يتيح له قدر وافر من الرواية الشفوية - لم يكن يتثبت في الخريدة الاثار الا بعد عرضها على الشعراء ، وهو بهذا العرض ينتهج تقليدا من تقاليد اهل الرواية ، فيوثق مروياته ويصحح منها ما يلحقه من تحريف او تصحيف ، ومسلكه في هذا هو مسلك الثقات واهل الرواية والسمع .

ويبدو ان العمداء الاصفهاني لم يكن دائما يعتد بتدوين الاثار من افواه اصحابها ولهذا نراه احيانا يبدي ندما شديدا ان فاتته تدوين اثار الشاعر ، لو عرض له بترجمة ، ولم تسعفه مدوناته او ذاكرته باثبات شيء من اثاره الشعرية كقوله (وسمعت كتيبرا ينشد قصائده ...) وما اتفق لي اثبات شيء من شعره لوثوقي بالزمان وامتداده ، واني بواسط ولا يفوت ذلك ، ولم أدر ان الليالي

(١) انظر مقدمة القسم المغربي .

(٢) انظر قسم العراق ٢٧٥/٤ ، ٢٨٤ ، ٢٥٣ .

(٣) انظر مثلا قوله (والاشييت قصيدة على انها لابن المنذائي ، قاضي واسط ، فلما انشدتها للوادي قال هي لي لاله ٢٩٤/٤ العراق) .

فى قصد المرء وتعويق مراده (١) .

عوامل اتساع روايته :

(١) وظيفته :

فان وظيفته فى الوزارة ، قد أتاحت له أن يلقي الكثير من الشعراء ، وبخاصة اذا علمنا أن بعض من عرفهم من الشعراء وروى عنهم ، انما كانوا يحضرون اليه للشكوى ، وانجاز مطالب خاصة بهم .

ومن شواهد ذلك ترجمته للشاعر العراقى الشريف علم الدين بن الافساسى فقد تعرف على نسبه من شقيقه الاكبر ، وهو بحكم سنه أدري بنسب العائلة من الشاعر نفسه ، وكانا (أى الشاعر وشقيقه) قد وصلا فى سنة ٥٥٨ هـ من الكوفة الى ديوان الخلافة يسألان اعادة الاملاك التى أخذت (٢) .

(٢) اتصاله بابن هبيرة :

وكان ابن الخليفة المقتدى (٣) ووزيره فى الوقت نفسه ، وكان ابن هبيرة من أعلم واتفق وزراء السلاجقة ، حتى أنه خوطب بالوزير العالم العادل عون الدين جلال الاسلام صفى الامام (٤) ، وبالقاب اخرى كثيرة تدل على ما كان له من عظيم الفضل فى زمانه ، وكان ابن هبيرة ، كما اخبر

(١) الخريدة (العراق) ٣٩٤/٤

(٢) الخريدة (العراق) ٢٦٦/٤

(٣) أبو عبد الله الحسين المقتدى لأمر الله ابن المستظهر ، أحد حكام السلاجقة ببيع سنة ٥٣٠ هـ وتوفى سنة ٥٥٥ هـ (الخضرى - الدولة العباسية ٤٥٠) .

(٤) شذارت الذهب ١٩٦/٤ .

ابن الجوزي «ذا معرفة حسنة بالانحور واللغة والعروض» (١)، ومن هنا زخرت مجالسه بالشعراء وأهل الأدب، الذين حرص على استضافتهم (٢)، ولهذا فكثيرا ما تأتي روايات ابن العماد، مقتربة باسم ذلك الوزير العالم، الذي كان لوجوده أكبر الأثر في تنشيط الحياة الأدبية، وثناء صاحب الخريدة بالرويات كقول صاحب الخريدة:

(١) وكنا نجتمع في دار المولى الوزير عون الدين بن هبيرة كل غدوة، وننتظر اذنه الخواص في اللقاء، وجلوسه لاهل الفضل « وأنباه الرجال » (٣) .

(ب) ويسجل صاحب الخريدة عبارة من حديث له مع أحد الشعراء الوافدين عليه، يتضح من فحواها أكباره لابن هبيرة فيقول « فذكرت له التفات الوزير الى، وتحديث بانعامه على ولولاه ذل أهل الفضل، وعز أولي الجهل فهو الناقد البصير، العارف الخبير عاش الفضلاء في ذراه، فيا ضيعة ذوى الأدب وأولى الحسد لولاه ٠٠٠٠ » (٤) .

(ج) الكثير من أسانيد الخريدة تسجل أن مرويات العماد جاءت أثناء سماعه لها، وقد عكف الشعراء على القائها في مجالس الوزير ابن هبيرة (٥) .

٣ - خلقه :

من خلال سيرة العماد، وما وُصف به من دماثة الخلق، ولين الجانب وسماحة الطبع، ندرك بعدا هاما وراء ثراء

(١) نفس المرجع .

(٢) نفس المرجع .

(٣) خريدة القصر (العراق) ٢٥٠/٤ .

(٤) خريدة القصر (العراق) ٢٥٠/٤ .

(٥) خريدة القصر (العراق) ٢٦٦/٤ ، ٣٠٢ .

روايته ، فكل هذه الملامح الخلقية قد يسرت له سبيل التعرف بشعراء عصره ، او برواتهم ، فسمحت لهم نفوسهم بأجابته الى كل مطلب برواية ، غير باخلين ولا أشحاء بل كان منهم من يعيره مجاميعه ومذكراته الخاصة ، يقضى منها مطالب الرواية ، وكثيرا ما توحى عباراته بهذا الجو النفسى الذى نجح العماد فى خلقه مع روايته ، وهو جو يلقى ظلالا من المسودة والالفه والتقارب ، ومن عباراته فى ذلك قوله : « فاستأنس الشريف بمحاوراتى استثناسى بمحاورته ، وأتحفنى من رقيق عبارته ببيتين له » (١) .

٤ - منزلة عمه :

وعمه هو الصدر الشهيد عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد ، أحد شعراء الدولة الأيوبية ، وكان ابن العماد قد ألف الخريدة ليخلد فيها آثار الشعراء ممن مدحوا عمه ، الذى نال ارفع مكان لدى الأيوبيين ، فكان الكتاب وفاء لحق الشكر لما دحى عمه من الشعراء . وقد كان الاصفهاني قد جمع من المدايح التى قيلت فى عمه مجلدات ، لكنها ضاعت اثناء غارات الصليبيين . يقول صاحب الخريدة : « والذى دفعنى أولا على جمع هذا الكتاب اننى وجدت المعاصرين لعمى الصدر الشهيد عزيز الدين ابى نصر أحمد بن حامد من الشعراء ما فيهم الا من أم قصده كانت المدايح المجموعة فى عمى العزيز مجلدات غير أن العدو لما نكبه نهبا ، وذهب بها وأذهبها » (٢) .

وكثيرا ما كان الشعراء يلبون رغبة صاحب الخريدة فى

(١) الخريدة (العراق) ٢٥٠/٤ .

(٢) الخريدة (العراق) ٨/٤ .

رواية آثارهم وفاء منهم بفضل عمه عليهم ، حتى كان منهم من يعطيه آثاره ، فيعرض عليه العماد مالا غيايبي أخذه ذاكرة بفضل عمه وأياديه (١) .

٥ - اخلاصه العلمي :

وهو عامل ، يقوم من كل ما أسلفنا من العوامل الاخرى ، مقام السند ، والنصير ، فقد تجرد ابن العماد في سعيه وراء العلم ، ونشاطه الدائب في الرواية والتحصيل ، وذلك ما ذلل الصعاب أمامه ، طوى أسان المكان والزمان معا ، على مدى عشرين عاما أنفقها في تأليف موسوعته الكبرى .

ولولا دأبه ، لكان حسيبه شراغل الوظيفة ، وأعباء الديوان لتكون شاقعا له امام أى اتهام له بتقصير أو انصراف عن الرواية والتصنيف .

فلقد سعى ابن العماد وراء الرواة : ممن أتيج له لقاءهم ، ومن الدفاتر والذالوق الخاصة ، التي سنحت له فرصة استعارتها ، ومن مدوناته وتقييداته التي كان قد احتفظ بها ، ثم ضاع الكثير منها في هجمة الصليبيين ، ومن الكتب والمكتبات ، كما سافر الى مصر ، وإلى الشام ، ولقى بكل منها رواة من المغرب المسام ، وتطرف من أقواهم آثارا وأخبارا لأدباء المغرب والاندلس وصقلية مما ذكرناه جميعه في موضعه

بل ان ابن العماد لم يدع فرصة من فرص الرواية الا وقصد مصدرها واتجه الى مظانها ، لا يستثنى من ذلك اصحاب الدكاكين ، فعند ترجمته لاحد شعراء واسط ورواية بعض آثاره يقول : « وكنت أسأل لما جئت بغداد عنه ، فما

يعرف أحد ، أنشدني بعض النصارى الطارئين ببغداد يقال له (ابن ثومة) ، وكنت جالسا بباب دكانه وذكر أنه كان شيخا حلاويا ، فترك الحلاوة ، واشتغل بالشعر وأنتطايب (١)

كما كان يتردد على حوانيت بعض السواقين ، بغية الافادة العلمية ، ومن ذلك حانوت « سعد بن علي الوراق الكتبي الحظيري » ، الذي وصفه العماد بأنه : كتبي يعرف الكتب وما فيها ، والمصنفات ومصنفيه والمؤلفات ومؤلفيها (٢) ، وقد روى عنه العماد كثيرا من الآثار .

وكما قصد حوانيت الباعة ، والوراقين ، قصد كذلك خزانة دور الكتب (٣) ، لمعرفة الكتب بحكم وطولتهم ، وتعرفهم على المترددين ، من العلماء وأهل الادب والفضل ومشافتهم لهم ، ولهذا كان العماد يروي أحيانا آثارا يعز وجوها عند « خازن دار الكتب النظامية » (٤) ، التي كان نظام الملك الوزير السلجوقي قد أحققها بمدرسته في بغداد .

وإذا كان الثعالبي قد فتح باب مدرسة جديدة في الرواية والتأليف بكتابه اليتيمة وكان كتاب الخريدة أحد المعالم الفكرية في « مدرسة اليتيمية » فما هي شواهد انتساب الخريدة لليتيمة ؟ ثم ما أوجه الاختلاف بينهما ؟

شواهد التأثر تكمن في حرص العماد على تخليد آثار أهل المائة السادسة من الشعراء ، كما حرص صاحب اليتيمة على تسجيل آثار أهل القرن الرابع ، من الشعراء . والاتجاه

(١) الخريدة (العراق) ٤ / ٣٥٨ .

(٢) الخريدة (العراق) ٤ / ٣٥٨ ، وانظر أيضا ٤ / ٩٦ ، ٤ / ٢٨ إلى ١٠٦ .

(٣) الخريدة (المغرب) ٢ / ١٨٩ .

(٤) انظر المرجع السابق .

هنا واحد * وهو العناية بآثار المعاصرين ، دون الاقتصار على آثار السابقين ، ومفهوم المعاصرة الذى نقصده هنا ، هو أبناء عصر المؤرخ ، ممن أدركهم أو أدرك من لقيهم . وهذه العناية كانت مميّنة أن تلاحق النتاج الادبى والشعرى خاصة - فترويه وتخلده ، دون أن تقتصر جهودها على آثار السابقين ، ومنهم الجاهليون والاسلاميون .

(٢) اعتمدت الخريدة المصادر ذاتها التى اعتمدتها اليتيمة ، وهى الرواية الشفوية ، والكتب ، والتعليق .

(٣) حاكى العماد شيخه الشعالبى ، واحتذاه ، فى العناية بالصياغة اللغوية ، والتأنق فيها ، وتوشيتها بضروب من الزخارف ، وألوان من البديع ، فلم تصرفه الرواية والتاريخ عن مقتضيات الفن .

(٤) وكما ضعف جانب التاريخ عند الشعالبى ، فلم يحفل فى كثير من المواضع بذكر مواد الشعاع ووفاته أو برواية شئ من أخباره . كذلك كان الامر عند صاحب اليتيمة ، فى أكثر الحالات ، وإن قل ذلك نسبيا فى قسم العراق ، وظهر أوضح وأجلى فى قسم المغرب .

ففى قسم العراق مثلا ، يهمل الاضافة فى ذكر :

ابن الريفية (١) ، فيترجم له فى سطرين ونصف السطر ، ولا يذكر له مولدا أو وفاة ، وقريب منه (القاضى ابو حامد الاشتري) (٢) والمعلم أبو الازهر (٣) وأبو العز نصر ابن محمد بن مبادر النحوى (٤) وابن الناقة الكوفى (٥)

(١) العراق ١٠٧/٤

(٢) العراق ١١٨/٤

(٣) العراق ٢٠/٤

(٤) العراق ٢٤٧/٤

(٥) العراق ٢٧٥/٤

وأبرز نصر مواهب (١) وابن رؤاس (٢) وفي قسم المغرب تبدو الصورة أوضح ، عين يشير الى الشاعر بنمضه خاصه . ثم يفيض في ذكر آثاره رواية أو نقلا (٣) بل قد يكتفى بذكر اسم الشاعر ويتبع ذلك بآثاره (٤) .

(٥) وكما عنى الثعالبي في اليتيمة برواية آثار أهل زمانه في كل صقع دون الاقتصار على صقعه ، وخص في تقسيمه المنهجى ، كل اقليم بقسم . فكذلك كان صنيع صاحب الخريدة ، حين جعل قسما لبلده العراق ، ثم تجاوزه الى المغرب ، ليختصه بقسم ، ثم اختص أدباء الشام بقسم وهكذا .

فلما ما تفرد العماد به وفاق فيه أستاذه وشميخه في الوجهة والمنهج فنوجز أهمه فيما يلي :

(١) انه كان أكثر اتساعا من الثعالبي ، حتى صارت الخريدة أكبر موسسوعه في الآثار الشعرية ظهرت خلال القرن السادس الهجرى ، وهو يتجاوز بجهد حد الاتساع الى حد التفرق لا على شيوخه صاحب « مدرسة اليتيمة » فحسب بل على أقران له سبقوه في الانتماء اليها ، وأن لم يسبقوه بهذا فضلا وسعة (٥) .

فالثعالبي والباخرزى والحظيرى كانوا متفرغين أما صاحب الخريدة ، فكان مثقلا بالجسيم من الاعباء والشرأغل ،

(١) العراق ٢٨٤/٤

(٢) الخريدة ٣٦١/٤

(٣) ٥٥.٢٧.٥/١

(٤) ٢٥/١ ، ٢٦ ، ٨٣ (الوردانى وابن الصباغ ، ٨٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦)

(٥) ابن الوراق وخندوج .

(٥) وراجع تفاصيل هامة في مقدمة العلامة بهجة الاثرى للخريدة (قسم العراق) ص ٢ وما بعدها (ط بغداد) .

فقد بدأ تصنيف كتابه في بغداد ، وهو نائب عن الوزير العالم ابن هبيرة ، ثم حين وكل اليه صلاح الدين الأيوبي الكثير من الاعمال ، في وقت الحروب الصليبية وقد تضاعفت الاوزار ، واشتد الامر على نوى السلطان ، فنهض العماد بالامر كله ، ولم يقصر فيما كان بصدد من أجل خدمة الادب والتاريخ .

(٢) أنه - وان جارى أستاذه صاحب اليتيمة في اهماله الجانب التاريخي بشكل واضح في قسم المغرب ، وبشكل أقل في قسم العراق ، فإنه وفي قسم العراق بالذات يفيض أحيانا في أخبار من يترجم لهم ويروى لأثارهم ، ومن هؤلاء (الشيخ ابو المعالي الوراق الحظيري) الذي ترجم له وعنى بأخباره وكشف جوانب هامة من علاقته الفكرية به ، وبلغت هذه الترجمة نحو (٧٨) صفحة (١) .

(٣) وقد فضل العماد شيخه صاحب اليتيمة في أنه وان أهمل كثيرا الجانب التاريخي ممثلا في الأخبار وتواريخ المولد ، الرفقة ، فقد عوض هذا النقص - وبخاصة في قسم العراق - بظاهرة هامة ، جعلت « الخط الزمني » (واضحا لديه في بعض الاحيان ، وهذه الظاهرة هي ذكره لتاريخ لقائه بالشاعر او تاريخ تركه اياه ، او تاريخ روايته عنه ، ويكثر نحو ذلك في مواضع من الخريدة (٢) .

(٦) أبو طاهر السلفي (ت ٥٧٦ هـ) :

يعد السلفي - من وجهة نظرنا - أهم راوية ظهر خلال

(١) قسم العراق من ص ٢٨ الى ص ١٠٦
(٢) انظر مثلا : ٨/٤ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٥٤ ، ١١٤ ، ١٧٢ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٢٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤١٦ .

وهو الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفه ، الملقب
بـ حضر الدين ، وسلفه - هكذا بكسر السين المهملة وفتح الهمزة -
هو لقب جده (أحمد) ، ومعناه : غليظ الشفة ، هكذا ورد
ابن خلكان نسبة (١) وأصل السلفي من (أصبهان) ، وتدل
الدلائل على تميزه بنبوغ مبكر في الرواية حتى حثت هوعن
نفسه ، أنه روى الحديث في بلده (أصبهان) وهو ابن سبع
عشرة سنة «أكثر أو أقل» (٢) ، ثم رحل من أصبهان إلى
بغداد التي كانت - آنئذ - كعبة القصاد من الرحالة
الرواة ، فندرك فيها طائفة من ثقات الرواة (٣) ، ومن أهم
هؤلاء الشيوخ في رواية الأدب والذين تخرج بهم في بغداد -
أبو زكريا التبريزي تلميذ أبي العلاء المعري وشيخ
أبي منصور الجواليقي (٤) .

وقد ذكره السلفى ضمن شيوخه الذين جمع لهم معجما ، حين عرّف بهم وذكر آثارهم على طريقة الرواة (٥) ثم غادر أبو طاهر السلفى بغداد فى طريقه الى مكة ، لاداء فريضة الحج ، فلم يفته هناك السماع من شيوخها ، ثم قفل من الحج ليبدأ « الرحلة » وهى من اوسع الرحلات التى قطعها الرواة فى زمانه ، فقد عاد من الحجاز الى العراق مرة أخرى لكنه فى هذه المرة رحل الى الكوفة والبصرة ،

(١) وما أوردناه من نسبة مختصر عن وفيات الاعيان (٨٧/٦)
 (٢) شذرات الذهب ٢٥٥/٤
 (٣) شذرات الذهب ٢٥٥/٤
 (٤) وفيات الاعيان ٨٧/٦
 (٥) شذرات الذهب ٢٥٥/٤

ثم غادر العراق إلى شمدان وزنجان والري والدينور
وقزوین وأذربيجان مرة أخرى .

وبعد هذه الجولة العريضة في بلاد العجم ، قصد
السلفى الشام ومصر حيث درس فقه الشافعية واتفقه (١) ،
وبرع في الادب (٢) وأتقن القراءات (٣) .

ثم حان من العالم أن يستقر بالاسكندرية ، وقد كان مر
بها عابرا في رحلة أداء الفريضة ، فأقام بها بضعا وستين
سنة « مكيا على الاشتغال والمطالعة والنسخ وتحصيل
الكتب » (٤) .

وفي الاسكندرية - التي اتخذها السلفى موطنًا ومقامًا
توافرت له أسباب الاستقرار الاجتماعي والعلمي ، اد يدر
ابن عساكر انه « تزوج بالاسكندرية امرأة ذات يسار ،
وحصلت له ثروة بعد فقر وصارت له بالاسكندرية وجاهة ،
حتى ان الملك العادل ، امير مصر آنئذ ، بنى له مدرسة
بالاسكندرية » (٥) .

ولقد توافرت لابی طاهر السلفى الكثير من أسباب النبوغ
والشهرة وبعد الصيت ، على امتداد الزمان والمكان .

وقد اشرنا لبعض هذه العوامل ، ومنها نبوغه الفطري
واتساع رحلاته ، ونضيف اليها استقراره الاجتماعي والمادي

(١) شذرات الذهب ٢٥٥/٤

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) نفس المرجع

بالإسكندرية ومنهجا أيضا استمراره العلمى : اد
بنى له (ابن السلا العادل) مدرسته حملت اسمه
بمدينة الإسكندرية ، ثم شغفه العميق بالرواية والعلم الذى
تمثل فى رحلاته ومكافاته للادباء والعلماء .
وحرصه على الاجتماع بهم فى الاسكندرية وبخاصة رواد
وادباء الاندلس ، وهم فى طريقهم الى مكة لاداء فريضة الحج
و ثم ان السلفى ايضا كان من المعمرين ، فقد ولد
سنة ٤٧٢ هـ ومات سنة ٥٧٦ هـ . اى إنه عاش أكثر من قرن
من الزمان ما بين الربع الأخير من القرن الخامس ، والربع
الأخير من السادس ، حتى قبال الذهبى وهو يدعى لهذا
العمر الطويل الذى عاشه السلفى (ولا أعلم احدا مثله
فى هذا) (١) ، وحتى ان ابن خلكان وهو يترجم له اضطر الى
تأكيد ذلك مخافة أن يلحق بخبره عن « عمر السلفى » اثارة
من ارتياب (٢) .

وقد وثقه جميع العلماء ، فقال ابن (السمعاني) : « وهو
ثقة ورع متقن متثبت حافظ فهم له حظ من العربية » (٣) .
وقال عنه ابن العماد الحنبلى « الحافظ العلامة الكبير
مسند الدنيا ومعمر الحفاظ » (٤) ، ومن هنا كان مبعث شهرته ،
حتى قصده الناس من شتى بقاع الارض فاكثسب فى العالم
الإسلامى مكانة لم ينافسها فيها سواه من الحفاظ (٥) .

- (١) شذرات الذهب ٢٥٥/٤
(٢) انظر : وفيات الاعيان ٨٩/١ ، واختار سنة ٤٧٢ هـ .
تاريخنا لوفاة السلفى بعد ان ذكر روايات متعددة (٨٩/١٠) .
شذرات ٢٥٥/٤
(٤) شذرات ٢٥٥ / ٤
(٥) وانظر : وفيات الاعيان ٨٩ / ١

أما عن جهنود أبي طاهر السلفي في رواية الادب ، فهي
في نقاط أهمها :

١ - أتاح له مقامه بمدينة الإسكندرية لقاء عدد كبير
من أهل المغرب والأندلس وصقلية ، ومن لقيهم وروى
عنهم من الأدباء ~~وهذه هي الرواية~~ الفريق :

(١) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي بشر الكاتب
الصقلي وقد ترجم له القفطي في انباه الرواة ، وذكر أنه
(عالم يعلم النحو والعروض فيهما ، يبلغ فيهما مشارك
في جميع الأنواع الأدبية ، متصدر لإفادة هذا النوع ،
وله شعر) (١) .

وروى القفطي عن أبي طاهر السلفي بطريق « الأجازة
العمامة » ، خبرا وأبياتا له ، القفطي إلى السلفي يؤكد
لقاء الشاعر للحافظ أبي طاهر ، وتحديثه إياه (٢) .

(ب) عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسى
الأفريقى الصقلي (٣) .

(ج) ابن القطاع الصقلي (٣) (٤٣١ هـ - ٥١٥) وقد
قال الشعر صبيبا ، وذكره ابن العماد وقال : « رأيت أنا

شعره

- (١) انباه الرواة : ٢ / ٢٩٠ .
(٢) وانظر أيضا : خريدة القصر (بتحقيق محمد السرزوقي
ومحمد العروسي الطوى والجيلاني بن الحاج يحيى / طبعة الدار التونسية
سنة ١٩٦٦ م) قسم المغرب ١ / ٥ . وانظر أيضا أخبارا عن بعض سلفي
صقلية ، فصول من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس العدد ٣ لسنة
١٩٥٥ بتحقيق الأستاذ المستشرق أمبرتر ريزيثانو .
(٣) أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السلفي) ٥٥ -
٥٦ ، ١٧٤ (ط بيروت) . وترجمه له صاحب الخريدة (قسم المغرب)
١ / ٢١ .
(٤) معجم السلفي : أخبار وتراجم أندلسية ١٣٠ - وانظر خريدة
القصر (قسم المغرب) ١ / ٥١ - ٥٥ .

بمصر من رآه وعاش الى اخر زمان أمّ فضل ورايت خصه
على دفن في سنة ٥٠٦ هـ ، ونقل له صاحب الحريده اجمعه من
أشعاره (١) كما روى أنفعطي من السلفي بمصر (٢) ،
ويطول الحديث لو رحنا نستعرض ما جمعه السلفي من
أخبار الشعراء وسجل بهم جمعه من آثارهم (٣) ، وعبارته
في معجمه تفيد ذلك كقوله (وقد علفت عنه فوائد جمعه رحمه
الله) ، (وعندى منه مقطعات أنشدها) وقوله :
(وقد علفت منه جملة)

٢ - ولم تقتصر مرويّات أبي طاهر على ما يجمعه من
أقواه أولئك الشعراء الذين علق منهم ، بل قد يلقى أحيانا
رواة أندلسيين يأخذ عنهم ، ويلقف من أقواهم ما وعنه
حواظهم ودفاترهم من آثار صدقهم (٤) .

وكان بعض هؤلاء الذين يروى عنهم أبو طاهر السلفي هم
ممن حضروا للقراءة عليه ، والتخرج به ، وقد انتهن السلفي
هذه الفرصة ، ليأخذ منهم ويروى عنهم ، كما حدث في
روايته عن أحد علماء الأندلس ، وهو (أبو عبد الله الحمصي) ،
الذي روى للسلفي بعض آثار (أبن حزم الأندلسي)
(٤٥٦ هـ) (٥) بالسند المتصل بابن حزم . وقد كان
(أبو عبد الله الحمصي) هذا كما وصفه السلفي - « من
أهل العلم وله أنس تام بالحديث ورجاله - وقرأ على كثير

(١) فريدة القصر (قسم المغرب) ١ / ٥١ - ٥٥ .

(٢) أنباه ٢ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) وانظر : أخبار عن بعض مسلمي صقلية الفقرات ١ ، ٢٢ ، ٣٧ .

٤٢ ، ٥٨ ، ومواضع أخرى . وانظر أيضا : معجم السفر : ١ / ١٥٨ ،
٢٤٢ ٢٤٤ ، ٢ / ٢٨٧ ، ٢٦٠ وغيرها .

(٤) معجم السفر : ٢ / ٢٦٠ وانظر غيرها .

من كتب ورجع الى الاندلس وانتفع به (ابروايتة هناك) (٢) *
وكما روى السلفي أشعارا أندلسية ، فقد روى كتباً
أندلسية في علوم الشعر * .

٣- وكما انتقلت الى المشرق آثار أهل المغرب عن طريق
أبي طاهر فقد عبرت آثار المشاركة الى الاندلس والمغرب ،
اذ نجد بعض آثار المعري مروية بطريق تلميذه «ابهرى» (١)
باسناد متصل الى المعري ، وفي الأسناد أبو طاهر
السلفي (٣) * .

٤- بل أن بعض ما نسبته من أسانيد السلفي في كتب
رواة الاندلس تفيد : أن بعض ما أودعه رواه الاندلس
تصانيفهم ، من الآثار الأندلسية - قد صحت لهم روايتها عن
طريق أبي طاهر السلفي نفسه ومنها أشعار لعبد المست
زهرة الأشبيلي (٤) * .

٥- ولم يكتف السلفي بلقاء رحالة الاندلس للرواية
عنهم ، بل كاتبهم ، وظفر من خلال مكاتباته اياهم بمرويات
لهم ، ومن هؤلاء العلماء ابن بشكوال (٤٩٤ - ٥٧٧ هـ)

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الاندلسي ، وهو امام المذهب
الظاهرى وكان اجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، راوية للأشعار
والأخبار والسير (والصلة لابن بشكوال ٤٠٩/٢) * .

(٢) معجم السفر ٢/٣٥٩ * .

(٣) راجع ترجمته في الفصل الخاص بابي العلاء المعري * .

(٤) انظر : التكملة لابن الأثير ٢/٥٩٠ * .

(٥) انظر : التكملة لابن الأثير ٢/٢٣٥ * .

(٢٠ - الشعر)

أنسدي كان من أئمة رواة الأندلس في عصره ، مسجع الرواية شديد العناية بها عازرا بوجوبها ، محجبا فيما يرويه ويسنده ، حافضا حافلا أخباريا تاريخيا ، ذاكر لأخبار الأندلس القديمة والحديثة ، واستند عن شيوخه نيفا وأربعمئة كتاب بين كبير وصغير - كما عمر طويلا ، فرحل الناس اليه ، وخذوا عنه ، وانتفعوا به « (١) » .

ومن هنا - ومن خلال هذه المكانة العلمية لأبن بشخوال في صقع الغرب الإسلامي - ندرك ابعاد تسمية العلمية التي تنطوي عليها مكاتباته المتصلة بينه وبين حافظ المشرق ، ومسند الدنيا في زمانه .

٦ - كذلك اتصلت المكاتبات بين الحافظ السلفي وبين بعض علماء المشرق إذ ان بعضهم لم يجب السلفي التي مطلبه للرواية عنه ، ومنعه الكبر او منعه بواعث أخرى . ومن هؤلاء « جاز الله الزمخشري » المفسر والعالم اللغوي الذائع الصيت في زمانه (٢) .

وقد كان الزمخشري مجاورا بمكة ، حين وافته استجازة الحافظ السلفي له بمسموعاته ومصنفاته ، لكن الزمخشري لم يجبه وإنما « رد جوابه بما لا يشفي الغليل » (٣) ، ومن خلال ما وافقنا به المراجع نعلم ان محاولة أبي طاهر السلفي لاستجازة الزمخشري قد تكررت ، ومع هذا رد

(١) ابن الأثير : التكملة ٢٠٥/١ وانظر شاذج من مكاتبات السلفي لعلماء الأندلس سوى ابن بشخوال - في التكملة ٤٥/٢ ، ٥٨٢ .
(٢) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، صنف الكتاب في التفسير ، وأساس البلاغة في اللغة واد سنة ٤٦٧ ، ومات سنة ٥٣٨ هـ .
(٣) شذرات ١٢٠/٥ .

عليه الزمخشري مرة أخرى في رسالة كتبها « بأفصح عبارة وأبلغها ولكنه لم يصرح له بمقصوده » (١) .

وهكذا تسجل هذه المحاولات المتكررة من جانب السلفي مدى ما كان يتميز به من رغبة خالصة للعلم وتعلق بأهله .

(٧) وكما حرص السلفي على استجادة أهل العلم وتحمل من بعضهم صدودا أو مرواغة ، فكذلك كان حرصه على ان يقدم الافادة العملية ، غير باخل ولا ضنين ، حتى ان اجازته العامة التي انتفع القفطي بها كانت من اهم مصادر كتابه « انباه الرواة » (٢) .

وهكذا حقق ابو طاهر السلفي نوعا من التواصل والاتصال العلمي بين المشرق والغرب ، مكنه من ذلك عوامل كثيرة .

كما استطاع ان يثبت الحيوية الجغرافية الهامة لمصر وما يمكن ان تحققه من الاتصال عبر الزمان والامكنة

(١) شذرات الذهب ١٢٠/٥
(٢) انظر مثلاً : ١٤٠/١ - ٧٣ - ١٣٣ - ١٣٦ - ٨٨ - ٦٦/٢ - ١٠٨
- ١٩١ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٤٧ - ٢٨٧
- ١٠٦/٣ - ١٩١ - ٢١٧ - ٢٤٧ .

•

•

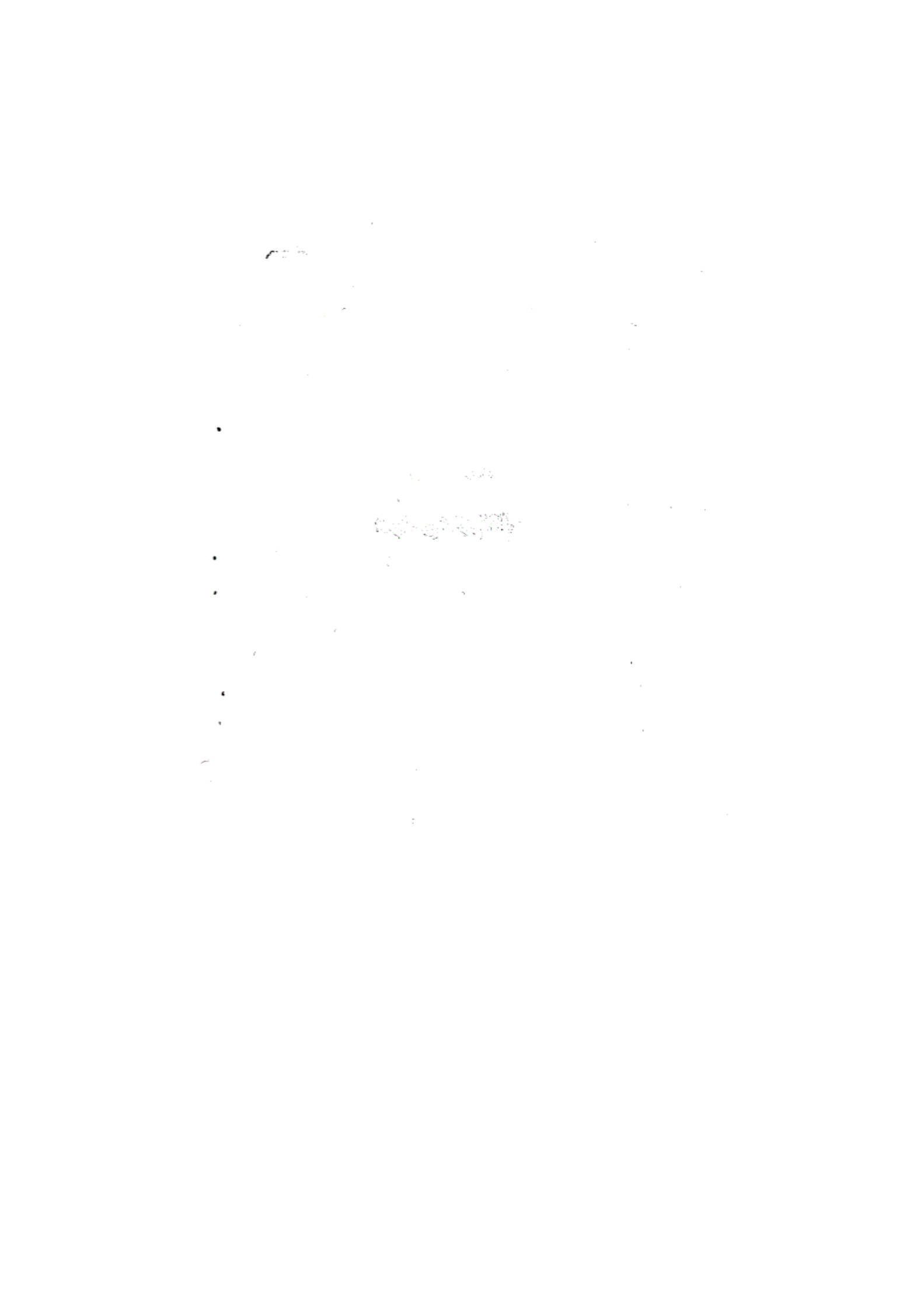
•

•

•

الباب الرابع

القرن السابع عشر الهجري



تمهيد :

الحياة السياسية :

دخل القرن السابع ، ولم تزل للخلافة العباسية ظلال من وجود وخليفتهم - يومئذ - هو الناصر لدين الله ، الذي انتهت خلافته بوفاته سنة ٦٢٢ هـ ، وقد كان العباسيون قد استعادوا شيئاً من سلطانهم السياسى واستمرت هذه الظلال من نفوذ العباسيين الى سنة ٦٥٦ هـ .

وفى مصر والشام كانت دولة صلاح الدين الايوبى التى أسسها منذ سنة ٥٦٤ هـ .

ولقد شهد القرن السابع الهجرى بداية الزحف التتري ، وكان يقترب من أبواب بغداد ، ويحث الخطا اليها ، على حين كانت المدينة تموج بكل ما يصرفها عن المواجهة والتأهب ، وفى مقدمته ذلك النزاع بين طائفتى السنة والشيعة ، الذى أخذ بعد ذلك صورة الصراع الدموى ، حتى قدر لجيش هولاء تطويق حاضرة الاسلام الى أن لفظت أنفاسها بين يديه ، وعاث فيها وجنوده الفساد ، تدميراً واحراقاً لكل ما يمت الى الحضارة الاسلامية بنسب . وفى مقدمة ذلك الكتب .

أما عن الحياة الأدبية ، فقد ظل الادب ، شعراً ونثراً ، يدور فى فلك الصدمة اللفظية وان لم يتخلف عن لمشاركة الملزمة فى خضم الحياة ، فسجل لنا أهوال الصليبيين ، حتى اعتبر الادب فى أجماله أحد الوثائق الناطقة بهذا الحدث السياسى .

ولقد كان الايوبيون يقربون اليهم أهل الادب ، ويشاركون فى النهوض بالفكر العربى ، رغم كونهم أكراداً

متعربين ، واشتغلوا بتحصيل الكتب النفيسة وأشهر شعراء هذه الحقبة ابن مطروح ، (١) والبيهاء زمير (٢) ، والبصري (٣) وعمر بن الفارض (٤) .

كما كان من أبرز الملامح الفكرية لهذا العصر ظهور موسوعات كبرى في التراجم التاريخية ، في مقدمتها معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وانباء الرواة للقفطي ووفيات الأعيان لابن خلكان .

وفي القرن السابع نضجت فنون شعرية مستحدثة عرفها أهل الأندلس ومنها فن الموشحات والأزجال ، وكان من مظاهر هذا النضج تأثر المشاركة بهذه الفنون الجديدة وعنايتهم بها ، نظما وتدوينا . ومن أشهر الشعراء في ذلك ابن سناء الملك (٥) .

واللغة

وقد كان من المعالم الفكرية الهامة خلال القرن السابع الهجري ما زخر به صعيد مصر من ضروب النشاط الفكري في الحديث والأدب وبخاصة في مدينة قوص^(٦) واتصل بين هذا المركز الحيوي الهام وبين الأندلس والمغرب حوار من

(١) جمال الدين ابن مطروح ، أحد قواد بني أيوب وشاعر مصري (ت ٦٤٩ هـ) وفيات ٢/٢٨٢ .

(٢) محمد بن علي القرصني ، أحد كتاب الإنشاء في الدولة الأيوبية بمصر وشاعر مصري (ت ٦٥٦ هـ) ٣٧٦/٥٠ .

(٣) علي بن أبي الفرج البصري صاحب الحماسة البصرية (ت ٦٥٩ هـ) (زيदान ٢/٢٢٢) .

(٤) أبو جعفر عمر بن أبي السنن الشاعر الصوفي ، مصري المولد والدار (ت ٦٣٢ هـ) .

(٥) القاضي السعيد هبة الله بن القاضي الرشيد المصري وصاحب دار الطراز في الموشحات (ت ٦٠٨ هـ) حسن المحاضرة ج ١ فصل من كان بمصر عن الشعراء .

(٦) وانظر الطالع السعيد لؤي في مواضع حتى .

الفكر والادب جرى بدراسة موسعة تكشف أمام الباحثين
ابعاده ومدايه ، وتولى ابن دقي العبد (ت ٧٠٢ هـ) - أحد
الرواة الفقهاء والأدباء - توجيه الحياة الفكرية في هذه
البقعة النائية من وادي النيل .

وفى الاندلس ظهر ابن مالك ، امام أهل اللغة والنحو في
زمانه ، وكان « بحراً لا يجارى » على حد ما وصف به (١) ،
وأشتهرت ألفيته المعروفة في النحو ، وكان ظهورها ذا
دلالة علمية هامة ، من حيث الاتجاه الى نظم العلوم ،
وهو اتجاه سوف يأخذ بعد ذلك طابعاً هاماً وبخاصة في
القرن الثامن الهجري وما بعده .

أما الرواية الأدبية - والشعرية بخاصة - فقد ظلت
قائمة نشطة وبخاصة بين أصحاب التراجم التاريخية وأن
كان نشاطها في الاندلس قد فاق نشاطها في المشرق ، وقد
كان ابن مالك المتقدم الذكر ممن يضرب بهم المثل في سعة
الرواية في « أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة
والنحو » (٢) ، وكان يشتهر بالحفظ الواسع والذكاء
في الرواية « (٣) .

ونحاول - فيما يلي - دراسة أبرز اتجاهات الرواية
الأدبية في القرن السابع ، بادئين بالرواة المؤرخين من
أصحاب السير ، وعلى رأسهم ياقوت الحموي صاحب
(معجم الأدباء) .

(١) شذرات الذهب ٣٠٠/٥
(٢) شذرات الذهب ٣٠٠/٥ ونج الطيب ٤٢٢/٢
(٣) نجح الطيب ٤٢٢/٢

الفصل الأول

الرواة المؤرخون

أولا : أصحاب سير الأدباء

« ياقوت الحموي (١) ت ٦٨٦ هـ »

ترجمته :

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد بالبغدادى الدار ، وأشهر مؤرخى العرب فى تراجم أهل الأدب ، كما أنه أشهر الجغرافيين العرب القدماء وأوعاهم مادة وأبقاهم أثرا ، وأوسعهم فضلا ونفعا .

وأصل ياقوت الحموي من بلاد الروم ، وقد أسير صغيرا ، ثم حمل من بلاده فأبقتاه تاجر فى بغداد يسمى « عسكر الحموي » ، فأتخذه كاتباً له ، وظل عبداً رقيقاً له .

(١) حمل اسم ياقوت من الأدباء وهم على التوالى :

أ) أبو الدر ياقوت المستعصى بن عبد الله الموصلى الكاتب ، ولقبه أمين الدين وشهرته المسكى وتوفى سنة ٦١٨ هـ (شذرات الذهب ٦٧/٥) .

ب) أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور ، مولى أبي منصور التاجر الحلبى (٦٢٢ هـ) . شذرات الذهب ١٠٥/٥

ج) أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد بالبغدادى الدار وهم من تعرض له وصاحب معجم الأبياء ومعجم الأبدان وتوفى سنة ٦٢٦ هـ (شذرات الذهب ١٢١/٥) .

الى أن أعتقه وأطلق سراحه سنة ٥٩٦ هـ . فاشتغل ياقوت
نساخا بالأجرة فكانت حرفة الوراقة والنسخ هي النافذة
التي أطل منها على أرحب آفاق المعرفة .

وقد تنقل ياقوت الحموي بين البلدان بحكم معيته في
خدمة مولاه (عسكر الحموي) .

وقد كان ياقوت الحموي « متعصباً على الامام على
بن أبي طالب » ، فثار الناس ضده ، فهرب الى مدينة حلب ،
ومن هنا تنقل ما بين راربل وخراسان ، ثم مرو ونيسابور
وخوارزم ، ثم فر الى الموصل من وجه التتار ، « حيث قيّمها
وهو على حال من العوز والعزى والفقر » ، ومنها انتقل
إلى غيرها ، حتى انتهى المطاف به إلى حلب مرة أخرى (١) .

ويبدو من تتبع ترجمته في أماكن متفرقة ، أنه قد استطاع
أن يوثق صلته ببعض علماء عصره ، ذكر بعضهم في
معجمه ، وروى عنهم . ومن هؤلاء العلماء (عز الدين
ابن الأثير) صاحب التاريخ الكبير ، الذي سلمه كتبه التي
كان قد أوقفها على مسجد الزيدى ببغداد (٢) كما زار مصر
ولقى بها بعض الرواة ، فاختر صبعة نقلهم وأخذ عنهم (٣)

ولياقوت الحموي عدا معجم الأدباء كتب أخرى مثل :
معجم البلدان الذي يعد مسوعة جغرافية في وصف البلدان
درتية ترتيباً معجمياً (٤)

(١) شذرات الذهب ١٢١/٥
(٢) شذرات الذهب : ١٢١/٥
كل أنظر : معجم الأدباء ١٧/١٨ ، ١٩٩/١ .
(٣) طبع بمصر سنة ١٩٠٩ م وما زال بحاجة الى إعادة نشره بعناية
لجنة من الجغرافيين والأدباء .

الدافع الى تأليف الكتاب :

وهي تتلخص - كما أوضحها في مقدمته - فيما يلي :

- ١ - شغف ياقوت بسير العلماء وأخبار اهل الأدب .
- ٢ - ان ما كان قد ألف في هذا الفن لا يفي بشغفه ، ولا طموحه في التعرف على سير اهل المعرفة . وقد لخص ياقوت هذين الدافعين في قوله « فما زلت منذ غذيت بغرام الأدب ، وألهمت حب العلم والطلب مشغوفاً بأخبار العلماء متطلعاً الى أنباء الأدباء ، أسائل عن أحوالهم ، وأبحث عن نكت أقوالهم بحث المغرم الصب والمحب عن الحب وأطوف على مصنف فيهم يشفى العليل ، ويداوى لوعة الغليل فما وجدت في ذلك تصنيفاً شافياً ولا تأليفاً كاملاً » (١) .

مصادره :

وهو نوعان : الكتب فيمن لم يدركهم من الأدباء ، والرواية عن أدركهم ولقيهم ، أو لقي من لقيهم من الرواة (٢) .

(١) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ٤٥/١ .
(٢) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ٤٥/١ : ٤٦ .
(٣) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ٤٩/١ .

نهجه في الأسانيد :

أما عن استخدام الأسانيد ، فقد أوضح ياقوت نهجه فيها ، إذ حذف الأسانيد « إلا ما قل رجاله ، وقرب مناله مع الاستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازة (١) . وكان هدفه من الاقتصاد في ذكر الأسانيد هو « صغر الحجم » (٢) . والتخفف من اطالة الكتاب بها .

على أن ياقوت لم يفته في الوقت نفسه توثيق مروياته عن الكتب ، وفي ذلك يقول : « وأثبت مواضع نقلي ومواضع أخذني من كتب العلماء المعول عليها في هذا الشأن عليهم ، والمرجوع في صحة النقل إليهم » (٣) .

مروياته الشعرية :

كانت الرواية للأثر الشعرية أحد الأهداف الهامة التي بنى عليها ياقوت الحموي معجمه في الأدباء . فقال في مقدمته : « فأودعت في ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر فدوّن ديوانه ، وشاع بذلك (مذكره وشأنه) » (٤) ويعد كتاب معجم الأدباء أحد المصادر الهامة للكثير من الآثار الشعرية والتي من بينها :

١ - لمن لقيهم ياقوت من الشعراء أو لقي أقاربهم فروى من الآثار ما سجله الكثير منه في معجمه ، ومن هؤلاء

١ - معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ٤٩/١ .
٢ - معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ٥١/١ .
٣ - معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ٥٢/١ .

الأسواني (١) ، وأحمد بن علي المأمون ، (٢) والمروزي (٣) ، وابن ممتي (٤) ، وأثار الـ (منقذ) ، - حيث لقي منهم بعضهم ، ومنهم مرفف بن أسامة بن سعد (٥) ، وقد روى وأفاض في آثار الـ منقذ ، وشميم الحلي (٦) ، حيث لقيه فسمع منه ، كما لقي ياقوت الحموي أيضا رواه الآخرين عارفين بأثار شميم الحلي فلم تفته الرواية عنهم والسماع منهم أيضا ، ومنهم أيضا ابن الحجاج ورواية آخر لقيه ياقوت بمرور يقال له (فخر الدين) (٧) .

تنقله

وقد كان مما يسر لي ياقوت الحموي سعة مروياته للأشعار وأخبار الشعراء (منقله) ، الدائم بين التسام ومصر ومرو وثيسابور (٨) ، لأنجاره في الكتب ، وتوثيقه لأسباب الاتصال ببعضهم ، إذ من هؤلاء الشعراء أصدقاء ياقوت جمعيتهم به جرفة الورقة (٩) ، ثم حرصه الدائب على السماع والرواية ، وقد لاحظنا كيف لم يكتف برواية آثار شميم الحلي عن شميم نفسه ، بل سمع أيضا ممن لقوه .

ولم يكتف ياقوت برواية آثار شعيرة لأهل المشرق ، بل روى آثارا أندلسية ، ومنها آثار لأميه بن أبي الصلت الداني

(١) ٥٢/٤ : ٦٢

(٢) ١٨٤/٤

(٣) ١٤٨/٦

(٤) ١١٩ : ١١٠

(٥) ٢٤٣ : ١٩٢/٥

(٦) ٥١/١٢ - ٦٦

(٧) نفس المرجع

(٨) مثل ابن البرقي الوراق ، وأنظر معجم الأدياء ٢٧١/١٧

(٩) ١٠٥/٩ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٩٥

وأنظر في أصدقاء ياقوت من غير الوراقين : (محمد بن أحمد الزاهري الأندلسي الذي لقيه ببغداد ٢٧٧/١٧) و (محمد بن أحمد الأنصاري الدسوقي ٢٧٩/١٧)

الأندلسي (١) *

٢ - وقد كان ياقوت الحموي في روايته آثار من لم يلقيهم ، يشير أحيانا إلى دواوين أشعارهم ويرجع إلى تلك الدواوين للمقارنة والتوثيق شأن أهل التحقيق من الرواة ، (٢) أو يرجع إلى كتب أثبتت ما رواه من الآثار الشعرية (٣) .

٣ - وعنى ياقوت الحموي في مواضع من معجمه بظواهر أخرى تدل على انتمائه إلى طريقه أهل التحقيق والرواية من هذا مثلا : إشارات المنعقدة إلى الآثار المنحولة ، وتحقيقه للكثير منها (٤) ، وإشارات إلى الخلاف في الروايات ، واختياره لما صح لديه منها كلما أمكنه ذلك (٥) .
٤ - وكثيرا ما ترد عبارات ياقوت في وصف رواة دليله غير منقوض على تحريره واستمائه بصحة مصادره كقوله مثلا : « نقل لي بمصر بعض من اختبرت صحة نقله » (٦) ، أو وصفه لأحد رواة بأنه : « مختص بأخبار الأمم والأشعار » (٧) .

٥ - كما عنى ياقوت الحموي بتوثيق مروياته لآثار شعراء متقدمين عليه زمنا ، بالإسناد المتصل إلى هؤلاء الشعراء ، مثل روايته لبعض آثار البحتري بإسناد متصل بالبحتري ذاته (٨) .

- (١) معجم الأدباء : ٦٤/٧ : ٧٠ وأنظر عن هذا الشاعر رسالته ماجستير بدار العلوم : عبد الله الهوني ، بإشراف الدكتور أحمد هيكل .
(٢) معجم الأدباء : ١٧١/١٤ : ١٧٨ .
(٣) منها مثلا : كتاب للصولي في شعراء مصر (٧٧/٤ : ٧٨) .
(٤) ٦٠/١١ .
(٥) ١٥٨/١ ، ٢٤٦/٣ .
(٦) ٧١/١٨ ، ٢٩٣/٦ ، ٩/٢ .
(٧) معجم الأدباء ٢٦/١٨ .
(٨) معجم الأدباء ١٧٨/١٦ .

ولقد التزم ياقوت الحموي بقيود الخلق ، فرفض أن يروي الفاحش من الآثار ، ومن هنا نقاها من روايته ونزه كتابه عن ذكرها ، وصرح لنا بذلك في غير موضع منه (١) ، وهو يختلف في ذلك ~~بما ينهض دليلا آخر على~~ عن أمثال الثعالبي ، وأبى الفرغ الأصفهاني ممن ضمنوا مروياتهم فاحش الآثار .
وقيل تأليف الحموي لمعجمه في الأدباء ، صنف كتابا في « أخبار الشعراء » أشار إليه في غير موضع (٢) ، ونقل منه في معجمه . بما ينهض دليلا آخر على عناية ياقوت الحموي برواية الآثار الشعرية ، التي حرص عليها في معجمه ، ونبه إلى حرصه ذلك من خلال مقدمته التي سبق إيراد نصها .

مصادره من المدونات :

رجع ياقوت الحموي في تأليف معجمه إلى عشرات من المصادر المدونة من الكتب ، ودواوين الأشعار ، والجذائذ التي تأكد من وثاققتها ، فنقل عنها مطمئنا إلى صحتها ، وصحة محتواها .

وقد كان لاشتغال ياقوت الحموي بحرفة الوراقة ، وما تقتضيه حرفته تلك من وجوب التنقل بحثا عن الكتب واتجارا فيها ونسخا لها ، كان لذلك أثر واضح في كثرة ما وثق به نقوله من المصادر كما سيتضح .

ونقصر القول هنا على بعض ما يتعلق من هذه المصادر بالآثار الشعرية الواردة في معجمه . ومن هذه المصادر :

(١) معجم الأدباء : ٣٦/١٦ ، ٩٨/١٣ ، ومواضع أخرى .

- ١ - الشعر والشعراء لابن قتيبة *
- ٢ - أخبار شعراء مصر لأبي بكر الصولي *
- ٣ - أخبار الشعراء لأبي جعفر النحاس المصري *
- ٤ - كتب المرزبانى والامدى والقاضى الجرجانى وأمالى القالى *
- ٥ - الأغانى للأصفهاني *
- ٦ - وشاح الدمية للبيهقى *
- ٧ - خريدة القصر للعماد الأصفهاني *
- ٨ - معجم الشعراء لأبي طاهر السلفى *
- ٩ - المختار من أشعار المحدثين لأمية بن أبى الصلت الأندلسى *
- ١٠ - المختار فى الأخبار والأشعار للحسن الرامهرمى (ت ٣٠٦ هـ) *
- ١١ - العقد الفريد لابن عبد ربه *

هذا عدا كتابه (فى أخبار الشعراء) وعشرات أخرى من المراجع لا يتسع المجال هنا لذكرها على سبيل الحصر : ويهمنى ان نسجل هنا بعض الملاحظات بشأن مصادر ياقوت الحموى نوجزها فيما يلى :

- ١ - أن كبرى مصادر ياقوت التى اعتمدها فى نقوله كان يرويها بالسماع على ثقات من مشايخ الرواية فى عصره ، وكانت روايته لها بالسند المتصل الى مؤلفيها ، بما يوثق هذه المصادر ، ويجعل النقل عنها ، رواية ليست فقط بطريق « الوجاهة » ، ولكن بطريق السماع أيضا *

وشاهدنا نستقيه من كلام ياقوت نفسه فى معجمه ، ونخص به كتابين من اكبر مصادره :

الكتاب الاول هو كتاب الأغاني للأصفهاني ، وقد صرح
ياقوت بروايته إياه وروى لنا طرق هذه الرواية ووثق لنا
كتاب الأغاني وأثنى على مؤلفه أبي الفرج ، وصرح بقراءته
إياه أكثر من مرة ، وأنه قد انتفع به كثيرا في تأليف كتابه
الموسوم بأخبار الشعراء (١) .

أما الكتاب الثاني ، فهو « العقد الفريد » لابن عبد ربه :

- وقد روى ياقوت العقد - بالسند المتصل - أيضا إلى
صاحبه عن أحد علماء المغرب ورواته ، وهو : ابن دحية
الكلبي (٢) .

كما نجد ياقوت كثيرا ما يشير في تضاعيف معجمه وإلى
رواياته لكتب الأدب (٣) .

٢ - أنه قد احتفظ لنا بأسماء بعض ما لم يصلنا من
الكتب ، وأمدنا أحيانا بنقول عنها ، أوقفنا على شيء من
طبيعة هذه المصادر ومنهجها فقد روى ياقوت مثلا أن
أبا طاهر السلفي قد ألف كتابا في أخبار الشعراء (٤) ذكره
أحيانا بهذا العنوان ، وأحيانا بعنوان آخر هو « معجم
الشعراء » .

ونذكر أنه انتفع بهذا الكتاب في تأليف كتابه الذي وضعه
في أخبار الشعراء (٥) .

(١) معجم الأدباء : ٩٨/١٣ .

(٢) معجم الأدباء : ٢١٩/٤ .

(٣) معجم الأدباء : عز الدين بن الأثير ٧٦/٧ والقفطي ٧٢/٦ .

(٤) وأنظر أيضا ٢٤٤/١١ ، ٦٣/١٢ .

(٥) معجم الأدباء : ٢١٨/١٠ .

(٥) نفس المرجع وأنظر أيضا ٢١٨/١ .

٣ - كان يتحرى مصادره ، ويتأكد من توثيقها بما وجده مبوناً على ظهورها من السماعات ، وقد قرر ذلك في مقدمته ، فقال « وأثبت مواضع نقلى وموطن أخذى من كتب علماء المعول في هذا الشأن عليهم ، والمرجع في صحة النقل اليهم » (١) .

فإذا جاء نقله بالمعنى دون اللفظ صرح بذلك ونبه اليه (٢) ، كما يحرص على عقد المقابلة بين ما جاء فيما بين يديه من المصادر ، ومثيله في مصادر أصلية (٣) ، كما يورد نقوله - في بعض الأحيان - موثقة بالأسانيد المذكورة بها في المصادر (٤) ، وينص على الإقرار بما لم يدعمه سماعه من هذه النقول ، فيقول مثلاً : « وجدته في كتاب (كذا) ولم أسمع » (٥) .

شيوخ ياقوت :

بعض هؤلاء الشيوخ من تلاميذ كمال الدين بن الأتباري فهم اذن من الثقات في العلم والرواية ، ومنهم :

المنتجب : سالم بن أحمد بن سالم أبو المرجى الحاجب المتوفى عام ٦١١ هـ . ولقب المنتجب هو لقبه الذي به اشتهر ولكن ياقوت الحموي يذكره باسم (سالم الحاجب) ويذكر انه قرأ عليه العربية والعروض ببغداد (٦) ، وقد وصفه

- (١) معجم الأدباء : ٤٩/١ .
- (٢) معجم الأدباء : ١٤٧/٧ ، ١٢٨/١ .
- (٣) معجم الأدباء : ٢٢٩/١٣ .
- (٤) معجم الأدباء : ٦٧/٢ : ٩٧ .
- (٥) معجم الأدباء : ١٥/٣ .
- (٦) معجم الأدباء : ١٧٨/١١ .

السيوطي بالنحو والعروضى البغدادى كما ذكر ان « له معرفة بالأدب وتفرداً بالعروض » (١) ، كما وصفه بأنه كان حسن الأخلاق محبوباً للناس (٢) ، فقد كان سالم الحاجب شيخ ياقوت - إذن - من العلماء باللغة والنحو ، وقد أضاف القفطى فى معرض ترجمته له ما يفيد كونه شاعراً ، وبأنه نظم أرجوزة فى النحو على الأبواب (٣) ، وبأنه قد امتدح جماعة بقصائد شعره (٤) .

ياقوت والوراقة :

سبق فى حديثنا عن الوراقة أن أشرنا الى ياقوت باعتباره من الوراقين واعتبرناه فى اشارتنا نموذجاً يثبت ان الوراقين لم يكتفوا مجرد نساخ وتجار للكتب والوثائق العلمية ، بل كانوا من أهل العلم والتحقيق ، اكتسبوا ذلك من اشتغالهم بالرواية .

ونحاول هنا فى تلك السطور أن نلقى أضواء على « ياقوت الوراق الراوية » فنكون بذلك قد أصبنا هدفين ، الأول أن نحقق مزيداً من تأكيد لما قد قررناه فى فصل الوراقة ، ثم أن نستكمل درسنا لشخصية ياقوت الراوية العالم .

١ - وأول آثار الوراقة هو هذا العدد الهائل الذى سنج له الرجوع إليه من الكتب فى تأليف معجمه .

٢ - إشارات الدائمة إلى الخطوط ، ووصفه لها وحديثه عنها ، فيما عاينه منها على صفحات الكتب ، حيث

(١) بغية الوعاة ١/ ٥٧٥ ، (٢) نفس

(٣) انباء الرواة / ٢ / ٦٧ .

(٤) نفس المرجع .

يكثر وصفه لهذه الخطوط « بالصحة والضبط » (١) مع اقتران ذلك في أكثر الأحيان بالحسن والجودة

٣ - كثرة حديثه عن كتب رآها ، ووصفه لها ، ولخطوطها ، وروايته لبعضها ، وهو شيء ما كان يحتاج له لولا اشتغاله بالوراقة ، ثم الاتصال بالرواية والتحقيق ، وكثيرا ما يفيدنا بالمقارنة بين النسخ التي وقعت له ومثيلاتها من النسخ المتداولة في أيدي الناس ، كما صنع بالنسبة لبيتيمة الثعالبي حين لاحظ ان بها « زيادات غير معروفة » مخالفة للمتداول المعروف (٢) .

٤ - عنايته بالوراقين من أهل العلم والثقة ، وفاضته في حديثه عنهم ، في معرض تراجمه لهم :

ومن هؤلاء أبو حيان التوحيدى ، الذى ترجم له فى نحو خمسين صفحة (٣) ، والقفطى صاحب ~~أنباء الرواة~~ ، حيث ~~أقبح القفطى~~ وأملى عليه كثيرا (٤) ، بل وكتب اليه ببعض مروياته (٥) ، وياقوت بن عبد الله الرومى الذى وصفه ياقوت بقوله :

« وكان واحد عصره فى جودة الخط واتقانه على طريقة ابن البواب (٦) » .

- (١) معجم الأدباء : ١٠/١ ، ١٦٣/١٢ ، ١٥٣/١٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦/١٨ .
(٢) معجم الأدباء ٢٦٩/٦ .
(٣) معجم الأدباء ٥١/١٤ - ٥١ .
(٤) معجم الأدباء ١٧٦/١٥ - ١٩٩ .
(٥) ٦٢/٦ .
(٦) معجم الأدباء ٣١٢/١٩ .

ملحوظة
ياقوت التقي

وقد ذكر ياقوت اجتماعه به (٦١٢ هـ ، ورؤيته نسخاً من الكتب بخطه يتداولها الناس ، ومن بينها الصّاح للجوهري (١) :

٥ - مقدرة ياقوت على التصحيح لأوهام العلماء ، تشهد بحذقه وبخبرته النادرة بعالم الكتب خطوطاً ومحتوى ، فهو فى استدراكاته على العلماء أوهامهم العلمية يستند إلى معايير منها معياران هامين :

المعيار الأول : خبرته الحاذقة بخطوط أصحابها (٢) .

المعيار الثانى : اطلاعه الواسع على الكتب ، كتصحيحه للبلد الذى ولد فيه المسعودى المؤرخ وهو « إقليم بابل » من خلال عبارة للمسعودى نفسه فى كتابه « مروج الذهب » (٣) .

ياقوت ونقد الرواة :

سببق ان ذكرنا بعض ما يقيم الدليل على أن ياقوت كان يتعرب ، سواء فى نقله ، أو روايته ، وأنه كان يختبر من يلقاها من الرواة اذا كانت أحوالهم مجهولة بالنسبة له ، هذا الى حرصه على توثيق مروياته عن طريق ذكر الاسانيد

٦٥١٧

(١) معجم الأدباء ٣١٢/١٩
(٢) معجم الأدباء ٣١٢/١٩
(٣) انظر تفصيل ذلك فى رد له على القفطى يستند الى معرفته بالخطوط
(٤) انظر ذلك مفصلاً فى رده على وهم ابن التميم صاحب القهرست
(معجم الأدباء ٩٦ ١٣)

والمصادر والخطوط الى آخر ذلك .

ونضيف هنا أن من أبرز الظواهر العلمية عند ياقوت الحموي عنايته بنقد الشيوخ الذين لم يصح قولهم من وجهة نظره ، ومن هؤلاء ابن الجوزي الذي نختصه بحديث ، لأن ياقوت قد اختصه بكثير من انتقاداته ومؤاخذاته العلمية .

فقد اتهمه صراحة بالتخليط ، وهو يصرح في مواضع من كتابه بعدم اطمئنانه الى آرائه ، اذا كانت هذه الآراء قد تفرد ابن الجوزي بها دون العلماء فيقول صراحة « وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي ، فانه عندي كثير التخليط » (١) .

ويبدو ياقوت الحموي محققا عندما تبلغ أو هام ابن الجوزي حدا بالغ التخليط ، من ذلك زعمه في أماليه ، أن السكري قد لقي الاصمعي وأبا عبيده وأبا زيد الانصاري ، والحقيقة - كما ذكرها ياقوت - أن السكري لم يلق هؤلاء الرواة ، لأنه لم يكن في زمانهم ، بل انه قد روى عن روى عنهم ، ثم أن السكري ولد سنة ٢١٢ هـ ، وأبا عبيدة توفي سنة ٢١٥ هـ واصمعي مات سنة ٢١٣ أو سنة ٢١٥ هـ (٢) .

(١) معجم الأدباء : ١٢/٧ ، وابن الجوزي : هو أبو الفرج عبيد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي ، الملقب جمال الدين . كان امام وقتة في الحديث والوعظ وتوفي سنة ٥٢٧ هـ (شذرات الذهب ١٩٨/٤ سنة ٥٢٧) .
(٢) معجم الأدباء ١٤/٢ ، وأنظر أيضا المعجم في : ١٢/٧ حيث يصحح لابن الجوزي وهما آخر بشأن قدامة بن جعفر .

ولقد كان هذا موقف ياقوت من غير معاصريه من الرواة ،
يتحرى في الرواية والنقل عنهم ، فإذا بدت له بادرة من خطأ
نبه إليها ، وذكر وجه الصواب فيها . وقد سبق ما أوردناه
بشأن تصويباته أوهاما لابن النديم (١) ، ونضيف هنا تصويبه
وهما آخر وقع من ابن قتيبة الذي خلط بين دكين الراجل ،
ودكين بن جاء (٢) .

ولثل هذه الاستدراكات على ابن قتيبة بالذات دلالة هامة ،
وهي أن من علماء القرن السابع الهجري من بلغ في الرواية
مبلغا جعله أقدر على تصحيح أوهاام الأئمة من علماء القرن
الأول وذوى الثقة منهم .

(١) في تصويبه غلطا لابن النديم ، حيث زعم أن المسعودي ولد في
المغرب ، والحقيقة أنه - كما نبه إلى ذلك ياقوت - ولد في إقليم بابل .
(٢) معجم الأدباء : ١١٧/١١ .

القَفْطَى

ثانيا : أصحاب سير النحاة

القَفْطَى : جمال الدين المَكِّي (ت ٦٦٤ هـ)

ترجمته :

وهو الوزير أبو الحسن علي بن يوسف ابن ابراهيم الملقب
« جمال الدين » أحد أعلام العصر الأيوبي ، وعلماء المؤرخين
الثقات وكان وزيرا للأيوبيين بحلب .

أما قفط - التي نسب اليها - فهي مسقط رأسه وفيها
تفقه وتعلم على علمائها ، الذين حفلت بهم قفط ومثيلاتها
من بلدان صعيد مصر الأقصى ، مثل قوص وسوهاج
أو سهواج وأسوان .

ثم رحل القفطى الى بيت المقدس ، فأقام بها ، ثم توجه
الى حلب .

ويبدو من وصف المؤرخين له ، أنه كان موسوعة مختلف
الفنون والعلوم ، فهو (القاضى الأكرم أحد الكتاب المبرزين فى
النثر والنظم ، كان عارفا باللغة والنحو والفقه والحديث ،
وعلم القرآن والأصول ، والمنطق والحكمة والنجوم
والهندسة والتاريخ) (١) .

وقد ذكره ياقوت الحموى ، كما سلفت اشارات منا لذلك

(١) شذرات الذهب ٢٣٦/٥ سنة ٦٤٦ هـ ، وانظر ايضا ، بغية الوعاة
٢١٢/٢ .
وانظر ايضا : الارغوى = الطالع السعيد (ط الجمالية سنة ٩١٣)
ص ٤٢ وما بعدها .

ولقيه وأملى عليه القفطى، وشاهد له كتباً بخطه، وتوثقت بينهما أسباب الاتصال بحكم التشارك والتشابه فى حرفه الوراقة، والرغبة فى العلم والرواية .

وإذا كان ياقوت قد نبه الى بعض أوهامه (١) ، فقد أثنى عليه ثناء يوثقه ، فقال عنه : « اذا تكلم فى فن من الفنون كالنحو واللغة والقراءات والفقه والحديث والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل قام به أحسن قيام » (١) .

ولقد اجتمعت للقفطى من العوامل ، ما كون له شخصيته العلمية ، وأفسح له فى طريق المعرفة والرواية ، ومنها رحلاته للعلم والاتجار فى الكتب، ما بين قفط والقدس وحلب . وكانت جميعها آتت زخرة بالعلم ، حافلة بالعلماء .

ويضاف الى ذلك تقريب الأيوبيين له ، حتى وزلهم فى حلب ، هذا الى انقطاعه للعلم وتفرغه له منصرفاً عن أهم متطلبات الحياة ، إذ أنه « لم يكن له دار ولا زوجة هذا الى مجموعة من خصال الخلق وفضائل النفس تحلى بها جمال الدين القفطى فذللت له كل صعب (٤) .

ولقد كان القفطى شغوفاً بالكتب ، أنفق فى سبيل جمعها ، واستنساخها الآلاف ، وبخاصة بعد ما تولى الوزارة لبنى أيوب فى حلب ، حتى أن داره بها قد صارت قبلة الوراقين ،

(١) أنظر معجم الأدباء ٦٥/٦ وقد نضى ذكر ذلك .

(٢) معجم الأدباء ١٧٥/١٥ : ٢٠٤ .

(٣) شذرات الذهب : ٢٣٦/٥ .

(٤) وصفه ياقوت بأنه كان سمح الكف طلق الوجه جم الفضل عظيم القدر وأنظر معجم الأدباء ١٧٦/١٥ ، ١٧٧ .

ومقصد النساخين، يجلبون له الكتب والأسفار وهو يضلّعف لهم الثمن، ويجزل العطاء (١)، ولذا قال ابن شاكر الكتبي عنه « جمع من الكتب ما لا يوصف، وقصد بها من الإفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ٠٠٠ وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب، وكانت تساوى خمسين ألف دينار » (٢) .
أما دافع القفطى الى تأليف كتابه، فهو دافع عارض، وليد موقف خاص وليس وليد الطموح العلمى، والرغبة العلمية المتحمسة، شأن ياقوت الحموى .

فقد دفع القفطى الى تأليف كتابه أن (بعض منتحلي صناعة التصنيف قد أجرى ذكر أخبار النحاة، رغب فى جمعها، وكان عادم المواد . فسأل اعارته بعض ما أنعم الله به من أوعية العلوم) (٣)، وقد سارع القفطى الى بذل العون العلمى لطالبه، فأمدّه بما طلب من الكتب، وأمدّه بالسورق ليدون فيه، ولكنه لم يكتب ولم يؤلف، بل باع ما أعطاه القفطى من الورق، فكان ذلك حافزا للقفطى على تأليف كتابه (٤) .

وكما ترجم ياقوت للأدباء من كل اقليم، ومن كل مذهب دون تفرقة (٥)، فكذلك كان صنيع القفطى، فانه فى كتابه ترجم لمشايخ « فى النحو واللغة ممن تصدر لأفادتها تصنيفا وتدريسا ورواية فى أرض الحجاز واليمن والبحرين وعمان

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم : مقبضته لانباء الرواة ٢/١ .

(٢) ابن شاكر الكتبي : نوات الوقفيات ١٢١/٢ .

(٣) عان المواد (أى : فقير)

(٤) انباء الرواة : (مقدمة المؤلف) .

(٥) المرجع السابق .

(٥) انظر مقدمة ياقوت لمعجم الأدباء ٤٩/١ .

واليمامة والعراق وأرض فارس والجبل وخرسان وغزنة
وما وراء النهر وأذربيجان ٠٠ وأرمينية الموصل
وديار مصر والجزيرة والعواصم والشام ومصر
وأفريقية ووسط المغرب وأقصاء وجزيرة الأندلس وجريده
صقلية ٠ (٥) .

ولقد كان هذا موقف ياقوت من غير معاصريه من الرواة،
يتحرى في الرواية والنقل عنهم ، فإذا بدت له بادرة من خطأ
تنبه إليها ، وذكر وجه الصواب فيها ٠ وقد سبق ما أوردناه

وبينما وافانا ياقوت في مقدمته بمنهجه وبتفاصيل
مفيدة حول مصادره ، وتقاليده في الرواية ، فقد أثر القفطي أن
يدع للباحث نفسه ، أن يستخلص ذلك كله من خلال التقصي
لصفحات الكتاب ، وتتبع مواده ، وهو ما تحاول تلك
السطور أن تفي به ٠

مصادر القفطي :

١ - الكتب :

وأهمها كتب التراجم مثل : تاريخ بغداد للخطيب
البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ مصر لابن
يونس ، وتاريخ همذان لشيرويه ، وتاريخ نيسابور لابن
البيع ، والمقتبس في تاريخ الأندلس لابن حيان ، والصلة لابن
درستويه ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، وغير
ذلك ٠

كما اعتمد على كتب في أخبار الشعراء كطبقات ابن سلام ، والانموذج لابن رشيق وبيته الدهر وتتممة اليتيمة للشعالبي والخريدة للاصفهاني .

والملاحظ على هذه المصادر ما يلي :

١ - أنها تتميز بالتنوع ، فمنها كتب مشرقية ، ومنها مغربية ، ومنها أندلسية كما أن كتب المشرق تتنوع بين العراق وفارس والشام بالإضافة الى كثرتها للمؤلف مادة علمية غزيرة ، لكن مصادره - مع هذا - لم تبلغ للمؤلف مادة علمية غزيرة ، لكن مصادره مع هذا لم تبلغ اتساع وكثرة مصادر ياقوت ، كما لم تبلغ مادته في كتابه شأن مادة ياقوت غزارة وثناء .

ب - بعض هذه الكتب قد رآها القفطي ، فنقله منها وأخذ منها هو رواية لاشك فيها . ولأدل على هذا من أسانيده التي ترد فيها بلفظ الرواية ، فهو يروي عن خريدة القصر بلفظ « أنبأنا محمد بن محمد بن حامد ، وهو العماد صاحب الخريدة » (١) ، ومعنى ذلك أن مروياته ترد بأسناد الى مؤلف الكتب ومصنفها ، فهي رواية اذن .

وما يقال عن الخريدة يقال عن مراجع أخرى ، من بينها تاريخ دمشق لابن عساكر ، فأسانيده فيها الى ابن عساكر إلا أنه هنا قد صرح بطريق الرواية ، وهو المكاتب ، فإن تلميذا لابن عساكر قد كتب إليه بمحتوى الكتاب وأسانيده ومن هنا ترد أسانيد القفطي بلفظ « كتب إلي محمد بن هبة

(١) انبأنا الرواة : ٢٢٣/١ ، ٢٥٩ ، ٢٢٩ ، ٢٥٩ ، ١٢/٢ ، ٥١ ، ١٠٢ ، ٢٠٩/٣ ، ٢١٤ ، ٢٧١ ، ٢٥٧ ، (ط دار الكتب المصرية) .

الله الدمشقي (١) .

ونفس الأمر بالنسبة لتاريخ بغداد والمطرب في أشعار
أهل المغرب لابن دحية الكلبي ، ورواية له عن العماد
الأصفهاني صاحب كتاب الخريدة (٢) .

٢ - الرواية :

- * تكاد نقول القفطي عن المصادر ، التي تقدم ذكرها أن تكون
رواية ، لولا أننا أردنا أن نفرق بين ما تتضح فيه الرواية
الخالصة ، وما تمتزج فيه الرواية بالنقل من الكتب . ولهذا
فالمحاولة في حديثنا عن الرواية تتجه الى الرواية الخالصة
التي تعتمد على قول النقلة القفطي من أفواه الرواة مباشرة .
- ومن شيوخه الذين قرأ عليهم وسمع منهم شيخه
« أبو البقاء صالح بن عادي العذري الأنماطي ،
ويروى عنه القفطي بلفظ « سمعت من لفظ الشيخ
... نزيل قفط » وقد كان أبو البقاء من النحاة نزيل قفط ،
ونزل خمسين عاما عند أحد قضاتها وعلمائها الذين « ضمن
له كفاية ، وكان للشيخ مجلس علم يقصده بجامعة قفط وتوفي
في سنة ٥٩٣ هـ ، ودفن بقفط .

(١) كان أمام أهل الحديث في زمانه وتوفي سنة ٥٧١ هـ (وفيات
الاعيان ١/٣٣٥) .

وانظر في نقل القفطي عنه ١٧/٢ .

(٢) انباء الرواة ٢/٢٤٥ .

(٣) انباء الرواة ٢/١٦١ ، ٨٣ ، ٨٤ - انظر في ترجمة أبي البقاء
البحوي الأديوي : الطالغ السعيد (ط الجمالية سنة ١٩١٣ ، ص ١٩)

وبعضهم ممن لفهمهم ، وليس فيهم الثقة في الأخبار فسألهم وأجابوه ومن ذلك عند روايته بعض أخبار وآثار الأسعد بن ممتاى الكاتب المصرى (ت ٦٠٦ هـ) فقد روى عن رجل كان يعرف بالرشيد الصائغ ، خبرا يتعلق بإتقان (ممتاى) - جد الأسعد - لصناعة الفصوص من الأحجار الكريمة (١) ، كما روى عن شيوخ ممن لقيهم فى جامع قفط (٢) .

القطفى والشعر :

روى جمال الدين القفطى فى كتابه أشعارا أنبتها فى أكثر التراجم التى أوردها . غير أن هذه الأشعار التى رواها كانت محدودة بالهدف الذى بنى الكتاب عليه ، وهو أخبار النحاة واللغويين : ويبدو ذلك فى أن الكثير من الأشعار التى ضمنها كتابه من أشعار العلماء : لغويين أو نحاة ، فيها سمة الجفاف ، وليس فيها التجربة الفنية التى يتسم بها الشعر عادة (٣) .

كما أن القفطى لا يلتفت الى هذه الآثار التفات الراوية المحقق ، فيعنى - مثلا - بتحقيق النسبة ، أو مناقشة المنحول من الآثار ، أو الخلاف اللفظى فى الرواية ، فإن شيئا من ذلك لا نلاحظه فى انبأه الرواة للقفطى كما لاحظناه مثلا فى معجم الأدباء لياقوت ، أو كما سوف نلاحظه لدى عالم مؤرخ مثل ابن خلكان فى وفياته .

ومن هنا يفقد « انبأه الرواة » الكثير من قيمته العلمية

(١) انبأه الرواة : ٢٣١/٢

(٢) انبأه الرواة : ١٣٥/١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ .

(٣) انبأه الرواة : ٥٦/٢ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ٢٢٧ .

باعتباره مصدرا للأثار الشعرية .

الا أن بعض ما يورده من الأثار الشعرية ، تفيدنا من بعض الوجوه التاريخية في كونها تنهض دليلا على الصلة التي كانت بين ابن جنى والمتنبى ، بما يلقي مزاعم رددتها بعض الروايات بشأن : انصراف ابن جنى عن رواية اثار المتنبى تكبرا وأنفة .

القفطى وتحامله على العلماء :

بدت من القفطى بعض مواقف التحامل والتجريح الذى يفتقر الى الدليل والموضوعية وذلك ازاء عالمين ممن عرض لهم بالترجمة :

الاول يقال له « المطجّن » أحد علماء النحو واللغة العراقيين ، وكان مقيما بمصر (١) .

والثانى عالم يقال له : خَزَعْل بن عسكر المصرى من علماء مصر ، وكان قد رحل الى العراق وأخذ بها عن الكمال بن الأنبارى ثم عاد إلى مصر ، وقد اجتمع به القفطى فى جامع قفط (٢) .

وكلام القفطى فى حق هذين العالمين يشى بالتحامل ، ويكشف شيئا من دفين المناقسة .

(١) ذكر القفطى مولده وهو سنة ٥٥٧ هـ ولم يذكر وفاته لأنه كان على قيد الحياة والصحيح أن ولادته كانت سنة ٥٧٧ هـ كما ذكر ابن مکتوم ومات سنة ٦٢٩ هـ .

(٢) ذكر القفطى انه مات فى حدود سنة ٦٢٠ هـ .

فعن المطجن يقول : « كان يدعى معرفة النحو واللغة والعربية وعلم الكلام ٠٠٠ » (١)

ويقول : « مشى طلبة المصريين إليه واختبروه فقصر في كل ما ادعاه فتجنبوه ، وأقام بها مدة لا يبعأ به ٠٠٠ وادعى الرواية ، شقرا عليه بعض المبتدئين » (٢) .

بل يضيف القفطى صفات أخرى الى ذلك العالم لا ترتبط بعلم ولا تليق بعالم ، إذ يصف لنا في سطور طويلة مظهره وملامحه وصفا منفرا (٣) .

فإذا ما تتبعنا حال « المطجن » في بعض مصادر أخرى رأينا ثناء العلماء عليه وتوثيقهم له ، ويأتي كلام بعضهم مصحوبا بلوم للقفطى في تعامله عليه ، إذ يذكر ابن مكتوم في تلخيصه أن المطجن (دخل ديار مصر ، ولقى هناك قبولا كثيرا وقرأ الناس عليه الأدب والطب) . وينقل ما قاله ابن النجار في تاريخ بغداد بأن المطجن كان صدوقا ، وبأن ابن النجار قد روى عنه مرارا أكثر مسموعاته (٤) .

ثم يعرض ابن مكتوم للقفطى وحكمه على العلماء بقوله « وظهر به محامل القفطى عليه بما ذكره ، وهذه عادته هي هضم العصريين ، وحط مراتبهم ، وإيهامه أنه عارف بمنازل العلماء وتمييز طبقاتهم ، ولم يكن هناك ولا قريبا منه » (٥) .

(١) انباه الرواه ١٩٤/٢ .

(٢) انباه الرواه ١٩٦/٢ .

(٣) انباه الرواه ١٩٤/٢ .

(٤) تلخيص ابن مكتوم ١١٦ : ١١٧ .

(٥) نفسه .

وأبن العماد في شذراته يثنى أيضا على الملحن ويقول
(ولقد بالغ القفطي في الحط عليه وظلمه وبخسه حقه) وأما
الصدقي فيذكر له من التصانيف قريبا من خمسة وثمانين
كتابا في اللغة والنحو والبلاغة والطب وعلم الكلام وغير
ذلك (١) .

وليس موقفه ازاء العالم المصري (٢) بأقل من موقفه تجاه
عالم العراق وما كان انصاف العلماء لعالم مصر بأقل من
انصافهم له (٣) .

(١) شذرات الذهب : ١٢٢/٥

(٢) انباه الرواة : ٣٥٢/١

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٤٩ وفيات سنة ٦٢٢ هـ .

الأعيان

ثالثاً : أصحاب التراجم العامة :

ابن خلكان وكتابه وفيات الأعيان - (ت ٦٨١ هـ)

نرجمته :

هو قاضى القضاة ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ابن خلكان الأربلي (١) العراقي ، وكان من بيت عرف بالعراقة وسمي المنزلة ، ولد سنة ١٠٠٨ هـ ، ثم رحل في طلب العلم على عادة العلماء في الرواية ، فخرج من بلده (أربل) وتوجه إلى حلب فأقام هناك عامين ، ثم غادرها إلى بلدان أخرى ، حتى استقر به المقام في دمشق سنة ٦٢٢ هـ ، فتولى القضاء بها ، وتقلد مناصب مختلفة في مدارسها ، ثم رحل إلى مصر ، حيث عاد بعدها مرة أخرى إلى بلاد الشام ليتولى التدريس بها .

وقد لقي ابن خلكان شيوخ الرواية ، وتلقن الفقه والأدب رواية ، وكان ممن لقيهم ابن شداد ، الذي أثنى الذهبي عليه ، وقال عنه « كان إماماً قاضياً متقناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى جيد القريحة بصيراً بالعربية علامة في الأدب ، والشعر وأيام العرب كثير الاطلاع حلو الذاكرة » (٢) .

وفيات الأعيان ورواية الشعر :

تقرر مطمئنين أن ابن خلكان إمام في رواية الأدب خلال القرن السابع الهجري وكتابه (وفيات الأعيان) يعد من أهم

(١) بلد العراق .

(٢) بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد - وانظر ٣٧١/٥

المصادر الأدبية ، فى إطار الرواية •

نقول بهذه الدعوى ونقررها ، ولنا من البراهين والشواهد ما ينهض بها ويدعمها • ونوجز ذلك فيما يلى :

١ - ما يقرره ابن خلكان نفسه فى مقدمته لكتابه ، حيث يقول : « هذا مختصر فى علم التاريخ دعانى ، الى جمعه أنى كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ، ومن جمع منهم كل عصر ، فوقع لى منه شئ » ، حملنى على الاستزادة وكثرة التتبع « (١) ثم يحدثنا المؤلف عن مصادره فيقول :

« فعمدت الى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن ، وأخذت من اقواه الأئمة المتقنين له ما لم أجده فى كتاب « (١) •

ويعود ، فيؤكد الرواية فى كتابه بقوله : « ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم ، أو كانوا فى زمنى ، ولم أرهم ، ليطلع على حالهم من يأتى بعدى « (٢) •

٢ - ما يبدو من حرص المؤلف على تجنب أسباب التصحيف والتحريف ، بضبطه الكلمات التى يمكن أن تنزلق الى أوهام التحريف • وفى ذلك يقول ابن خلكان « وقيدت من اللفاظ ما لا يومر » « صحيفه » (٤) •

٣ - تحريه للرواة ، ونكره لأحوالهم ، والاستيثاق من أمانتهم فى الرواية : « ولم أتساهل فى نقله ممن لا يوثق به ، بل تحريت فيه حسبما وصلت القدرة اليه » (٥) •

(١) وفيات الأعيان (بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) ٣/١

(٢) نفسه •
(٣) نفسه •
(٤) نفسه •
(٥) نفسه •

٤ - ما سوف نلاحظه في متن الكتاب من حرص ابن خلكان على تقاليد الرواية ، في تثبته ومناقشته للأسانيد ، وعرضه لأوجه الخلاف في النص سواء من ناحية النسبة ، أو من جهة اللفظ ، ومناقشته لهذه المسائل الخلافية .

٥ - أن وفيات الأعيان مصدر مام من مصادر الآثار الشعرية بما فيه من هذه الآثار سواء ما وقع منه لمؤلفه بطريق السماع ، وبخاصة فيما يتعلق بآثار معاصريه من الشعراء أو بطريق النقل والوجدادة .

٦ - تمكن ابن خلكان من « الانساب » وتحريه في ذكرها ، واهتمامه بإيرادها ، وإن طال بذلك ذكرها ، والانساب وإن كانت تمت بصلة الى التاريخ ، إلا أنها لم تفقد بالآدب وشائجها وأسباب قرابتها ، بدليل ما نجده في كتب الانساب وهي ريانة بالشعر والآدب ، ثم في اهتمام كتب الآدب بذكر الانساب ، واعتمادها على النسب في التمييز بين الشعراء المتشابهة أسماءهم ، أو كذاهم أو القابهم (١) .

هذا وقيما نورد من حديث مفصل عن كتاب ابن خلكان دليل تضييفه الى ما سبق على كونه من كتب الرواية ، وأن مؤلفه من أئمة الرواة .

(١) تجسد ذلك في المبدأ الذي قام عليه كتاب المؤلف والمختلف ، للأمدى مثلاً وفي الفصل الذي عقده أبو أحمد العسكري عن المؤلف والمختلف . وانظر « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » فصل المؤلف والمختلف . وانظر العلاقة بين الآدب والانساب كتاب : مصادر الشعر الجاهلي والمختلف ١٢٨ ، ٢٠٨ ومواضع أخرى .

مصادر ابن خلكان :

١ - الكتب :

وتتنوع بين كتب التاريخ ، ولابد أنها حوت أثارا أدبية ،
على عادة المؤرخين القدماء ، وحوت أيضا قدرا كبيرا من
ذكر الأدباء والشعراء والحياة الأدبية بعامة .

ثم كتب فى أخبار الشعراء وطبقاتهم ، أو فى التاريخ
الأدبى حيث تسجل لنا ملامح الحياة الأدبية لعصر معين ،
وتروى لشعرائه وأدبائه ، كما أن من مراجعه أيضا دواوين
الشعراء ، الذين روى لهم آثارهم ، وراجع دواوينهم ، ناقلا
أو ناقدا ، ثم هناك كتب فى التراجم واللغة والفقه والانساب
والجغرافية ، وعلوم وفنون أخرى متنوعة .

١ - فمن كتب التاريخ : تاريخ اليمن لعمارة اليمنى ،
وتاريخ أصبهان لابن منده ، وزبدة التواريخ لابن القفطى ،
وأخبار البصرة لعمر بن شبة .

ب - ومن كتب الطبقات والتراجم : الأعيان والأمثال لآبى
الحسن هلال بن المحسن ، وطبقات الحكماء لابن صاعد
الأندلسى .

ج - ومن كتب أخبار الشعراء : طبقات ابن المعتز ،
وطبقات ابن سلام وابن قتيبة ، والبارع فى أخبار الشعراء
المولدين لآبى عبد الله بن المنجم .

د - ومن كتب التاريخ الأدبى والاختيارات: خريدة القصر

للعماد الأصبهاني ، والمطرب في أشعار أهل المغرب ، لابن
دحية الكلبي ومطعم الأندلس للفتح بن خاقان ، والامثال
لحمزة الأصفهاني (١) وحماسة أبي تمام ، وغير ذلك .

هـ - أما دواوين الشعراء : فإن منها ديوان أبي نواس ،
وديوان علي بن عبد الواحد الأندلسي ، ودواوين أخرى
تزخر بها وسطور الوفيات وإشارات صاحبها كما سوف
نوضح .

ولقد بدا واضحا حرص ابن خلكان على توثيق مادته
العلمية بذكر مصادرها ، وإثراء مادته أيضا عن طريق
جمع الكثير الزاخر من الكتب المنوعة الثقافات ،
المختلفة الأهداف والمناهج .

فنراه مثلا في ترجمته لابن هانيء الأندلسي يقول :
« وما زلت أتطلب تاريخ وفاة ابن هانيء في المذكور من
التواريخ والمظان التي يطلب منها ، فلا أجده ، وسألت عنه
خلقا كثيرا من مشايخ هذا الشأن ، فلم أجده حتى ظفرت
به في كتاب لطيف لأبي علي الحسين بن رشيق القيرواني
« قراضة الذهب » . . . ونقلت مدة عمره من موضع آخر
رأيت بعض الأفاضل ، قد اعتنى بأحواله فجمعها وكتبها في أول
ديوانه ، وذكر مدة العمر ، ولم يذكر تاريخ الوفاة ، لأنه

(١) وهو « الدرة الفاخرة في الامثال السائرة » وقد ضم الامثال على
وزن افعل

ما عثر عليه « (١) .

بل ان مما يستلفت انتباه الباحث ، ويؤكد - في الوقت ذاته - دأب ابن خلكان وقوة ذاكرته ، وحرصه على استكمال الحقيقة وتوثيقها من مصادرها ، ان نجده في ترجمته لأحد العلماء (٢) يترك بياضا في موضع ذكر وفاته ، لان المظان التي رجع إليها لم تمده بشيء ، ومن بينها الفهرست لابن النديم ، ويترك ابن خلكان هذا البياض خلوا من تاريخ الوفاة اكثر من عشرين عاما متتالية ، الى ان أتبع له مصدر أسعفه بما أراد ، فسارع الى اثبات التاريخ ، وقد قرر هو نفسه ذلك بإشارة وجيزة ، فقال : (وكان بين شروعي في هذا التاريخ ، وظفري بالوفاة أكثر من عشرين سنة ٠٠) (٣)

ولقد كان ابن خلكان - شأن أهل التحقيق - دؤبا على بحثه عن المصادر وتنقيحها عنها في أماكن وجودها ومن بينها (دواوين الأشعار) ، والدليل قائم فيما زخر به كتابه من اشارات ، كقوله بعد ترجمته للشاعر :

« وله ديوان شعر ٠٠ لم أقف عليه » (٤) .

بل انه لا تكاد تخلو ترجمة لشاعر - في كتابه - من مثل هذه الاشارات بشأن رؤيته لديوان ، أو نقله عنه ، أو وصفه

(١) وفيات الاعيان ٥١/٣ ، ٥٣ البيوزجاني من أدباء وفقهاء القرن الرابع الهجري .
(٢) هو أبو الوفا محمد بن يحيى . ولد سنة ٣٢٨ هـ وتوفي سنة ٣٧٦ هـ وانظر في ترجمته وفيات ٢٥٣/٤ .
(٣) وفيات الاعيان : ٢٥٣/٤ .
(٤) وفيات الاعيان : ٨٦/٤ (ابن الكيراني الشاعر المتوفى سنة ٥٦٢ هـ) .

له ، أو ابداء رأى فيه (١) ، أو مراجعته لديوان لتحقيق مروياته (٢) ، مع الاهتمام بذكر جامع الديوان أحيانا (٣) .

التعليق والمسودات :

وهي - كما أسلفنا في أكثر من موضع - بمثابة المذكرات الخاصة ، أو « الكشكول » الذي جمع فيه أشتات من المعارف والآثار من الأقراء أو المدونات . وقد تكون خاصة بالعالم أو خاصة بعالم آخر ، ثم وقعت له على سبيل التملك ، أو الاستعارة .

وترد الاشارات الكثيرة الى هذه المسودات دليلا على عنايته بالرجوع اليها ، واعتماده اياها مصادر للنقل والتوثيق .

فكثيرا ما نطالع من اشاراته :

(ورأيت في بعض المجاميع) (٤)

(وجدت بخطي في مسوداتي) (٥)

(١) انظر على سبيل المثال ١٢٢/١ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ٤٢/٣ ، ٦٨ - ١٢٧ ومواضيع اخرى .
(٢) انظر : ١٢٧/٣ (عمر بن الفارض الشاعر المصري الصوفي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ) وانظر مواضع اخرى مثل ٨٧/٤ ، ٩٠/٤ .
(٣) كاشارته الى ديوان أبي نواس الذي جمعه حمزة الأصفهاني وفيات ١٨٣/٤ .
(٤) وفيات الأعيان ٤٢٨/١ ، ٢٢٩/١ .
(٥) وفيات الأعيان ٧٦/٣ .

(١) هكذا وجدته فى مسوداتى (١)

فمن ذلك ما رأيته ٠٠ فى بغض المجاميع (٢)

(وهكذا وجدت بخط أصحابنا المتأدبين) (٣)

ويبدو ان ابن خلكان كان حريصا فى نقولنا فى مسوداته
وتعاليفه ومجاميعه على ذكر مواضع نقله ، ومصادر
أخذه ، وأن ذاكرته أحيانا كانت تخونه ، فيسهو عن ذكر
مصادره فى مسوداته ، وتأتى بعض عباراته فى كتابه
ناطقة بذلك ، كان يقول :

نقلته

« هكذا وجدته بخطى فى مسوداتى ، وما أدرى من
أين قلت » (٤) .

(٣) الرواية الشفوية :

من خلال مقدمة ابن خلكان ، وقد سبقنا بعض عباراته
عرفنا أن ابن خلكان ، قد اعتمد الرواية الشفوية مصدرا
أساسيا فى كتابه ، وتأتى الآثار الأدبية لمعاصريه أكثرها
بطريق الرواية أما عن الشعراء مباشرة ، وأما عن أقاربهم
ورواتهم فقد لقى ابن خلكان البهاء زهير : الشاعر المصرى
(ت ٦٦٣ هـ) ، فروى عنه شعره (٥) ، ولقى - عدا البهاء
زهير - طائفة أخرى من شعراء مصر ، منهم أحمد بن عبد الغنى

(١) وفيات الأعيان ١٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٢

(٢) وفيات الأعيان ٤٠٣/١

(٣) وفيات الأعيان ٢٥٢/٦

(٤) وفيات الأعيان ٤٢٥/٤

(٥) وفيات الأعيان ٤٠٣/١

المعروف بالنقيس القطرسى ، وكا القطرسى (١) هذا من أصحاب البهاء زهير ، وقد روى ابن خلكان عن البهاء طائفة من اخبار وأثار الشاعر القطرسى (٢) .

وبطريق الرواية الشفوية أيضا واقانا ابن خلكان فى وفياته بأخبار وأثار طائفة من شعراء مصر لقيهم أو لقي من رواه عنهم ، منهم :

(١) احمد بن على الغسانى الاسوانى القاضى (ت ٥٦١ هـ) ، وثأتى رواية ابن خلكان لأثاره عن مرفى بن أسامة بن منقذ ، ولد أسامة بن منقذ (٣) أحد أدباء ورواة العصر الأيوبي (٤) .

ب - ابن الخيمى : الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد بن على الحللى تزيل مصر . وقد كان ابن الخيمى من أصحاب ابن خلكان فروى عنه أخباره وأثاره (٥) .

والى جانب شعراء مصر روى ابن خلكان طائفة من اخبار

(١) ترجم له ابن خلكان ، وذكر انه من أهل مصر وأن له (ديوان شعر أجاد فيه وتوفى القطرسى سنة ٦٦٣ هـ وانظر ترجمته ومروياته فى (وفيات ١٤٩/١ ، ١٥٠) .

(٢) انظر وفيات الاعيان ١٥٠/١ .
(٣) ولاحظ ان ياقوت الحموى أيضا قد لقي مرفى بن أسامة ، وتاجم له وعرف به ، وروى عنه بعض طائفة من أثاره وأثار والده وأبناء عائلته من آل منقذ . وانظر معجم الأدباء ٢٤٣/٥ ، كما روى طائفة من آثار الاسوانى أيضا وانظر معجم الأدباء ٥٢/٤ : ٦٢ .

(٤) انظر فهرست ترجمته معجم الأدباء ١٨٨/٤ وقال عنه « وفى بنى منقذ جماعة أمراء شعراء لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم » وذكر ياقوت ان وفاته كانت بعد سنة ٥٨٠ هـ وحده مصطفى حجازى ناشر كتاب أسامة : النبال والديار معام ٥٨٤ هـ وانظر الكتاب المتقدم ومقدمه ناشره ، وفيات الاعيان ٧/١ .

(٥) وفيات الاعيان ٢٦٧/١

وأثار شعراء مختلفي الأصقاع والأقاليم الإسلامية منهم :

(١) صلاح الدين أحمد بن عبد الرحمن السيد الأربلي، وأصله - كما يتضح من نسب عراقي ، ومن « أربل » بلد ابن خلكان . وكانت وفاته في عام ٦٢٧ هـ . وتأتي رواية ابن خلكان لأثاره وأخباره عن (ابن عدلان ت ٦٦٦ هـ) النحوي أحد نحاة مصر ورواة آثارها الأدبية في القرن السابع (١) .

(ب) الحاجري الشاعر العراقي ، وبلدى ابن خلكان والمتوفى عام ٦٣٢ هـ ، وتأتي رواية ابن خلكان عنه مباشرة بحكم صداقته له ، إذ يذكر ابن خلكان عند ترجمته له قوله عنه (وكان صاحبى وأنشدنى كثيرا من شعره) ، وروى له جملة من أشعاره وسائر آثاره في كتابه (١) ، سواء في ترجمته ، أو في مواضع أخرى (٢) .

(ج) شاعر حلب : السواء المعروف بشهاب الدين أبي الحاسن يوسف بن اسماعيل ، أحد شعراء الشام المعروفين في زمانه (٣) .

هذا إلى شعراء آخرين ، زخر بهم كتابه آثارا وأخبارا نقلها جميعا بطريق الرواية مثل عمر بن الفارض الشاعر المصري الصوفي (ت ٦٣٢ هـ) (٤) ، وتقية بنت غيث بن على

(١) انظر في ترجمته - بغية الوعاة ٧٩/٢ وانظر في ترجمة الشاعر (وفیات ١٦٨/١)

(٢) وفیات الأعيان ١٦٩/١ .

(٣) وفیات الأعيان ٥٠/٦ .

(٤) وانظر في ترجمته : وفیات الأعيان ٢٣٠/٦ .

(٥) وفیات الأعيان ٢٣٢/٦ .

(ت ٥٧٩ هـ) (١) ، والشاعر المصري المعروف بالعراقي
«ت ٥٩٦ هـ» (٢) والبهاء البخاري (ت ٦٢٢ هـ) « (٣)
ومجد الملك بن شمس الخلافة (ت ٦٢٢ هـ) (٤) وغيرهم كثير،
تسجل كثرتهم ارتواء ابن خلكان بالرواية ، وتضع كتابه في
موضع المصادر الشعرية الموثقة لأثار القرن السابع الهجري
وأواخر السادس .

ولقد كان لصلته الوثيقة ، وصدافته المتينة ببعض شعراء
ورواة عصره ، وتنقله ما بين العراق والشام ومصر ، كان
لذلك أثر كبير في هذه العناية الواضحة بالرواية الشعرية
عنده ، هذا الى أغرامه بالشعر وسعيه الدائب وراء الموثوق
بهم من نقلته ورواته : ٤

(١) () اجتمعت بخلق كثير من أصحابه الناقلين
عنه (٥) .

(ب) لهذا نراه يقول مثلاً عن ابن صابر أحد شعراء القرن
السابع (وكانت أخباره في حياته متواصلة إلينا ، وأشعاره
تنقلها الرواة عنه) (٦) .

رَبِّهِ وعن الشَّوَّاء السابق ذكره يقول :

«وكان بيني وبين الشهاب الشَّوَّاء مودة أكيدة ، ومؤانسة
كثيرة وسـ اجتماعات في مجالس الأدب نتذكر فيها الأدب ،

(٢) وفيات الأعيان ٢٦٦/١ ، ٢٦٧ .

(١) وفيات الأعيان ١٢/١ : ١٧ .

(٣) وفيات الأعيان ١٩٣/١ .

(٤) وفيات الأعيان ٢١٣/١ .

(٥) وفيات الأعيان ٣٦/١ .

(٦) وفيات الأعيان ٣٦/١ .

وأنشدني كثيرا من شعره ، ومازانا صاحبى منذ أواخر سنة ٦٢٢ هـ الى وفاته (١)

--- من مخرجه بأهله رواة عصره ابن خبير شى عنائه بالرواية ويحاصه رويته الاشعار . وفى مسميه سورة اهله سيحه ابن شداد (١٢٢٠ -) (١) ، احدى نرم ابن حنبل الرواية عنه احدى عبيرة سنة (٢) ، وذاى اوس شيخ روى عنه (٢) .

وقد كان لابن شداد فهرست . ثبت فيه جميع رويته وطرق روياتها ، وبمنحه ابن حنبل ، ورواه عنه ، وكان هذا الفهرست يتضمن الكثير من كتب الحديث (وعاب حبيب الادب) (٣) ، ويصرح ابن حنبل بانه روى عن سيح ابن شداد من هذه الآثار ، وكان احدها « شرح التريب » ، لابي عبيد القاسم بن سلام (١) ، (ت ١٢٤ هـ) قد قرأه عليه فى مجالس آخرها ، فى العسر الاخير من سبعين سنة ٥٧٧ هـ . (٧)

اذن : فقد كانت عنائه ابن خلكان بالآثار الادبية ، وعنائه بتحصينه لهذه الآثار واتباتها فى تضاعيف وفياته بطريق الرواية الى جانب الكتب والمصادر المدونة ، وقد

(١) وفيات الاعيان ٢٢٠/٦

(٢) بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع القاضى ولا بالمرسل ، ودرس بالمدرسة النظامية واتصل بخدمة صلاح الدين الايوبي (ابن خلكان ٢٢٠ - ٢٥٤/٧)

(٣) وفيات الاعيان ١٨٢/٤

(٤) وفيات الاعيان ١٨٢/٤

(٥) انظر فى ترجمة القاسم بن سلام : نزهة الالباء (محمد ابو الفضل ابراهيم) ص ١٢٦ .

(٦) وفيات الاعيان ٨٢/٤

(٧) وفيات الاعيان ٨٢/٤

عرف الكثير منها أيضا بطريق الرواية كما اتضح فيما قرأه على شيخه ابن شداد من الكتب .

وقد كانت هذه العناية برواية الأدب مبعث تناء بعض الباحثين ففسال جورجى زيدان فى بعض الحديت عنه « لم يخلف ابن خلكان غير هذا الكتاب ، لكنه يساوى مئات الكتب وهو ذخيرة علم وأدب وتاريخ وإغة » (١)

كما أشار الى عنايته بالرواية فقال :

« وتجد فى خلاله كثيرا من دلائل العناية فى الضبط والرواية » (٢) .

معايير الذة العلمى عند ابن خلكان :

باستقراء دقيق لكتاب (وفيات الأعيان) ، يمكن ، أن نستخلص أهم القضايا العلمية المتصلة بالرواية الأدبية ، التى يكثر دورانها فى الكتاب، كما يمكن الوقوف على معايير النقد التاريخى ، وهى ظاهرة وثيقة الاتصال بقضيه الرواية أيضا .

فلما أكثر الموضوعات التى شغلت ابن خلكان فى موضوع الآثار الأدبية « فهو موضوع « نسبة الآثار الشعرية لقائليها » .

هذا الموضوع قد شغل ابن خلكان بصورة تستلفت النظر بحق ، ومن استقرائنا لهذه الظاهرة نخلص الى عديد من النتائج نوجزها فيما يلى :

١ - أنه يجرى تصحيحاته للنسبة فى الأشعار ، دون أن يوثق رأيه بالمصدر أو يدعمه بالدليل ونسجل هذه النتيجة ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٧٢/٣

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٧٢/٣

ونسجل معها أنها برغم وجودها فهي نادرة (١) .
٢ - توقفه عن ابداء الرأي ، مع ذكره ، وجود الأثر أو الآثار في ديوان شاعر آخر مثلا ، أو منسوبة إلى آخر في مصابير أدبية موثوق بها ، ويرد هذا كثيرا بل يقع في الأعم الأغلب من أحكام ابن خلكان (٢) .

لكن : ما تفسير ذلك وسببه ؟

ثم ما تقييم هذا الموقف : وما الرأي فيه !

أما عن الشق الأول :

فإن ابن خلكان - وهو راوية أدب - كان رجلا ذا ثقافة دينية ، فقهية الطابع ، وذلك ما جعله في أكثر الأحيان متحفزا في حكمه منوقفا عن ابداء رايه .

وأما عن الشق الثاني :

فهو قائم على المؤاخذه ، لأنه سلب ابن خلكان مقوما هاما من مقومات شخصيته العلمية ، فلا يضير العالم أن يحكم ، وأن يبدي رايه مدام له السند ، والدليل ، والمصدر الموثوق بحكمه ، ولا يضير عليه بعد هذا - لو ظهر خطأ رايه ، وبأن فيه ما بجانب الصواب - لأن « الاجتهاد العلمي » مبدأ مقرر ، وقد تقرر معه احتمالات الخطأ والصواب ، وإنما يضير العالم أحد موقفين :

١ - التوقف وتجنب الحكم بما يضع الدارس موضع الحيرة .

(١) انظر مثلا : وفيات الأعيان ١٠٨/١
انظر مثلا : وفيات الأعيان ١١٢/١ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ ، ٤٣/٣ ، ١٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٩٦ ، ٣٥٤ .

٢ - أن يجازف بالحكم ، والدلاء بالقول دون دليل أو مصدر .

ومع كل ما يلايس موقف ابن خلكان من دواعي المؤاخذه والانتقاد . فلقد فتح الطريق أمام الراغب في معرفة الحسيقة القاطعة ، وتحقيق الأمر على نحو يقيني .

أما معايير ابن خلكان في نقده التاريخي فيمكن أن نجملها في معيارين .

الأول : معيار نقلي ، يتمثل في اعتماده على الرواية ، أو المصادر المكتوبة ، حين يستشيرها ويعرج أحكامها ، ثم يتوقف في أكثر الأحيان .

والثاني : معيار تاريخي ، حين يعتمد على الماسم بالتواريخ وتسلسل الأحداث التاريخية ، يدينى بالحكم على ضوء ذلك ، وكذلك العلم بالانساب ، وهو شيء تميز به ابن خلكان .

فأما المعيار النقلي : فيكثر في مثل قوله :

« رأيت هذه الأبيات منسوبة الى غيره والله أعلم » (١) .

أو (هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ورأيت في أول ديوانه أنه والله أعلم بالصواب) (١) .

وحول أبيات منسوبة للامام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) يقول :

(١) وفيات الاعيان / ٤٢٩/٦

(٢) وفيات الاعيان : ٢٨٥/٦

« ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره ، والله أعلم » (١) ، كما ذكر أن العماد في الخريدة قد نسب الأبيات للامام الغزالي (٢) .

أما عن المعيار الثاني ، وهو المعيار التاريخي ، فإن أكثر أحكام ابن خلكان تأتي حاسمة قاطعة تنطق بالثقة ، وهو يتفنن في أساليب توجيهاته التاريخية وطرائق أحكامه .

فحينئذ يعتمد على عامه بالتواريخ^٣ التي وقعت خلال أحداث ، ويتخذها طريقا لأحكامه . وحينئذ يعتمد على علمه بالأحداث التاريخية وتسلسل وقوعها وكذلك علمه بالنسب .

من ذلك تصحيحه لأسماء الأدباء وأنسابهم ، كقوله في يونس بن محمد الأربلي (ت ٥٧٥ و ٥٧٦ هـ) (٣) : هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ، ولم أعلم من أين له هذه الزيادة ، والذي أعرفه من نسبه هو الذي ذكرته في ترجمته ... » (٤) .

ومن ذلك أيضا نفيه مجموعة من الأخبار نسبها لاسعد ابن مماتي (ت ٦٠٦ هـ) إلى بهاء الدين قراقوش (ت ٥٩٧ هـ) لما فيها من التشنيع والاساءة في كتابه (الفاشوش في احكام قراقوش) . يقول ابن خلكان عن الكتاب المذكور :

« وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه ، والظاهر أنها موضوعة ، فإن صلاح الدين كان معتمدا في أحوال المملكة

(١) وفيات الأعيان : ٣٥٤/٣

(٢) وفيات الأعيان : ٣٥٤/٣

(٣) وفيات الأعيان : ٢٥٢/٦

(٤) وفيات الأعيان : ٢٥٢/٦

عليه . واولا وثيقه بمعرفته وكفايته ، ما فرضها اليه (١)

هذا الى مواضع اخرى يزخر بها كتابه (٢) .

بقي بعد هذا أن نشير الى عناية ابن خلكان بالرواية حين تأتي في تراجمه لهم ، فيفيض افاضة تؤكد التفاته الواضح الى الرواية * (٣) .

ثم اخيرا فى عنوان الكتاب ذاته وهو :

(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان) .

(د) ابن الأثير (٦٥٨ هـ)

ترجمته :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي وشهرته التي عرفه بها الباحثون هي (ابن الأبار) - أحد مؤرخي الأندلس ورواة الثقات بل أنه وابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) أشهر من كتبوا عن الأندلس في القرن السابع

(١) وفيات الأعيان ٢٥٤/٣ - وكتاب (الفاشوش فى احكام قراقوش) من كتب الادب الفكاھى تضمن
مجموعة من الاخبار البوليزية ضد قراقوش ، وضبطها الأستاذ بن الطھيل الكاتب
المعروف بابن ممتاى أحد شعراء القرن السادس الهجرى ، وانش
فى ترجمته واخباره (وفيات الأعيان ١٨٩/١)
(٢) انظر : وفيات ٣٨٤/٣ ، ٤١١/٤ ، ٣٢٨/٦ ، ٧٤/٧ ، ٢٥٢/٧
وغيرها
(٣) وفيات الأعيان : ٤/٤ ، ٧١ ، ٣٩٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ،

• الهجرى (١)

وقد تولى ابن الأبار الكتابة لأمرأء الموحدين فى الأندلس ثم لسلطان إفريقييا ، فقد بدأ ابن الأبار حياته كاتبا لأبى عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن حاكم بلنسية ثم لابنه أبى زيد ، ثم لسفيره ، الى أن انتهت حياته بقتله مسموما (٢) سنة ٦٨٥ هـ .

وابن الأبار كان أحد أئمة الحديث ، والقراءات وهى ثقافات تؤكد تفرسه بالرواية (٣) .

وقد كان ابن الأبار من شعراء الأندلس ، ذكره ابن سعيد فى (المغرب) ، وذكر أنه اجتمع به (٤) ، ووصفه بأنه كان « فاضلا فى النظم والنثر وملح الآداب (٥) ، وروى عنه جملة من آثاره الشعرية . كما وصفه ابن العماد النحباى بالحافظ العلامة ، والكاتب الأديب » (٦) .

وقد كان والده من أفاضل علماء عصره ، وتخرج ابن الأبار به ، وروى عنه ، وقد ذكره الابن فى كتابه التكملة وترجم له (٧) .

(١) فى الحلة السيرة :

وكتاب الحلة من كتب الرجال التى عنى مؤرخو الأندلس

-
- (١) انظر : المغرب لابن سعيد (الدكتور شوقي خليف) ٣٠٩/٢
(٢) وجم زيدان فذكر أن وفاة ابن الأبار سنة ٦٢٥ هـ ، والصواب ما أثبتناه ، ولم ينيه الدكتور شوقي خليف فى حواشى كتاب زيدان .
(٣) المغرب فى حلى المغرب ٣٠٩/٢
(٤) المغرب ٣٠٩/٢ : ٣١٢
(٥) شذرات الذهب ٢٠١/٦ سنة ٦٥٨ هـ .
(٦) المرجع السابق .
(٧) التكملة لكتاب الصلة ٨٨٨/٢ وانظر مقدمة الدكتور حسين مؤنس ، للحلة السيرة ١٤/١ .

بالتأليف فيها عنايتهم بتسجيل وجمع تراثهم .

ومصادر الحلة تختلف بين الكتب والرواية :

فأما الكتب فاهمها :

- ١ - أنساب الأشراف للبلاذرى .
- ٢ - الأغاني للأصفهاني .
- ٣ - نسب قريش لمصعب بن الزبير .
- ٤ - تاريخ الأندلس لابن حيان .
- ٥ - جذوة المقتدر للحميدى .
- ٦ - الحقائق لأبى الفرج الجياني .
- ٧ - الكتاب المغرب عن أخبار المغرب .
- لأبى على الحسن بن أبى سعيد القيروانى .
- ٨ - جمهرة الأنساب لابن حزم .
- ٩ - الحجاب للخلفاء بالأندلس ، لعيسى بن أحمد ابن محمد الرازى .
- ١٠ - المسالك والممالك لأبى عبيد البكرى .
- ١١ - الأخبار المنتورة لأبى بكر الصولى .
- ١٢ - الوزراء لأبى بكر الصولى .
- ١٣ - أخبار ماوك العبيدية لأبى الحسين بن أبى السرور الرومى الاسكندرى .
- ١٤ - اليتيمة للثعالبي .
- ١٥ - القرائد فى التشبيه من الأشعار الأندلسية لأبى الحسن على بن محمد بن أبى الحسن القرطبي .
- ١٦ - طبقات النحويين لأبى بكر الزبيدى .
- ١٧ - مطمح الأنفس للفتح بن خاقان الاشبيلي .
- ١٨ - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى .
- ١٩ - زهر الآداب للحصرى .

- ٢٠ - نور الطريف ونور الظرف للحصري .
٢١ - ديوان شعر ابن هانيء الأندلسي .

وليس هذه المصادر سوى قل من كثر مما رجع ابن الأبار اليه ونقل عنه في دأب بالغ ، بصر ناقد ناقد ، وهي مصادر - كما نرى - تتنوع بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والأنساب ، كما أن منها ما هو مشرقى ومنها ما هو مغربى .

ولم يكن ابن الأبار - فيما رجع اليه من هذه المصادر - ليقتنع بما ورد بها ، لكنه كان يحقق إضافات علمية شأن الأثبات من أهل الرواية والتحقيق : ومن هذا مثلا صنيعة بدواوين الأشعار ، فقد كان يضيف الى نسخة من هذه الدواوين بعض ما صح لديه من أشعار ليست فيها ، ومن ذلك صنيعة ديوان ابن عمار ، حيث أثبت في نسخته أبياتاً (١) .

كما أن بعض ما كان تحت يده من المصادر قد سمعها على أصحابها وبخاصة الدواوين (٢) .

ويبدو ذكره من المصادر وأثبات نقوله عنها هاما من ناحية احتفاظه بأسمائها ، ومرافقتها بشيء من محتواها ونهجها ، فصارت لما ضاع منها قيمة تاريخية خاصة (٣) .

(١) انظر مثلا : الحلة ٢٧/١ ، ٢٠ ، ١٠٢/٢ ، ١٠٣ ، ٨/٢ ، ٣١١ ، ١١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ .
(٢) الحلة ٨/٢ ، ١٠٣ ، ٢٩٨ .
(٣) الحلة ٢٠٠/٢ .

الرواية في الحلة السراء :

ورواة ابن الأبار في الحلة أكثرهم شيوخه الذين قرأ عليهم وتخرج بهم (١) وأسانيده اليهم تأتي بلفظ الرواية الصريح ، مثل حدثني ، أخبرني ، أو نحوهما .

وفي أسانيده كثيرا ما يشير الى أماكن روايته وسماعه مثل بلنسية (٢) وجيان (٣) وتونس (٤) .

ويأتي هذا التحديد لأماكن سماعه ذا دلالة علمية هامة من حيث اشارته الى أماكن تنقله ورحلته ، كما يأتي دليلا على دقته ورغبته الصادقة في التوثيق .

وقد كان ابن الأبار حريصا على الرواية عن أهل الثقة من الرواة والنقلة وقد حرص على بيان ذلك وذكره بلفظ صريح ، كقوله « والذي أوردته من أبيات فمقول عن أثبات ومجموع من تصنيفات اشتات ، وما كان مقولا عليهم ، ومنحولا اليهم فأنا برىء من عهده » (٥) .

وقد كان هذا دأبه ، حتى وهو ينقل عن المصادر ، فيفاضل بينها مفاضلة تدل على علمه بطبيعتها ، ونصيب كل من الثقة (٦) .

(١) الحلة ٢/٢٣٥

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) نفس المرجع .

(٥) الحلة ١/٣٢

(٦) الحلة ١/٢٣٦ ، ٢/١٧٢

النقد العلمى فى كتاب الحلة :

حرص ابن الأبار على النقد العلمى لمروياته ومصادره .
واصدار الحكم حاسما صريحا - خاليا من مظاهر التوقف ،
مدعما بأدليل والسند . تلك احدى الملامح الهامة فى
ابن الأبار بصفة عامة التى تحدد لنا أحد الفروق الهامة بينه
وبين ابن خلكان .

كما يتضح لنا هذا المظهر العلمى الهام ، فيما يتعلق بتحقيقات
العلمية لمسائل « نسبية الآثار الشعرية » يبدو ذلك
واضحا فى تحقيقه لنسبة الأبيات الشهيرة فى وصف النخلة
والمنسوبة الى عبد الرحمن بن معارية (١) ، حيث شكك
ابن حيان فى نسبة بعضها الى عبد الرحمن ، لكن ابن الأبار
أكد نسبة أبيات القصيدة جميعها الى عبد الرحمن الداخل ،
ووثق النسبة بما نقله عن شيخه ابن شكوال فى كتابه
(الصلة) ، وما رواه عن سائر شيوخه (٢) .

وكما استدرك ابن الأبار على ابن حيان الأندلسى فى
مسألة نسبة الأبيات المتقدمة ، فقد استدرك على صاحب
(مطلع الأنفس) ، الذى نسب - خطأ - أبياتا لأبى جهور
ابن رئيس قرطبة ، وعبارته فى المناقشة والحكم صريحة ،
وحكمه فيها حاسم صريح أيضا ، ويحسن أن نورد هنا عبارة

(١) وهى أبيات شهيرة مطلعها :
تبت لنا وسط الرصافة نخلة

(٢) الحلة السبراء ٣٨/١ ثنات بأرض الغرب عن بلد النخل

ابن الأبار، لأنها دفيننا أكثر. يقول عن نسبة الأبيات «ونسبها لأبى حزم ٠٠٠ غلطاً منه ووهماً لاخفاء به ، وإنما هي لجده جهور بن عبيد الله هذا المذكور هنا ، ثم اعقب غلطه بغلط آخر أفحش منه ، فأورد أبياتاً لابن فرج يرثيه ، وأتى بعد ذلك برثاء ابن زيدون ، فأفرط وخلط والحق بالباطل الحق ، أما ابن زيدون ، فترثاؤه لأبى حزم الأخير صحيح غير معترض عليه ٠٠٠ وللفتح أيضاً غلط يضاف الى ما تقدم في نسبة بيتين لأبى حزم هذا . وأنشدهما الحميدى لجهور بن محمد التجيبى أبى محمد المعروف بابن القلو وهو الصحيح ، لأنه ذكر أنه شاهده بالمرية ، وكتبها من شعره » (١) .

ثم يؤكد ابن الأبار خطأ الفتح في زعمه أن الحميدى قد لقي أبا الحزم بن جهور ، ويقول : « ولم يلق الحميدى أبا الحزم فيما علمت ، وإنما عاصره » (٢) .

فإذا أضفنا الى ما تقدم ، ما سبقت الإشارة اليه بشأن وهم الثعالبي في اليتيمة في نسبه أبياتاً الى الخليفة المعتضد خطأ منه . إذا انضافت الشواهد كلها الى بعضها البعض تأكد لدينا جانب من جوانب العناية بالتحقيق ، لدى ابن الأبار ومقدرته على النقد التصويبي للعلماء ، لا يستثنى من ذلك أئمة سبقوه الى الرواية والتصنيف .

وقد التزم ابن الأبار بمعايير علمية موثقة لاجراء تصريحاته وتصحيحاته منها :

(١) الحلة السبراء ٢٥٠/١

(٢) الحلة السبراء ٢٥١/١

١- الرجوع الى المصادر المدونة .

٢- الرجوع الى الرواة .

٣- الرجوع الى التاريخ .

٤ - الاحتكام الى ثقافته الأدبية .

وعن المعيار الأول ، فقد مضى ما قيل من مقاضلته بين المصادر ومعرفة بمراتب تلك المصادر من حيث الثقة بها ، ولهذا فانه يختار في (أخبار المعتمد بن عباد) رأيا لأبي قاسم الشسلي في تاريخه لأنه في رأيه (أمتن علما وأحسن سردا لها) (١) .

وأما المعيار الثاني ، فقد يلجأ اليه أيضا لتصحيح النسبة كتأكيده نسبة أبيات لأبي جعفر عبد الله بن محمد القرطبي ، ويقول بشأنها (وهي عندي بالاسناد اليه) (٢) .

وأما المعيار التاريخي فقد وضح في استدراكه على صاحب (مطمح الأنفس) ونضيف اليها ما ذكره ابن الأبار من أن عدم الاهتمام (بضبط الموالد والوفيات) كان هو السبب الذي قاد أصحاب هذا الوهم الى ما وهموا فيه (٣) .

وإذا كان ابن الأبار قد اتسمت أحكامه بالحسم والجرأة ، فقد كان يصدر في ذلك عن استيشاق وتثبت ، لا عن مجازفة .

(١) - الحلة السيرة : ١٣٦/١ ، ١٧٣/٢

(٢) - الحلة السيرة : ٢٤٤/١

(٣) - الحلة السيرة : ٢٥١/١

وتسرع . ولهذا فقد كان مضطرا الى التوقف . عندما اقتقد
الدليل (١) .

٢ - التكملة لكتاب الصلة :

ولهذا الكتاب أهمية خاصة ، لأنه جاء ذيلًا على كتاب
(الصلة) لابن بشكوال شيخ ابن الأبار ، وأستاذه الذي عنه
أخذ ، وهنا ينبغي قبل الشروع في دراستنا لهذا المصدر
الهام أن نشير الى ظاهرة علمية جديرة بالنظر : وهي ظاهرة
أفصح عن نفسها في هذا الكتاب من خلال عذوانه ، دون
أدنى خفاء ، نعني بها « ظهور عدة حلقات متصلة من الكتب
تنتهج كل منها كتابا معيناً ، وتستكمل خطاه وفي نفس الوقت
تستدرك عليه ، وتصحح بعض أوهامه وسقطاته » ، لاحظنا
ذلك في اليتيمة والدمية والزينة والخريدة ، ونلاحظ مثل
ذلك في حلقات من كتب ظهرت بعد (وفيات الأعيان) منها :
« تالى وفيات الأعيان » لأموفق فضل بن فخر الصقاعي ،
وهو في تراجم من توفي بمصر والشام ، منذ عام ٦٦٠ هـ
الى عام ٧٥٧ (٢) ، ثم كتاب (فوات الوفيات) لابن شاكر
الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) ، حيث ذكر - في كتابه - ما فوات
ابن خلكان من التراجم . وأخيرا ، يأتي ، عالم مؤرخ ،
عاصر ابن شاكر ، ومات في نفس العام ، وهو صلاح الدين
الصفدي ، في كتابه (الواقف بالوفيات) ، الذي جمع
فيه تراجم الأعيان ممن وقع عليه اختياره ، من الصحابة
والتابعين والملوك والأفراد والقضاة والقراء والمحدثين
والنحاة والأدباء والشعراء .

فاذا أضفنا الى ذلك ظاهرة « العائلات المتأدية » وقد

(١) انظر مثلا لذلك في الحلة ٦٣/٢

(٢) منه نسخة مخطوطة في مكتبة باريس . انظر زيدان ١٧٤/٢

أشرنا إليها من قبل - ونذكر منهم عدا من ذكرنا - آل سعيد أصحاب « المغرب فى حلى المغرب » اتضح لنا موقف من مواقف الرواية ، تتواصل فيه الجهود وتتصل .

مصادر التكملة :

وهي أيضا تتنوع بين الكتب والرواية الشفوية شأنها فى ذلك شأن الحلة الآن الرواية فى التكملة أوضح ، والاعتماد عليها أكثر مما هو فى (الحلة السيرة) .

ويمكن القول بأن كتاب الحلة مضافا إليه « التكملة » يجعلنا نقرر مطمئنين ، بأن ابن الأبار أهم راوية ظهر فى القرن السابع الهجرى .

الأسانيد فى التكملة :

وأول ما يطالعنا - بشأن الأسانيد - تلك العناية الملحوظة بها لتوثيق مروياتها ، وإخلاء العهدة . ولكن عناية منه بالاسناد وحرصا منه على ألا يزحم به كتابه فيمل القارئ به . فقد جاء فى المقدمة فخصص جزءا منها لذكر طرق اسناده . فإذا قال : « رويت عن فلان . . » فإن طريق الاسناد اليه هو فلان عن فلان الى نهاية السلسلة .

ولهذا يقول فى مقدمته تلك : « والذين استنضأت بشماعهم ، واستشهدت من أوضاعهم ، أثبت بالأسانيد اليهم بدءا . ورأيت أن أضع من عناء تكرارها عبئا » (١) .

(١) التكملة : ٤/١ « مقدمة المؤلف » .

فإذا تجاوزنا هذه المقدمة - بشأن الاسناد - وجدنا أن الكتاب ذاته، يلتزم الاسناد التزاما لا اخلال فيه، فيأتي هذا الالتزام دليلا واضحا على اعتداد ابن الأبار بتقاليد الرواية والسماع * حتى كان من مظاهر حرصه على الاسناد أنه في مواضع من كتابه يورد الأثر الواحد مرويا بأسانيد متعددة يذكرها جميعا (١) *

الرواية :

وقد روى ابن الأبار عن طائفتين من الرواة : الرواة من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم في الرواية (٢) ، ثم الشعراء أو رواة الآثار الشعرية ، الذين التقى بهم ، واستنشدتهم فأنشدوه ، وأحيانا أجازوه *

كما كان ابن الأبار إذا ذكر شيئا من أهل الرواية لم يلقه، سارع فذبه الى ذلك بمثل قوله : « فلم يتفق لى أن أسمع شيئا من شعره » (٣) * أو « فأتنى الرواية عنه » (٤) *

كما كان يحرص على وصف الموثوق بهم بصفات تعطي القارئ لكتابه نوعا من الطمأنينة كقوله : « حدثني الثقة » (٥) أو « من أثق به » (٦) كما كان يصف رواة بصفات توثقهم كقوله :

-
- (١) انظر مثلا ٢٧٥/١
(٢) انظر مثلا التكملة ٨٨/١ - ، ٩٠٢
(٣) انظر مثلا التكملة ٣٧/١
(٤) انظر مثلا التكملة ١٠٠/١
(٥) انظر مثلا التكملة ٩٣٠/١
(٦) انظر مثلا التكملة ٩٠٢/٢

(كان ذا عناية بالرواية ٠٠٠) (١)

(كان موصوفاً بالدراية والرواية) (٢)

(وكان أهل العناية بالرواية وسماع العلم) (٣)

كذلك كان حريصاً على التزام نهج المحدثين في وصف
أحوال الرواة ، توثيقاً أو تجريحاً بمثل قوله :

« حسن التقعيد معتنيا ببقاء الرجال » (٤)

« حجة فيما يرويه ويستنده » (٥)

« كان صاحب ضبط واتقان » (٦)

« لم يكن بالضابط » (٧)

« كان يخلط ولا يضبط » (٨)

« تبرأت من عهدة جميعه بما أثبتت من حاله » (٩)

« ولهذا الشيخ من التخليط والغلط الذي لا يقع فيه أحد
ممن زاول هذه الصناعة أدنى مزاولة ، عفا الله عنه -
وسمح له » (٧)

وكما استدرك ابن الأبار على شيوخه في الحلة ، لا يستثنى
منهم من لقيهم وأخذ عنهم فكذلك كان دأبه في التكملة ، وكان

(١) . (٨) . (٩) ١٦/١ ، ٢٢ ، ٥٤ ، ١٠١

(٢) التكملة ٤٤ /

(٣) التكملة ٣٠٥/١ ، ٢٤٦

(٤) التكملة ٦٦/١

(٥) التكملة ١٧٠/١

(٦) التكملة ١٨٦/١

(٧) التكملة ١٧٦/١

طبيعيا أن يستدرك على شيخه ابن بشكوال مع أن كتابه جاء
تكملة لكتاب الصلة ، ومع توثيقه لشيخه عند ترجمته له ،
ووصفه إياه بأحسن وصف .

اذ وصفه بأنه (بقية المسنين بقرطبة فى حفظ أخبارها
ومعرفة رجالها) (١) كما وصفه بأنه :

« كان - رحمه الله - متسع الرواية شديد العناية بها ،
عارفا بوجوهها ، حجة فيما يرويه ويسنده ، حافظا حافلا
أخباريا ممتعا تاريخيا مفيدا ، ذاكر لأخبار الأندلس القديمة
والحديثة » (٢) .

فلما استدراكاته فتأتى على صور أهمها :

(أ) مؤاخذه ابن بشكوال فى نقض ما يورده من أخبار
العالم أو الأديب الذى ترجم له (٣) .

(ب) استدراكه عليه أخطاءه فى ذكر تواريخ الوفيات
والموالد (٤) .

(ج) استكمال له لمن أغفل ابن بشكوال ذكره من العلماء .
وكان من الواجب ذكرهم (٥) .

(١) التكملة ٧٦/١ ، ٨٠ .
(٢) التكملة : ٣٦٠/١ .
(٣) التكملة : ٤٥/١ .
(٤) التكملة : ٣٣/١ .
(٥) التكملة : ٢٩٤/١ .

ومما يدل على موضوعيته انه لم يقصد بمثل هذه الاستدراكات الاقلال من قيمة الكتاب ، اعنى كتاب « الصلة لابن بشكوال » فقد اثنى على الكتاب (١) كما اثنى من قبل على شيخه صاحب الصلة نفسه .

(١) التكملة : ٢٠٦/١ ، ٢٠٧

الفصل الثاني الرواية الأدبية

ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ)

أولا : رواية الأشعار :

ومصطلح الرواية الأدبية يقصد به أولئك الرواة المستغنيين
بالأدب بمعناه الخاص : شعرا ونثرا * واستعمل هذا
المصطلح ليعرق بين رواة السير من المؤرخين ، ورواة
الآثار الأدبية وأحبار الأدباء * وهم يخدمون عن رواة
السير ، في أنهم مختصون بالأدب بمعناه الخاص ، لا بمعناه
العام ، فهم لا يعرضون لغير الأدباء *
وسوف نعرض هنا لجهد « ابن سعيد الأندلسي » صاحب
(المغرب في حلى المغرب) و (المشرق في حلى المشرق)
و (الغصون الياض في شعراء المائة السابعة) وكذلك (الغرة
الطالعة في شعراء المائة السابعة) وغير ذلك (١) .

وإنما اخترنا ابن سعيد بالذات لأنه من أوفى أهل
التصنيف الأدبي إنتاجا واعتمادا على الرواية في القرن
السابع الهجري .

(١) وانظر مؤلفات ابن سعيد والطبوع منها والمخطوط في
مقدمة الدكتور شوقي خيف لكتاب (المغرب) ط دار المعارف سلسلة
نخائر العرب رقم ١٠

ويحسن أن نتناول الحديث هنا في كتابين لابن سعيد :

الأول يغلب عليه الرواية للأشعار ، فهو من قبيل الاختيارات : ونعني به كتاب « المغرب في حلى المغرب » والثاني كتاب في أخبار الشعراء ، وهو الغصن اليانعة .

وكتاب « المغرب » يمثل حقيقة « العمل الجماعي » في ميدان الأدب والرواية والتأليف ، لأنه ليس من تأليف فرد واحد ، كما جرت العادة غالباً في التأليف ، بل هو عمل أفراد من أجيال متعاقبة لأسرة بني سعيد .

وإذا ما علم أن أصل (المغرب) هو مصدر آخر يسمى (المسهب في غرائب المغرب) للحجاري ، أمكن تأكيد الحقيقة لأن الجهد الجماعي هنا قد تم بين أبناء أسرة ومؤلف آخر خارج عنهم .

ولقد كان الحجاري في الأصل واقفاً على رأس هذه العائلة وعميدها : أعني به عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد في (غرناطة) . وكان عبد الملك إنشأ تحت طاعة المرابطين . أما الحجاري الواقف ، فكان شاعراً مدح عبد الملك بقصيدة ، أثارت إعجابه ثم ما لبث أن تعلق بالحجاري لسعة روايته أنار أهل الأندلس وعلمه بأخبارهم ، فأشار عليه أن يؤلف فيهم كتاباً فكان هذا الكتاب .

وعندما بدأ عبد الملك يطالع كتاب الحجاري الذي أشار عليه بتأليفه ثار في خاطره أن يضيف إلى الكتاب ما أغفله مؤلفه ، ويختصر منه ما لم يوافق غرضه لطوله .

وتعاقب على الكتاب - بعد عبد الملك - ابنه : أبو جعفر الشاعر ، وشقيقه محمد بن عبد الملك ، فتعهدا الكتاب وأضافا

اليه بعض ما استفاده ، ولم يزل لهما خزانة أدب يتزايد
عمرها الى أن استبد به موسى بن محمد - وكان أعلمهم بهذا
الشان - فاعتنى به أشد اعتناء ، وأضاف اليه ما طالعته في
الكتب والتقطة من أقواء الرجال (١) .

وجاء على بن موسى - آخر حلقة في سلسلة هذه العائلة
المتأدية والمشاركة جميعها في تأليف (المغرب) ، فتولى على
ابن سعيد اخراج الكتاب للناس في صورته النهائية المسماة
(بالمغرب في حلى المغرب) .

ولم يفت (على بن موسى) أن يشهد بجهد سابقيه ،
فحفظ بذلك حقهم في الجهد العلمي ، وحفظ معه أمانة الرواية .

وقد ترجم على بن موسى لنفسه في كتابه ، وذكر رحلاته
لرواية ، الى حلب التي دخلها برفقة ابن العديم (٢) ، ثم
اتجه الى دمشق ، ونادى بها السلطان « توران شاه » ثم رحل
الى بغداد وأرمينية وأرجان ودخل مكة حاجا ، ثم رحل من
حجة الى تونس سنة ٦٥٢ هـ ثم عاد الى الأندلس . وعاد
ابن سعيد الرحلة مرة أخرى الى المشرق سنة ٦٦٦ هـ ، وبعد
قفل راجعا الى تونس فمكث بها الى أن مات سنة ٦٨٥ هـ (٣)

(١) انظر مقدمة : المشرق في حلى المشرق لعلي بن موسى ابن سعيد
نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية تحت رقم ٢٥٣٢ ، وانظر مقدمة ناشبر
المغرب الدكتور شوقي ضيف ١/١ : ٢ .
(٢) كمال الدين بن أبي جرادة المعروف بابن العديم المؤرخ وصاحب
زبدة الحلب من تاريخ حلب (توفي سنة ٦٦٠ هـ) وانظر معجم الأدباء
٥/١٦ وما بعده .

(٣) انظر : مقدمة الدكتور شوقي لتاريخ الوفاة .

مصادر المغرب :

وهي تتنوع بين المشاهدة والرواية الشفوية والكتب (١)

(١) الرواية الشفوية

وقد اتيح له الكثير منها ، وكان من أسباب هذه الكثرة الملحوظة في المرويات بطريق « الرواية الشفوية » أن الكتاب قد تعاقب على تأليفه ستة مؤلفين على مدى مائة وخمس عشرة سنة متصلة يترجمون لأشخاص عاصروهم في القرنين السادس والسابع للهجرة ، فكانوا يلتقون بهم ويروون عنهم مشافهة أطرف مالهم من اشعار وموشحات وازجال (٢) .

وكان للرواية الشفوية - مضافا اليها المشاهدات - أثر كبير في اصفاء الحيوية على هذا النص التاريخي الهام (٣)

فأما الرواة الذين روى (على بن سعيد) عنهم ففي مقدمتهم والده « موسى » : ومعنى هذا أن الوالد لم يشارك بجهده في التأليف فقط ، بل أمدّه ولده بمصادر جديدة ينهل منها لهذا السفر القيم . وهو يروى عن والده بلفظ (قال والدي) (٤) أو (أخبرني والدي) (٥) أو « ذكر والدي » (٦) أو « أنشدني » (٧) فأما إذا كان ينقل عن مدونات

(١) وانظر مقدمة الدكتور شوقي ضيف ١٣/١ .

(٢) وانظر مقدمة الدكتور شوقي ضيف ١٤/١ .

(٣) انظر مقدمة الدكتور شوقي ضيف ١٤/١ .

(٤) المغرب : ١٠٥/١ ، ١٠٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٧ ، ١٨٠/٢ ، ٢٦٤ .

(٥) المغرب : ١١٠/١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٩٢ ، ٣٣٤ ، ٧٢/٢ ، ١١٢ ، ١٤٨ .

(٦) المغرب : ٨٢/٢ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ٢٨٨ .

(٧) المغرب : ١١٠/١ ، ١٥٠ ومواضع أخرى .

لوالده ، فإنه يصريح بذلك ، كقوله « نقلت من تقييد سلفي » (١) ، وقد كان الوالد من أحفظ أهل زمانه وأشهرهم بالرواية فأما إذا كان ينقل عن مدونات لوالده ، فإنه يصريح بذلك .

والى جانب الوالد يروى على بن سعيد عن الكثير من الشعراء ، ممن أتت له بهم اللقيا ، قروى من أقوامهم ، وأودع الكتاب الكثير من آثارهم (٢) .

فمن هؤلاء الشعراء شيوخ لعلى بن سعيد مثل :
« أبو يحيى أبو بكر بن هشام (ت ٦٤٠ هـ) ، الذى قال عنه :

« وهو ممن قرأت عليه وأدركته يكتب عن الجاجى (٣) ، نملك أشبيلية ٠٠٠٠ وبلغنى فى مصر أنه توفى سنة ٦٤٠ ، ومما أنشد فيه لنفسه ٠٠ » (٤) . كما روى آثارا لابن حيان الأندلسى (ت ٦٣٩ هـ) : وقد لقيه أيضا ، والهيثم بن أحمد (٥) ابن أبى غالب حافظ أشبيلية ووصفه بقوله (لم ألق أحفظ منه (٦) .

ولقد كانت الحاسة الفنية وراء مرويات على بن سعيد

(١) ١٣٦/١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٧٣/٣ ، ١٢٩ ، ٢٢٤ ، ٢٩
(٢) المغرب ١٩٤/١ ، ٣٠٠ ، ٧٣/٢ ، ١٤٥ ومواضع أخرى .
(٣) قام ضد بنى عود فى أشبيلية ونجح فى اقتصائهم وتملكها
(٤) المغرب ٧٤/١
وانظر نفع الطيب ٢٥٧/٢ .
(٥) أحد الشعراء والرواة فى أشبيلية . توفى بقرطبة سنة ٦٣٠ هـ
وانظر الطيب ٢٥٧/٢
(٦) المغرب ٢٦٣/١ .

الذى يحرص كثيرا على ان يقرن رواياته بأحكام فنية موجزة وسريعة كوصفها بالضعف (١) أو بأنها فى نهاية التخلّف (٢) .

(٢) - الكتب

وهى مزيج من كتب الرجال والأدب والتاريخ العام والجغرافية ، أكثرها أنداسى ، وبعضها مشرقى ، ومنها :

- ١ - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ)
- ٢ - الصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)
- ٣ - جذوة المقتبس للحميدى (ت ٤٨٨ هـ)
- ٤ - الذخيرة لابن بسام (ت ٥٤٧ هـ)
- ٥ - سمط الجمان وسقط اللآلىء وسقط المرجان لأبى عمرو بن الامام .
- ٧ - المغرب فى آداب المغرب لابن اليسع (٥٧٥ هـ) .
- ٨ - المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي (ت ٥٩٧ هـ) .
- ٩ - الحقائق للجبانى .
- ١٠ - خريدة القصر للعماد الأصفهاني (٥٩٧) .
- ١١ - يتيمة الدهر للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)
- ١٢ - الزهرة لأبى داود الأصفهاني .
- ١٣ - ملح الزجالين للحسن بن أبى نصر الدباغ .

١٤ - بعض الدواوين الشعرية • مثل ديوان الرصافي
وديوان ابن الزقاق •

بقيت بعد هذا ملاحظة يحسن ان نسجلها : فان كتاب
المغرب ، وان اعتمد الرواية الشفوية مصدرا أساسيا له ،
وحرص على توثيق مروياته بذكر المصدر • وعنى عناية
ظاهرة بالإشارة الى من اشتغل بالرواية ممن ترجم لهم (١)

نقول - برغم ذلك كله - فان جانب النقد العلمى ، ومناقشة
الروايات والاسانيد لا يشكل فى الكتاب ظاهرة من ظواهره
العلمية ، هذا الى أن المغرب فى كثير من المواضع يهمل
الجانب التاريخى بالنسبة لمن يروى لهم من الشعراء ، فيغفل
ذكر أخبار الكثرين منهم ، ويكثر اغفال تواريخ المولد
والوفاة • وان كان الخط التاريخى اوضح وأجلى فيما
يتعلق بالخلفاء وذوى السلطان (٢) حتى اضطر ناشر المغرب
الى الترجمة لأكثر الشعراء فى حواشى الكتاب •

وعلى هذا ، فان لدينا نتيجة أخرى جديدة بالتسجيل ،
هى أن المؤرخين للسير كانوا أحفل بالتاريخ ، وأكثر اهتماما
بالعنصر الزمنى ، وبالنقد التاريخى ، والمناقشة للأخبار
والروايات وان كانوا أقل عناية
أما (الرواة الأدباء) فأكثروا احتفالا بجمع الآثار ، ورعاياتها ،
وأقل عناية بالتاريخ والنقد العلمى • نقرر هذا بالنسبة
للقرون الرابع •

(١) انظر على سبيل المثال : ١٠٦/١ ، ١١٤ ، ١٥٠ ، ٢٦٣ ، من المغرب
فى حلى المغرب •
(٢) انظر المغرب : ٣٨/١ : ٥٧ فى ترجمة بعض خلفاء بنى أمية
وانظر المغرب : ١٥٥/١ : ١٦٧ فى ترجمة بعض القضاة •

فاما القرن الرابع ، فان عناية الرواة الادباء بالجانب التاريخي والنقد العلمى كانت ظاهرة جديدة بالملاحظة ، وقد رأينا أجلى صورة لها فى كتاب الأغاني لأبى الفرج الاصفهاني ، وقد أوضحت دراستنا له فى موضعه هذه الحقيقة .

وبالنسبة لامغرب ، فانه يمكن عده - من جملة وجوه - من المصادر الشبيهة بكتاب اليتيمة ، من حيث العناية بالصياغة اللفظية فى أسلوب السرد ، ومن حيث غلبة الآثار على الجانب التاريخي .

ومع ما قدمنا يبقئ كتاب المغرب من أوفى المصادر فى موضوعها ، وأغناها تصويرا للشعر الاندلسى فى عصوره المختلفة ، فقد رسم مؤلفه خطوط هذا الشعر وألوانه ، وكادوا يجسمونها تجسيما ، عن طريق التراجم الكثيرة التى حشدوها فيه ، وقد بلغت نيفا وأربعين وستمائة (١) ، عدا النصوص الهائلة نظما ونثرا .

ولقد كان الكثير من هذه التراجم والنصوص ، مجهولا لدى الدارسين ، مما يجعل للمغرب قيمة تاريخية خاصة تضعه فى عداد الوثائق فى دراسة الآثار الاندلسية بل والحياة الاندلسية ، رواية ودراية .

ولقد كان للقيمة التاريخية لهذا المصدر الهام اثر لدى

(١) مقدمة الدكتور شوقي ضيف ١٧/١

الدارسين المعاصرين ، حتى طالب ناشر المغرب وهو الدكتور
خفيف باعادة النظر في الكثير من قضايا الادب الأندلسي ،
والمعلومات المتعلقة به ، وأعادة نشر بعض مصادره على
ضوء هذا المصدر الهام . وفي مقدمة ما يجب اعادة نشره
من هذه المصادر كتاب المقرئ « نفح الطيب » (١) .

(١) مقدمة الدكتور شوقي خفيف ١٨/١

ثانيا : رواية أخبار الشعراء

القصون الياضعة في محاسن شعراء المائة السابعة :

إذا كان ابن سعيد قد قصر المغرب على بلده ، فنقد شارك بجهد علمي في مجال (أخبار الشعراء) في القرن السابع بالذات ، لم يقصره على أبناء صقعه ، بل جمع فيه اشتات شعراء من بلدان مختلفة ، أتاح لابن سعيد رواية آثارهم وأخبارهم رحلته الواسعة الممتدة بين آفاق المغرب ، ورحاب المشرق .

والتحديد الزمني الذي قيد به ابن سعيد إطار كتابه يجعل له ميزة أخرى ، هي قيمته كمصدر تاريخي لمن رغب في دراسة هذه الحقبة الزمنية الهامة في أدب المشرق والمغرب على السواء .

ومن أهم الشعراء الذين ترجم لهم ابن سعيد : شميم الحلبي (١) الشاعر العراقي ، والعبدوسي العراقي (ت ٦٠١ هـ) ابن مجاور المصري (ت ٦٠١) - وهذيل الاشبيلي (ت ٦٠٣ هـ) وابن خروف القرطبي الأندلسي (ت ٦٠٤ هـ) .

وفي أثناء الكثير من الترجمات ما يشير الى رحلات ابن سعيد الممتدة ما بين الفراتين شرقا وتونس والاندلس غربا ، وما بين الشام وفلسطين في أقصى الشمال ،

(١) على بن الحسن بن عنتر ، من الحلة إحدى مدن الفرات بالعراق (ت ٦٠١ هـ) وانظر القصون الياضعة بتحقيق ابراهيم اليازجي (ط المعارف) ص ٥ ومعجم الادباء لياقوت ٣٥/١٣

ومصر في الجنوب . ومن اشاراته الى هذه الرحلات نعث
على مثل قوله :

« وجدت الأسعد بن يعرب شيخ علماء الاسكندرية مليئا
بأخباره ، (١) »

وأنشدني له بعض أدباء حلب (٢) »

مصادر القصص :

وتتنوع بين الرواية والكتب ::

أما الرواية ، فمن ظواهرها الاشارات المتقدمة الى
مواطن رحلته ومواضع أخذه وروايته . وفي مقدمة من
روى عنهم ابن سعيد والده الذي أفاد منه في كل ما ألف
وروى . وقد كان والده من الرواة الحفاظ الذين
استفاضت شهرتهم في أوساط أهل الادب ، حتى أنه عندما
سأل أحد الشعراء أن ينشده قال له الشاعر :
« من يحفظ من الشعر ما تحفظ أنت يجب على العاقل
لا ينشده شيئا (٣) » ، كما كان ابن سعيد أثناء سياحته
العلمية - يروى عن الرواة العارفين بالآثار ، أو عن
الشعراء اذا لقيهم ، أو عن اقاربهم اذا لم يدركهم (٤) .
فمن العلماء الرواة الشهاب القوصي صاحب « تاج

(١) القصص البانعة ٨٩ .

(٢) القصص البانعة ٨٧ وانظر ايضا : ٨٥ ، ١١٧ ومواضع اخرى .

(٣) المغرب ١٦/١ والشاعر هو أبو اسحاق ابراهيم بن الناصف

(ت ٦٢٧ هـ) .

(٤) وانظر القصص البانعة من ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ١٢ ، ١٧
ومواضع اخرى .

المعاجم « (١) ، ومن الشعراء ابن الجزار المصري
(ت ٦٧٩ هـ) (٢) .

ولقد كان ابن سعيد في كثير من الاحيان لا يقنع برواية
واحد يأخذ عنه اثار الشاعر وأخباره ، بل كان يأخذ عن اكثر
من رواية حتى يضمن المزيد ، كثرة وتوثيقا (٣) .

كما تأتي بعض اثار الغصون الياضعة معتمدة اعتمادا
تامسا على الرواية الشفقوية ، قائمة بها دون المدونات
والكتب (٤) .

وتأتي عبارات ابن سعيد دالة على ذلك ، شاهده به ،
كقوله (٥) ، لم أجد ذكره في تاريخ وإنما أخذت ترجمته من
الحافظ أبي المحاسن الدمشقي .

هذا . ويبقى أن نقرر بأن ابن سعيد كان يتحرى في مظان
روايته ، فعباراته في الرواية تدل على أخذه من الاثبات
الثقات من الرواة . كقوله :

« ما أخبرني به أبو بيان الاسرائيلي (٦) حكيم الديار
المصرية وبقية المعمرين من أشياخها » (٧) .

(١) الغصون الياضعة ص ٦٦

(٢) نفسه .

(٣) الغصون الياضعة ص ١٥

(٤) الغصون الياضعة ص ١١١

(٥) وذلك في ترجمته لليفيديدي = حسن بن احمد المتوفى ٦٠٤ هـ .

(٦) وكان يهوديا من طائفة القرائن ، طبيباً جاذباً ، خدم الخلفاء
الفاطميين ثم صلاح الدين وتوفي سنة ٥٨٠ هـ (عيون الانباء ١١٥/٢)

(٧) الغصون الياضعة ص ٢١

« ذكر لى ابن عبد العظيم صاحب تاريخ مصر » (١)
« وجدت الشريف يعقوب ملآن بأخباره وأشعاره » (٢)
« وجدت الأسعد بن يعقرب شيخ علماء الاسكندرية مليئا
بأخباره » (٣) .

(٢) الكتب والمدونات

واكثرها فى التاريخ والسير ودواوين الأشعار .
ونذكر منها على سبيل المثال :

- ١ - تاريخ بغداد ، فسبق بذلك الخطيب البغدادي .
- ٢ - معجم أبى الوليد الشقندى الذى عنه نقل ابن سعيد كثيرا فى كتابه المغرب وكان الشقندى أحد القضاة العلماء الذين يحضرون مجالس الكبراء ومنهم والد ابن سعيد ، وقد كان ابن سعيد رآه فى اشيائية (٤) وترجم له فى المغرب ، وذكر وفاته فى سنة ٦٢٧ هـ - وعدا هذا رجع ابن سعيد الى الكامل لابن الأثير (وتاج المعاجم) للشهاب القوصى و (تاج حلب) لابن العديم ودواوين الشعراء .

كما لم يكتف ابن سعيد بالكتب وإنما رجع الى بعض التعاليق والمدونات الخاصة . وبعضها لم يسمح أصحابها

(١) الفصول الياضة ص ٦٦
(٢) هى ترجمة الكفر عزى من شعراء العراق توفى سنة ٦٠٣ هـ وانظر ص ٧٨ .
(٣) فى ترجمة ابن المنعم الاسكندرانى المصرى المتوفى سنة ٦٠٣ هـ وانظر ص ٨٩ .
(٤) المغرب ١/١٨ - ٢١٩ وانظر نقوله عنه فى : ١/٧٧ ، ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٨٢ وغيرها من المواضع .

بأعاراتها أو مطالعتها ، فاضطر الى حفظ القليل النادر
من محتواها ، ثم كتابته من الذاكرة (١) .

وبعد : فإن تقاليد الرواية الأدبية قد خسعت في بلاد
المشرق بعد القرن السابع الهجرى ، وإن ظلت في الأندلس
قائمة ، فإنه بعد القرن السابع الهجرى أهمل العلماء
تقاليد الرواية ، وتحولت خلال القرنين التاسع والعاشر الى
نهايته الى مجرد سلوك تعليمى يقوم على الحفظ والاستظهار
للحواشى والمتن والمنظومات ، أو يستجيز الشيوخ
والعلماء ، وعمت شكوى العلماء - كالسيوطى مثلا - من
انقطاع رسوم الرواية وتقاليدها . ونرجو ان يوفقنا الله
تعالى الى استكمال ذلك كله فى بحث مستقل .

(١) الفصول الیانة : ٢٦ .

المراجع

- ١ - المقرئ :
نفع الطيب في غصن الآداب الرطيب ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
(ط التجارية بالقاهرة)
- ٢ - الاصمعي = أبو الفرج :
الاغانى ، (ط بولاق) ، (ط دار الكتب) ، (ط سامى)
- ٣ - ابن خلكان :
وفيات الاعيان ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط التجارية بالقاهرة)
- ٤ - ياقوت الحموى :
(١) معجم الادباء ، (ب) معجم البلدان
٥ - آدم ميتز :
المضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة الدكتور محمد
عبد الهادى أبو ريده ، (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة)
- ٦ - زكى مبارك = الدكتور :
النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى ، (ط دار الكتب)
- ٧ - القفطى = جمال الدين :
أبناء الرواة في أبناء النحاة ، بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
(ط دار الكتب المصرية)
- ٨ - ابن بسام = أبو الحسن علي بن بسام الشنترينى :
الذخيرة في محاسن الجزيرة (ط لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة)

- ٩ - ابن شاكر الكتبي :
فوائد الوفيات، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط التجارية بالقاهرة)
- ١٠ - زيدان = جورجى :
تاريخ آداب اللغة العربية ، (ط دار الهلال)
- ١١ - ابن العماد = الحنبلى :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (ط بيروت)
- ١٢ - عماد الدين الاصفهاني الكاتب :
خريدة القصر وجريدة المعصر ، (١) قسم شعراء العراق ، بتحقيق محمد بهجت الاثرى ، (ط بغداد) . (ب) قسم شعراء المغرب والاندلس ، بتحقيق محمد المرزوق وآخرون ، (ط تونس)
- ١٣ - أمبرتو رينانفو :
أخبار عن بعض مسلمى صقلية ، فصلات من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس عدد ٣ سنة ١٩٥٥
- ١٤ - أبو فراس الحمداني :
ديوان شعره ، برواية ابن خالويه ، (ط بيروت)
- ١٥ - عامر بن الطفيل :
ديوان شعره ، برواية ابن الأثير ، (ط بيروت)
- ١٦ - الأعشى :
ديوان شعره ، برواية ابن الأثير ، بتحقيق الدكتور محمد كامل حسين (ط الآداب بالجاميز بالقاهرة)
- ١٧ - البديعى = يوسف :
المصحح المنبى عن عينية المتنبي (ط دار المعارف بالقاهرة)
- ١٨ - العميدى :
الإبانة عن سرفات المتنبي (ط دار المعارف بالقاهرة)

- ١٩ - برجستراسر :
أصول نقد لنصوص وفنر الكتب ، بعناية الدكتور محمد حمدى البكرى
(ط دار الكتب المصرية)
- ٢٠ - أبو عبيدة :
النقائض ، بتحقيق المستشرق بينان (ط لندن ١٩٠٢ م)
- ٢١ - التبريزى = أبوزكريا :
شرح الفصائد العشر ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط الحلبي بالقاهرة)
- ٢٢ - الجاحظ :
(١) التاج ، (ط بولاق بالقاهرة) ، (ب) التبيان والتبيين (بتحقيق عبد السلام هارون) (ط لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة)
- ٢٣ - ابن فارس :
فقه اللغة ، بتحقيق عبد السلام هارون (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة)
- ٢٤ - الأصمعى :
خزنة الشعراء ، بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجى (ط المنيرية بالقاهرة)
- ٢٥ - ابن دقيق العيد :
ديوان شعرة ، جمعه وحققه وقدم له الدكتور على صان حسين (ط دار المعارف)
- ٢٦ - ابن حجر العسقلانى :
أنباء الزمر بأبناء العمود : تحقيق الدكتور حسن حبشى ، (ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة)
- ٢٧ - ابن شاكر الكنتى :
فوات الوفيات ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط التجارية بالقاهرة) (٢٥ - مصر)

٢٨ - القلقشندى :

صبح الاعشى في صناعة الإلشاء ، (ط دار الكتب المصرية)

٢٩ - السخاوى :

الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، (ط بيروت)

٣٠ - الأصفهاني = حمزة :

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ، بتحقيق محمد أسعد طلس ، (ط مجمع
الجنة العربية بدمشق) ، (ب) الدرة الفاخرة في الأمثال ، بتحقيق عبدالحيد
قطامش ، (ط دار المعارف بالقاهرة) ، (ج) تاريخ سنى ملوك الأرض
وأنبياؤه (ط بيروت)

٣١ - ابن قتيبة :

الشعر والشعراء ، بتحقيق أحمد شاكر (ط دار المعارف بالقاهرة)

٣٢ - ابن الأبار :

(١) التكملة لكتاب الصلة (ط بيروت) (ب) الحلة السهاء ، بتحقيق
الدكتور حسين مؤنس ، (ط الشركة العربية ببيروت)

٣٣ - عبد الله الحرقى :

أمية بن أبي الصلت الداني الأندلسى ، رسالة ماجستير ، بإشراف الدكتور
أحمد ميكل

٣٤ - السيوطى = جلال الدين :

(١) بنية الوعاء ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط الحلبي بالقاهرة)
(ب) حسن المحاضرة ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط مكتبة النهضة
المصرية) ، (ج) الموهب في الفنة (ط صبيح)

٣٥ - ابن النديم :

الفهرست ، (ط التجارية بالقاهرة)

- ٣٦ - الأمدى :
المؤلف والمختلف ، بتحقيق عبد الستار فراج (ط عيسى الحلبي بالقاهرة)
- ٣٧ - المرزباني :
الموشح ، بتحقيق علي محمد البجاري (ط الحلبي بالقاهرة)
- ٣٨ - ابن الأباري = السكال :
(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
(ط نهضة مصر بالقاهرة) ، (ب) الإيضاح في مسائل الخلاف بتحقيق
محمد محي الدين عبد الخيد (ط التجارية بالقاهرة) ، (ج) ملح الأدلة في علم
النحو (ط بيروت)
- ٣٩ - بروكلمان = كارل :
تاريخ الأدب العربي ، بتحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، (ط دار
المعارف بالقاهرة)
- ٤٠ - ابن عبد البر :
رسالة جامع بيان العلم وفضله ، (ط الرحمانية بالقاهرة)
- ٤١ - الدكتور الأسد = ناصر الدين :
مصادر الشعر الجاهلي (ط دار المعارف بالقاهرة)
- ٤٢ - القائل = أبو علي :
(١) الأماشي ، (ط دار الكتب المصرية) ، (ب) ذيل الأماشي (ط دار
الكتب المصرية)
- ٤٣ - الراجعي = مصطفى صادق :
تاريخ آداب العرب ، بتحقيق محمد سميد المريان (ط التجارية بالقاهرة)
- ٤٤ - المقدسي :
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ط لندن سنة ١٨٧٧ م)

- ٤٥ - ابن سلام :
طبقات خول الشعراء ، بتحقيق محمود شاكر (ط دار المعارف بالقاهرة)
- ٤٦ - ابن المزيح = مهمل بن يموت :
سرقاطه أبي نواس ، بتحقيق الدكتور محمد مصطفى عداية (ط دار الفكر العربي بالقاهرة)
- ٤٧ - ابن أبي الحديد :
شرح نهج البلاغة (ط الحلبي بالقاهرة)
- ٤٨ - التنوخى = علي بن الحسن :
اشوار المحاضرة ، بتحقيق عبود الصالحى (ط بغداد)
- ٤٩ - الذهبي :
العبر في أخبار من غير ، (ط الكويت)
- ٥٠ - ابن خير الأشيبي :
فهرست ما رواء عن شيوخه ، (ط بيروت)
- ٥١ - المرتضى = علي بن الطاهر :
أمال المرتضى ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط عيسى الحلبي)
- ٥٢ - روزنتال = الدكتور فرانتز :
مناهج علماء المسلمين في البحث العلمى ، ترجمة الدكتور أنيس فريضة راجمه
الدكتور وليد عرفات (ط بيروت)
- ٥٣ - السكرى = أبو - ميد :
شرح أشعار الهذليين ، بتحقيق عبد الستار فواج ، (ط دار الكتاب العربي بالقاهرة)
- ٥٤ - المدمى :
رسالة الغفران ، بتحقيق الدكتور هانسة عبد الرحمن (ط دار المعارف بالقاهرة)

- ٥٥ - كيلافى = محمد سيد :
الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى (ط نخبة مصر بالقاهرة)
- ٥٦ - الصمرانى = عبد الوهاب :
الطبقات الكبرى (ط صبيح)
- ٥٧ - ابن عربى :
محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار (ط بيروت)
- ٥٨ - ابن منظور :
لسان العرب ، (ط دار الكتاب العربى بالقاهرة)
- ٥٩ - القاضى الجرجانى = على عبد العزيز :
الوساطة بين المتنبى ومخبره (ط صبيح)
- ٦٠ - الأدفوى :
الطالع الصعيد فى تاريخ فضلاء ورواة الصعيد ، (ط الجالية بالقاهرة)
- ٦١ - الزمخشري = جابر الله محمود بن عمر :
أساس البلاغة ، (ط النديم بالقاهرة)
- ٦٢ - البغدادي = الخطيب :
تقييد العلم ، بتحقيق الدكتور فاروق المش ، (ط دمشق)
- ٦٣ - النضى = أحمد بن يحيى :
بنية الملتصق (ط دار الكتاب العربى بالقاهرة)
- ٦٤ - المرجف = سيد بن على :
رغبة الأمل فى شرح كتاب الكامل ، (ط التجارية بالقاهرة)
- ٦٥ - الصولى = أبو بكر :
(أ) الأوراق ، بتحقيق ميراث دن (ط الصاوى بالقاهرة) (ب) أخبار
أبي تمام ، بتحقيق عبد هزيم ، (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
بالقاهرة)

- ٦٦ - الزبيدي = السيد المرتضى :
تابع العروس في شرح القاموس (ط المطبعة الخيرية بالقاهرة)
- ٦٧ - الميداني :
مجمع الأمثال ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط التجارية بالقاهرة)
- ٦٨ - الحطري = محمد :
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، (الدولة العباسية) (ط التجارية بالقاهرة)
- ٦٩ - ابن سعيد = علي بن موسى الأندلسي :
(١) المغرب في حل المغرب ، بتحقيق الدكتور شوقي ضيف ، (ط دار المعارف بالقاهرة) ، (ب) النصوص الياض في شعراء المائة التاسعة بتحقيق إبراهيم الأبياري (ط دار المعارف)
- ٧٠ - الثعالبي = أبو منصور :
(١) يتيمة الهم ، (ط الصاوي بالقاهرة) ، (ب) التثيل والمخاطرة ، بتحقيق عبد الفتاح الحار (ط الحلبي) .
- ٧١ - العسكري = أبو أحمد :
(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، بتحقيق عبد العزيز أحمد ، (ب) المصون في الأدب ، بتحقيق عبد السلام هارون (ط الكويت)
- ٧٢ - ابن خلدون :
المقدمة ، بتحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي (ط لجنة البيان العربي)
- ٧٣ - ابن الخطيب :
لسان الدين ، الاساطة في أخبار غرناطة (ط دار المعارف)
- ٧٤ - الحريري :
بتحقيق المسئوق سلوسيري دي ساس (ط باريس)

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	ج
مقدمة	٨
تمهيد	٣

الباب الأول

في الأصول والتقاليد

الفصل الأول : الإسناد	٢٥
الفصل الثاني : الحفظ	٣٧
الفصل الثالث : لقاء العلماء	١٩
الفصل الرابع : الانتحال	٦٦
الفصل الخامس : الاختلاف في الرواية (نسبة ونص)	٨١
الفصل السادس : التدوين	٩٢
الفصل السابع : الرقعة والوراقون	١٠٥
الفصل الثامن : التصحيف والتحرير	١١٧

الباب الثاني

رواية الآثار الشعرية في القرن الرابع

تمهيد	١٣٩
الفصل الأول : مرحلة الرواة المخضرمين (مرحلة الاتصال)	١٤١
الفصل الثاني : رواة القرن الرابع (مرحلة الامتداد)	١٥٨
الفصل الثالث : أخبار الشعراء	١٦٦
الفصل الرابع : البلاغيون والرواية الشعرية	١٩٧

الباب الثالث

عصر اليقظة - القرن الخامس

تمهيد	٢٠٥
-------	-----

الموضوع	صفحة
الفصل الأول : أبو العلاء المعري	٢١٠
الفصل الثاني : أخبار الشعراء	٢٢٠
الفصل الثالث : البلاغيون والرواية الشعرية	٢٤١
الفصل الرابع : صنائع الدواوين والشراح	٢٤٨
الفصل الخامس : القرن السادس	٢٦٤

الباب الرابع

القرن السابع - عصر التراجم التاريخية

تمهيد	٣١١
الفصل الأول : الرواة المؤرخون	٣١٤
الفصل الثاني : الرواة الأدباء	٣٦٩
فهرس	٣٩١
أصويبات	٣٩٣

تصويبات

ص	س	الخطأ	الصواب
٣	١٨	يلتنا	يلينا
٤	٥	الرواية	الراوية
٤	١٠	تنصرف	تنصرف
٥	١٩	الرواية	الرواية
٦	١	الدربة	الدربة
٦	٦	ابتائها	ابتائها
١١	١١	يقول وسارتون	يقول سارتون
١٢	١٥	القدمة	(يحذف القوس)
١٣	١١	(حقيقة)	(يحذف القوس)
١٣	١٢	هاته	هامة
١٤	٣	وغير	غير
١٥	١٢	وتقليدها	وتقاليدها
١٦	١٠	رواية	الراوية
١٧	١٦	ونحن	ونحن
١٨	٣	التألف	التأليف
٢٨	٢	الأوبه	الدربة
٢٨	٦	ساحاتا	ساحاته
٢٨	١٠	بالرواية	بالراوية
٣٠	٦	غيرى (كا	غيرى (كا
٣١	٣	فأبدن	فأبن
٣١	١٠	بالاخص	بالاخص التطيلي

ص	س	المخطأ	الصواب
٢١	٢١	الاحبار	الاخبار
٢٢	١	واستشهد	واستشهدت
٢٤	١٦	يتعلق . بالإستاد	يتعلق بالإستاد .
٢٥	٢١	أليه	أنه
٢٧	٧	ياستفاضه	استفاضه
٤١	١٨	وأبصرهم	وأحزهم
٤٣	٧	(٦)	(٥)
٤٦	١٠	رواية	رواية
٤٦	١٢	رواية	رواية
٤٧	١٨	مستحق	محمّد
٥٣	٧	قواهي	دواهي
٥٣	١١	قال : ابن	قال ابن
٥٤	٩	اكتفى	واكتفى
٥٥	١٣	الطريق	الطريق (٣)
٥٥	٢٢	الطالب	إليه الطالب
٥٦	٧	والفيروز يادى - ينى	والفيروز يادى - فى
٥٧	٤	(٥)	(٢)
٥٧	٢٠	أبى الملا	أبى الملا
٥٩	١	الوافدين	الوافدين
٥٩	١	(٣)	(١)
٥٩	٣	(٥)	(٣)
٦٠	١	الحاة	الحياة
٦٠	١٢	لفضل	لفضل
٦٠	١٤	(٤)	(٣)

الخطأ	الصواب	ص	س
لغياها	أنشأها	٢٢	٦٠
(٢)	(٣)	١١	٦٣
فما يختص	فما يختص	٣	٦٤
القاتل في	القاتل قبل في	٥	٦٦
والمسيب كان	والمسيب أن	١٥	٧٧
عمرو ، غير	عمرو ، أي غير	٥	٦٩
قول الجوى	قول بأقوت الجوى	١	٩٥
بهجات	بهجات	٩	٩٦
الحذب	الحذب	١	٩٧
توفيق	توفيق	١	٩٧
الفاولين (١)	الفاولين (١)	١٥	٩٧
رمضان	رمضان	٣	٩٩
التقوش	التقوش	١٠	١٠٤
والاشتهال	والاشتهال	١	١١٣
موضوع يلق	موضوع لم يلق	١٤	١١٩
كان	كانا	٤	١٢١
والخواص	والخواص	٢٠	١٢١
وكفوا	وكفوا	٧	١٢٦
لما حاولة	لما حاولة	٨	١٢٦
ملم	ملم	٩	١٢٦
اللقنة	اللقنة	١٣	١٢٥
والشعراء ()	(يحذف القوس)	١٥	١٤٨
ابن الدبم	ابن الدبم	١٦	١٤٨
أولا -	(تحذف)	٣	١٥٨
حجم	الحجم	٣	١٦٢
(٢)	(تحذف)	١٦	١٦٤
قدما .	تدعاء	١٣	١٧٧

م	ص	الخطأ	الصواب
١٨١	١٣	ابن	إل
١٨٢	١٥	وأى	وأبو
١٨٣	١١	ابن خرداذبة	ابن ابن خرداذبة
١٨٧	١٤	الانتحال	الانتحال
١٩١	٧	عبد	عبد
٢٠٦	٦	قالويون	قالويون
٢٠٦	٢٥	أسر	أسر
٢٠٧	٨	٤٥٨ به	٤٥٨
٢٠٨	٢٤	سقطى	سقطى
٢١٣	٤	قصيدة موجه	قصيدة مدحه
٢١٦	١٣	الفضلاء ومن	الفضلاء (٥) ومن
٢١٧	١	(٥٢١)	(٥٢١)
٢١٧	٤	رأينا	رأينا
٢١٧	٥	المعري	المعري
٢١٧	٥	بالشعر	بالشعر
٢٢٢	٤	(٢)	(١)
٢٢٢	٩	(باسم)	(يهذف القوس)
٢٢٢	١٠	(١)	(٣)
٢٢٩	٧	(١)	(٢)
٢٢٩	٣	(٢)	(١)
٢٣١	٣	(١)	(١)
٢٣١	١١	٢	٣
٢٣٣	١٢	هند	هند
٢٣٦	١٥	(١)	(٢)
٢٤٥	١٣	والتخلص	والتخلص
٢٤٨	٢٠	ديوانيه : الزائد	ديوانيه : سقط الزائد
٢٤٩	١٠	تيار	تيار

ص	ص	الخطأ	الصواب
٢٥١	٢٠	ذكر يا	ذكر يا
٢٥٢	١٧	وأنار	وأنار
٢٦٧	الهامش ١ (٢)	(١)	(١)
٢٦٧	الهامش ٢ (١)	(٢)	(٢)
٢٦٧	الهامش ٣ غبون	غليون	غليون
٢٧١	٩	نسبه	نسبه
٢٧٢	٧	الدهاوى التواتر	الدهاوى أن التواتر
٢٧٣	١٢	سكتند	اسدد
٢٧٧	٧	رتبه	برته
٢٨٧	٧	وأضاق	وأضاف
٢٧٧	١٦	القواني	القواني
٢٧٨	٢	(٣)	(١)
٢٧٩	٣	الشرح	الشرح
٢٧٩	٥	المتنبي	المتنبي
٢٨٠	١	والحفاظ	الحفاظ
٢٨٠	٢	دأبو	دأبو
٢٨٠	٤	التقدمين :	التقدمين . شـ
٢٨٠	١٨	العباس ((يحدف القوس)
٢٨٠	١٩	التوماني	التوماني
٢٨٥	٣	ما وبق	الشافقي
٢٨٦	١٠	احنا	أيضا
٢٩٧	١٨	الإضافة	الإضافة
٢٩٩	٢٠	(٦)	(يحدف)
٣٠٥	١	(٢)	(١)
٣٠٥	٦	(١)	(٢)

ص	خطأ	الصواب
٣٠٥	زهرة	زهر
٣٠٦	منسج	منسج
٣٠٧	استحازة	استحازه
٣١٣	فق العيد	دقيق العيد
٣١٥	مسروعة	موسوعة
٣١٣	وهو	وهي
٣٢٥	في	تتحذف
٣٢٦	سسبق	سبق
٣٢٧	واصمى	والاصمى
٣٣٠	(١)	(٢)
٣٣٠	بالعلماء	بالعلماء (٣)
٣٣٠	الحامش ١ نضى	معنى
٣٣٠	الحامش ٣	(تتحذف)
٣٣٠	الحامش ٤	(تتحذف)
٣٣٧	٧ يصف	يصف
٣٣٩	٢ الاعيان	الاعيان
٣٤٠	١١ (١)	(٢)
٣٤٠	١٤ (٢)	(٣)
٣٤٥	٣ التمايلن	٢ - التمايلن
٣٤٧	١ وكا	وكا
٣٤٨	٣ لسي	لسي
٣٤٨	١٢ (١)	(٢)
٣٤٨	١٣ (٢)	(٣)
٣٤٨	١٦ (٣)	(٤)

الخطأ	الصواب	ص	س
(٤)	(٥)	١٩	٣٤٨
٤ :	(يهدف)	١١	٣٤٩
..... تخرجه	و اد كان لتخرجه	٣	٣٥٠
شبهه	شبهه	١١	٣٥٠
(١)	(٦)	١٣	٣٥٠
وكادوا	وكالوا	١٣	٤٧٦
١ - تاريخ بغداد ...	١ - تاريخ بغداد لابن الساعي	٨	٣٧١
فسبق ...	(ت ٤٦٣) فكان ابن الساعي		
	اول من كتب تاريخ بغداد ،		
	فسبق بذلك الخطيب البغدادي		
(تاج حلب)	(تاريخ حلب)	١٥	٣٨٦

